

أين ذهبت أسنانك
أيها الذئب العجوز؟
القبعة
والطربوش
أنور الجندي
الأطباء
د. عبد السلام العجيلي
الصيد بالصقور

كلمة

مركز التراث والأسبوع السوداني في الدوحة

كان اجتماع وزراء إعلام الخليج فى مسقط فى الشهر الماضى خطوة اخرى طيبة من خطوات التقريب والتوحيد بين أبناء الخليج ، وقد نجح هذا المؤتمر بما أثاره من قضايا وما أصدره من قرارات ، وكان من اهم قرارات هذا المؤتمر ذلك القرار الخاص بانشاء «مركز التراث والفنون الشعبية فى الخليج» ، وقد تقرر أن تكون «الدوحة» مقرا لهذا المركز .

ولا شك أن انشاء مثل هذا المركز يعتبر خطوة ثقافية وحضارية بالغة الاهمية فان جمع التراث الخليجى من أدب ورسم واثار فكرية وأزياء وتسجيل للعادات والتقاليد ، كلها من الأمور الضرورية الواجبة ، والتى ان الاوان ، لابناء الخليج أن يحملوا عبئها ، ويؤدوا واجبهم نحوها ، وخاصة فى هذه الفترة التى ينهضون فيها ويسجلون خطوات واسعة فى مجال التقدم .

وعرب الخليج لهم تراثهم الحى ، الذى ينبغى الا يضيع مع الايام او يتبعثر مع ذرات الرمال فى الصحراء ، فالتراث عنصر هام من عناصر الشخصية القومية خاصة إذا كان تراثا غنيا بأدبه وفنونه وتجاربه الواسعة ، كما هو الأمر فى منطقة الخليج ، ومن ناحية أخرى فان هذا التراث على قيمته الثقافية والحضارية يمثل رداً على الهجوم الاعلامى الموجه الى منطقة الخليج على الساحة الدولية من أعداء لنا كثيرين ، يريدون أن يأكلوا خبزنا وثروتنا ثم يعلنوا فى نفس الوقت أننا شعب متخلف لا يستحق الحياة !!

ويوم أن يظهر مركز التراث الخليجى فاننا نستطيع أن نقول بهدوء لهؤلاء جميعا : أين كنتم يوم كانت لنا حضارتنا وفكرنا وثقافتنا ، وجهادنا فوق الأرض وفوق مياه المحيطات والبحار ، من أجل نقل العلم والنور والحضارة والقيم الانسانية والتجارة بين شتى شعوب الأرض ؟!

ولا شك أن اختيار الدوحة كمقر أساسى لاقامة مركز التراث هو تكريم لهذه العاصمة التى أصبحت ميدانا للنشاط الاعلامى والثقافى فى منطقة الخليج بل فى العالم العربى كله فهذه العاصمة هى المدينة الطيبة التى تفتح صدرها للمؤتمرات العلمية والندوات الثقافية ومحاضرات العلماء ولقاءات المفكرين والكتاب من كل أنحاء الأرض العربية ، وهى المدينة التى تنهض وتتطلع الى المساهمة الجدية الصادقة فى النشاط العربى والحضارى العام ، ومن هنا كان تكريما لمدينة الدوحة أن تكون مقرا لمركز التراث الخليجى وكان ذلك أيضا تكريما لوفد قطر الذى شارك بجدية ونشاط ووعى برئاسة السيد عيسى غانم الكوارى وزير الاعلام فى أعمال مؤتمر وزراء إعلام الخليج .

● ● ●

وعلى راس النشاطات الثقافية التى شهدتها الدوحة فى الشهر الماضى كان الأسبوع الثقافى السودانى ، وفى هذا الاسبوع الذى استضافته الدوحة وفتحت صدرها له ، قدم «السودان» .. هذا البلد العربى الكريم الطيب المبدع ، ألوانا من الفكر والفن رائعة ومثيرة للاعجاب والتقدير ، وكان على راس ما قدمه الأسبوع الثقافى السودانى فى الدوحة ، تلك المحاضرة التى القاها العالم الكبير والاديب اللامع الدكتور عبد الله الطيب ، فقد كانت هذه المحاضرة مثالا نادرا لغزارة العلم ، وقوة الاستنتاج والابداع الفكرى ، وحسن الأداء والقدرة على السيطرة على جمهور المستمعين ، مما أعاد الى الذاكرة أيام المجد الادبى العربى عندما كان طه حسين يلقى محاضراته فى قاعات كلية الآداب بجامعة القاهرة فيسعى الى هذه المحاضرات الآلاف متلهفين لسماعها ، بعضهم يحب سماع الشعر بصوت طه حسين ، وبعضهم يفتح عقله وقلبه لآرائه الجديدة الجريئة ، فيوافق عليها أو يعارضها ، وبعضهم يتعلق بالفيض الثقافى الغزير الذى يتدفق فى سهولة ويسر من عقل طه حسين ، بصوته المعبر العميق .

لقد كانت محاضرة عبد الله الطيب فى جامعة قطر بالدوحة لمحة من لمحات تلك الأيام الغالية من عصر طه حسين . وفى هذا الأسبوع الثقافى التقت الدوحة بالشاعر المبدع الكبير محمد المهدى المجذوب الذى يعتبر واحداً من أعلام الشعر العربى المعاصر ، وكانت أمسيته الشعرية ، أمسية رائعة بكل معانى الكلمة ... وقد خرج الكثيرون من هذه الامسية يتساءلون : أين دواوين المجذوب ، ولماذا هى بعيدة عن متناول الأيدى وفيها كل هذا الفن الرفيع ؟!

أما بقية ليالى الاسبوع الثقافى السودانى فى الدوحة ، فقد تألقت فيها الفرقة الشعبية السودانية ، ومعرض الفنون التشكيلية ، وكان الاسبوع إجمالا يقول للجميع : إن فى السودان فناً وإبداعاً فكريا ونشاطاً ثقافياً بالغ العمق والقيمة .. ولكن هذا الكنز العربى السودانى بحاجة ماسة الى من يسلط عليه الضوء ، ويخرج به الى دنيا العرب الواسعة ، بنفس الطريقة التى ظهر بها فى مدينة الدوحة .

هذا بعض ما شهدته «الدوحة» وما حققته من انجازات فى الشهر الماضى .. ومازالت الدوحة على الطريق نحو المزيد من الحيوية الثقافية والنشاط الفكرى الواسع .

الدوحة

سعادة الأستاذ عيسى غانم الكوارى



د. عبد الله الطيب



محمد المهدى المجذوب

د. علي خليفة الكواري

كيف نواجه أخطار المستقبل في الجزيرة والخليج ؟

فى الجزيرة والخليج فرص واسعة للاستثمار الصناعى . وهذه الفرص هى التى تستطيع أن تعطينا كل القدرة على مواجهة احتمالات المستقبل وأخطاره .

يتوفر للمنطقة عدد من الفرص الاستثمارية التى ينبغى اغتنامها والاستفادة من وجودها باقصى سرعة ودرجة ممكنتين . وتتمثل هذه الفرص فى المشروعات الاقتصادية كبيرة الحجم والمتقدمة تقنيا واداريا ، والتى تتمتع فيها المنطقة بميزة نسبية ، وتحتاجها لسد احتياجاتها المحلية ، ولأجل خلق قطاعات انتاجية جديدة لازمة لاصلاح الخلل الرئيسى فى اقتصادها ، والذى لا يكفى لاصلاحه ، ترشيد طرق الانتاج فى الوحدات الانتاجية القائمة ، وإنما يتطلب انشاء انشطة انتاجية جديدة بالكامل ، سواء أكان ذلك فى قطاعات الصناعات التحويلية ، أو الصناعات الاستخراجية غير النفطية ، او فى قطاع الاستثمار الخارجى ، أو غير ذلك من مجالات الانتاج الممكنـــــة . وبما أن مرتكزات القاعدة الانتاجية للمنطقة تعتمد اعتمادا ـ شبه مطلق ـ على انتاج النفط الخام وتصديره ، فان حكومات المنطقة ليس لها خيار سوى المبادرة الى انشاء المشروعات الاقتصادية مباشرة . حيث ان هذه المشروعات هى اساس الهيكل الانتاجى المباشر ، كما ان اهميتها لا تقل عن اهمية مشروعات البنية الأساسية . وبالتالى فان على المنطقة أن تسرع بالتوجه الى انشاء المشروعات الانتاجية المتاحة لها ، بالحجم الذى يتناسب مع قدرتها ، وبالسرعة اللازمة لامتصاص اكبر نسبة من الارصدة النقدية المتاحة .

وتتمثل فرص الاستثمار المتاحة للمنطقة ، والتى يعجز القطاع الخاص عن القيام بها ، فى ثلاثة قطاعات رئيسية هى : قطاع الصناعة التحويلية الموجهة للتصديـــر ـ قطـــاع الاســـتثمارات الخارجية ـ قطاع مشروعات بدائل الاستيراد .

ولكى تتضح معالم الصورة فيما يتعلق بهذه القطاعات ، فاننا سنحاول إلقاء الضوء على جدوى كل قطاع منها :

قطــاع الصـــناعات التحويلية الموجهة للتصدير

إن للصناعات التحويلية الثقيلة التى تتوفر للمنطقة ميزة نسبية فى انتاجها ، ترتكز ـ بشكل اساسى ـ على امرين : استخدام الغاز الطبيعى وتوفر القدرة على التمويل . وذلك لأنها تتطلب ان يكون راس المال كثيفا . وهى صناعات تستخدم احدث أساليب التقنية الحديثة وتكون فى مراحلها الأولى موجهة للتصدير ، ثم تتحول تدريجيا الى التكامل التحتى بتشـــجيع قيـــام العديد من الصناعات المستخدمة لمنتجاتها اقليميا وعربيا .

وهذه الصناعات هى ـ فى الحقيقة ـ الوسيلة التى تجتاز بها المنطقة مرحلة الاعتماد على تصدير الزيت الخام الى مرحلة تنوع مصادر الانتاج وزيادة مساهمـــة الصناعـات التحويليـــة . والغرض منها ، الى جانب كونه ماليا واقتصاديا ، يتمثل فى استيعاب التقنية والفن الادارى والقدرة على استنباطها ، وذلك من خلال التركيز على عمل مواطنى المنطقة فى هذه الصناعات ـ وليس على استيراد الأيدى العاملة ـ مما يؤدى الى القضاء على البطالة المقنعة والبطالة المرفهة فى المجتمع .

وتشمل هذه الصناعات ـ وفقا لما تبرزه الدراسات الاقتصادية الحالية ـ صناعة التكرير والأسمدة الكيماوية والبتروكيماويات الأساسية مثل الاثلين والميثانول والبروبلين والبيوتادين والجيل الثانى من المنتجات التى يمكن اشتقاقها من هذه الصناعات . (١) فضلا عن بعض الصناعات المعدنية التى تشكل الطاقة جزءا كبيرا من تكلفتها مثل صناعة الالمونيوم والحديد والنحاس .

ولحسن حظ المنطقة فانها تتمتع بميزة نسبية فى انتاج البتروكيماويات الأساسية ، كما انها لم ترتبط ـ بعد ـ بالتزام تصدير غازها الطبيعى الى الاسواق العالمية ، وهذا ما يتيح لها فرصة توطين الصناعات البتروكيماوية فيها . بما ينسجم مع مقتضيات النظام الاقتصادى الجديد ، ومطالبة دول العالم الثالث بدعم انتاجها وصادراتها من الصناعة التحويلية .

وقد اثبتت الدراسات توفر هذه الميزة النسبية ، فى مجال الاسمدة الكيماوية والمنتجات البتروكيماوية الأساسية ، حيث تقل تكلفة انتاج المنطقة عن تكلفة الانتاج فى كل الولايات المتحدة الأمريكية واليابان والمانيا الغربية ، بنسبة قد تصل احيانا الى النصف (٢) هذا مع العلم بان الزيادة فى الطلب العالمى فيما يتعلق بهذه المنتجات سيتضاعف عام ١٩٨٧ مقارنة بعام ١٩٧٧ (٣) فى الوقت الذى لم يتجاوز فيه انتاج الوطن العربى عام ١٩٧٧م من الاسمدة الكيماوية ٠٣/٠ من الانتاج العالمى . (٤) .

ومن الجدير بالذكر ان هذه الصناعات تتطلب حجما ضخما من الاستثمارات لكى يتسنى لها ان تقوم ، حيث يصل متوسط حجم الاستثمار الى حوالى ٣٠٠ مليون دولار فى المتوسط للمشروع الواحد ، فضلا عن الخبرة الادارية والتقنية والاستثمارية اللازمة لانشائها تعد «فوق قدرة القطاع الخاص» .

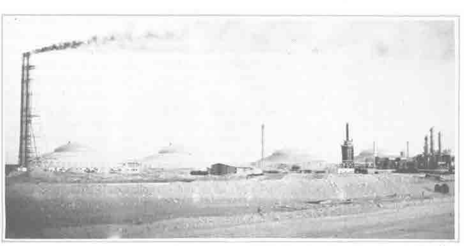
ومما يجدر ذكره ايضا ان الدولة تمتلك الطاقة والمواد الخام اللازمة لأى منها . الى جانب وجود اهداف وطنية لديها ، تتعلق بخلق قطاعات منتجة ومراكز يتم من خلالها توفير عمالة منتجة للمواطنين واستيعاب التقنية .

من هذا المنطلق فان تفوق القطاع العام على القطاع الخاص والتزامه ، تصبح له اسباب موضوعية ، تحتم قيامه بمبادرة جادة فى مجال انشاء الصناعات التحويلية الثقيلة الموجهة للتصدير .

قطاع الاستثمارات الخارجية

نتيجة للتدفقات النقدية المتزايدة على دول المنطقة ، بشكل يفوق قدرتها الانتاجية والاستهلاكية على الامتصاص ـ تكونت لديها ارصدة نقدية ضخمة ، قدرها الدكتور عوده ابو رديني ـ الخبير فى صندوق النقد العربى بمبلغ ثمانية وتسعين بليون دولار فى نهاية عام ١٩٧٧ م . بينما لم تتجاوز خمسة بلايين ونصف بليون دولار فى نهاية ١٩٧٢م . كما اشار هذا الخبير الى انخفاض معدل دخل هذه الاستثمارات فى الخارج عام ١٩٧٧ م الى حوالى ٧,٥٪ . بعد ان كان حوالى ١١٪ عام ١٩٧٢ (٥) . هذا ، بالرغم من ارتفاع معدل التضخم فى عام ١٩٧٧ م عن المستوى الذى كان عليه عام ١٩٧٢ م وعام ١٩٨٠ م . فان بلوغ هذه الفوائض ٣٠٠ بليون دولار فى نهاية ١٩٨٠ م يصبح امرا محتملا جدا .

وبذلك تواجه دول المنطقة تحديا من نوع جديد بعد ان وجدت نفسها ـ دون سابق تخطيط أو تصور ـ من أكبر أصحاب الأرصدة المالية المستثمرة خارج حدودها ، وبحكم ضعف القوة السياسية لهذه الدول ، فضلا عن ضعف القدرة الادارية اللازمة لاستثمار ارصدة بهذا الحجم فى سوق عالمية تتصف بالاضطراب المالى والمخاطر السياسية ، فان هذا الوضع يعد وضعا فريدا فى نوعه . فمن المعروف أن من يمتلك المال الفائض عن الاحتياجات المحلية ، هو الذى يملك القوة السياسية . الى جانب امتلاكه المعرفة والخبرة اللازمة لتأمين وحماية الاستثمارات الخارجية . لذا اقترنت استثمارات دولة ما فى دولة اخرى ، بتفوق الأولى على الثانية فى اغلب الأحوال ، سواء اكان ذلك من الناحية السياسية والادارية او من الناحية الادارية والخبرة الاستثمارية . ومن الواضح ان هذه الأمور لا تتحقق



الصناعات التى ترتكز على استخدام الغاز الطبيعى فى الخليج

لدول المنطقة ، بل ان العكس اقرب الى الصحة . وهذا ما يخلق تحديا لابد من مواجهته .

ومواجهة هذا التحدى تتطلب الاهتمام بتحديد طبيعة هذه الفوائض ، وما اذا كانت تمثل احتياطيات جارية مؤقتة ، ام انها تمثل راسمال سيوجه للاستثمار فى الخارج . لحين توفر فرص استثمارية معقولة فى الداخل . ولقد تباينت دول المنطقة وتارجحت فى نظرتها الى عائدات النفط التى لم يتم انفاقها . فقد كانت نظـــرة الادارة الانجليزية فى امارات الخليج العربى تقوم على اساس تخصيص نسبة محددة من عائدات النفط من اجل خلق احتياطى عام تكون مهمته استكمال موارد الحكومة فى المستقبل بعد نضوب النفط ، وقد استمر اتباع هذه السياسة مرتبطا باستمرار «المستشار الانجليزى» فى امارة ما . وساعد تزايد العائلات فى الخمسينات على تبنى مثل هذه السياسة بشكل او باخر فى بقية دول المنطقة .

ونتيجة لتعرض هذه الاحتياطات النقدية للمخاطر المالية ، ومن اهمها : تخفيض الاسترلينى ، وعدم قدرة هذه الاحتياطيات على ادرار دخل معقول من ناحية . والضيق المالى الذى واجهته دول المنطقة بحكم عدم نمو عائدات النفط فيها بنسب كافية لمواجهة اوجه الصرف التى اطلق لها العنان فى الخمسينات من ناحية اخرى . فقد زالت الحصانة عن هذه الأموال التى اريد اعطاؤها صفة راس المال . فاصبحت نتيجة لذلك احتياطيات تجارية للميزانيات العامة فى الدول المعنية . ولقد اضطرت جميع دول المنطقة الى سحب مبالغ متزايدة من هذه الاحتياطيات لسد عجز الايرادات العامة عن مقابلة النفقات العامة .

وكانت نتيجة ذلك ان اصبحت الاحتياطيات العامة لجميع دول امارات

كيف نواجه أخطار المستقبل في الجزيرة والخليج؟

الخليج العربى (الكويت ـ البحرين ـ قطر ـ ابو ظبى) سواء أكانت مستثمرة فى الداخل او مودعة فى الخارج . تمثل ١٠.٩٪ فقط من اجمالى عائدات النفط التى تم تحصيلها منذ بدء انتاجه . ومن الواضح ان هذه النسبة تقل كثيرا عن الهدف المعلن ، وهو تخصيص ما يقارب ثلث عائدات النفط من اجل بناء راسمال قادر على ادرار دخل يحل محل عائدات النفط فى المستقبل . والجدير بالذكر ان دخل هذه الأرصدة عام ١٩٧٠ م لم يتجاوز ١٠٪ من ايرادات الميزانيات العامة لدول الخليج العربى . (٦)

ومازالت دول المنطقة حتى الآن لم تحدد طبيعة هذه الفوائض . ففى حين يرى بعضها ان هذه الأموال تعد راسمالا استثماريا . مهمته تنويع مصادر الدخل . لا يصح استخدامه لسد عجز الميزانيات الحكومية . فانه يجرى التعامل مع هذه الارصدة بشكل عملى . على اساس كونها احتياطيا جاريا للميزانية العامة يتم تسييله عند الحاجة لسد عجز تلك الميزانية . وفيما عدا صندوق احتياطى الأجيال القادمة فى الكويت الذى لا يجوز السحب منه إلا بقانون . فان مؤسسات الاحتياطى فى بقية دول المنطقة غير مقيدة . وتعد الأموال فيها وديعة وليس راسمال ـ لصالح وزارات المالية . وهذا المفهوم لعائدات النفط غير المنفقة يجب تغييره بتحويل هذه الفوائض الى راسمال فى شركات ومؤسسات استثمارية . تضمن سلامة هذا الاستثمار من المخاطر . وتحقق عائدا معقـــولا يتناسب مع المخاطر المالية والسياسية والاستثمارية التى يتعرض لها . وهذا يستوجب ضرورة التمييز ـ من حيث المبدا ـ بين احتياطى مالى محدود يمكن تسميته احتياطى الميزانية العامة وبين المال الاحتياطى الفائض الذى يجب اعتباره راسمالا . وبالتالى يجب ان يوجه هذا الراسمال الى الاستثمار الدائم سواء أكان هذا الاستثمار فى الداخل او فى الخارج وسواء أكان استثمارا ماليا او استثمارا عينيا .

وهذا التمييز بين احتياطى الميزانية وراس المال الاستثمارى يتطلب التعجيل بخلق مؤسسات استثمارية قادرة على القيام بهذه المهمة الملحة . وحماية الأرصدة المتراكمة من المخاطر السياسية والمالية المحدقة بها . فقد اصبحت هذه الأرصدة كالجمر فى ايدى المكلفين باستثمارها . لان حجمها الحالى يفوق امكانية استيعابها فى استثمارات عينية وإيداعها فى البنوك او ايكالها لوكلاء استثمار فى الخارج يعرضها ايضا لمخاطر مالية كبيرة . الى جانب المخاطر السياسية التى بدات تتزايد بتزايد حجمها . هذه المخاطر المحدقة تخلق ظرفا خاصا تنفرد به دول المنطقة عن بقية دول العالم . ويتطلب هذا الوضع ـ بشكل ملح ـ معالجة هذه المشكلة الاقتصادية ذات المساس بمستقبل المنطقة بشكل عاجل وملح ، مما يطرح دورا هاما للمشروع العام التجارى فى الاستثمارات الخارجية .

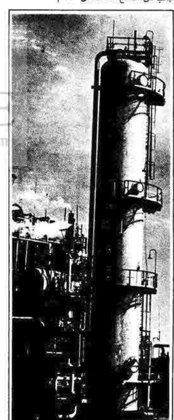
واذا علم ان حجم راسمال الشركات الاستثمارية والبنوك الكبيرة يتراوح بين ١٠٠ ـ ٢٠٠ مليون دولار (٧) فان الاستثمار المجدى لفوائض دول المنطقة المقدرة بمائتى بليون دولار فى نهاية ١٩٨٠ م يحتاج الى انشاء حوالى الفى شركة وبنك من هذا الحجم . وعشر هذا العدد اخذا فى الاعتبار ان نوعية المؤسسات والفترة الزمنية اللازمة لانشائها تفوق قدرة القطاع الخاص . وتحتاج الى معالجة سريعة من القطاع العام بانشاء المشروعات العامـــــة التجارية .

قطاع مشروعات بدائل الاستيراد

تكاد دول المنطقة ان تستورد جميع احتياجاتها . سواء المصنعة او الزراعية منها . فضلا عن الخدمات . ويرجع هذا الى عدد من الاسباب . اهمها عدم وجود استراتيجية تنموية فعالة . وارتفاع

تكلفة الانتاج المحلى نسبيا ، وضيق السوق بالنسبة لكل دولة على حدة ، واذا استثنى اثر غياب استراتيجية واضحة المعالم على الانتاج الوطنى ، باعتبار ان هذا القصور هو سبب كل المشكلات الاقتصادية بشكل عام ، وليس قاصرا على مشروعات بدائل الاستيراد فحسب ، فان ارتفاع التكلفة المحلية وضيق السوق هما الأمران اللذان يتوجب ايجاد حل لهما ، حتى يمكن للمنطقة الاستفادة من فرص الاستثمار المتاحة فى هذا القطاع . ومن الواضح أن القطاع الخاص عاجز عن مواجهة مثل

جانب من مصنع السماد فى الدمام



هذا التحدى الذى يفترض لمجابهته أن يكون ثمة تنسيق اقليمى على مستوى الدول بالاضافة لما يحتمه من حجم استثمار عال لازم لاقامة مشروعات اقتصادية كبيرة حديثة قادرة على تنظيم نفسها بشكل يجعل من تكلفة انتاجها امرا مقبولا ومعقولا من زاوية فرضه على السوق المحلية .

ولكى تتحقق الفائدة المرجوة من الفرصة التى تتيحها مشروعات بدائل الاستيراد ، خاصة مشروعات الصناعات التحويلية ، مثل صناعة الآلات والصناعات المعدنية ومنتجات الجيل الثالث وما بعده من البتروكيماويات ومواد البناء والصناعات الغذائية ، ومشروعات الخدمات المالية والخدمات الفنية فانه لابد من الاتجاه الى اقامة المشروعات الاقليمية والعربية المشتركة ، لما توفره السوق الاقليمية والعربية من حجم تعجز عن توفيره سوق اية دولة بمفردها . ومن المعروف ان عدد سكان الدول المنتجة للنفط فى الجزيرة العربية يقدر بحوالى ١٢ مليون نسمة ، وان متوسط الدخل الفردى يقدر بحوالى ١٨ الف دولار سنويا (٨) ، ومتوسط الاستهلاك الفردى بحوالى ٨٠٠٠ دولار سنويا . وعلى ضوء هذا فان القوة الشرائية لسوق دول المنطقة ــ مجتمعة ــ يمكن تقديرها بما يساوى سوق ١٠٠ مليون نسمة فى الدول المتوسطة الدخل أو ٢٠٠ مليون نسمة فى الدول منخفضة الدخل . ولا شك ان سوقا هذه قوتها الشرائية توفر مجالا خصبا لاقامة العديد من المشروعات الاقتصادية الكبيرة التى يمكن أن تقام فى أكثر من موقع ، مما يوفر حدا معقولا من المنافسة الصحية بينها . والواقع أن انشاء مشروعات كبيرة وحديثة موجهة اساسا لسد احتياجات السوق الاقليمية والعربية ، وامكانية تكرار العديد منها ، يتيحان قدرا من رقابة السوق ، وهذا مما يؤدى الى خفض تكلفة الانتاج المحلى الى مستوى تكلفة المنتجات المستوردة .

من هذا يتضح وجود مجالات استثمارية ضخمة متاحة للمنطقة ، التى هى فى أمس الحاجة الى الاستفادة منها لبناء مستقبلها الاقتصادى . وسواء أكانت هذه الاستثمارات فى مجال الصناعات التحويلية المعدة للتصدير أو فى مجال الاستثمارات الدولية أو فى الصناعات والمشروعات اللازمة لسد احتياجات الاستهلاك الاقليمى والعربى (بدائل الاستيراد) فان هذه الاستثمارات تحتم اقامة مشروعات كبيرة ذات حجم اقتصادى . وهذا ما يتطلب استخدام احدث اساليب التقنية والمعرفة الادارية المناسبة ، فضلا عن احتياجها لراسمال ضخم ، وقدرة على تحمل المخاطر التجارية وتنسيق اقتصادى . وكل هذا لا يتسنى له أن يتحقق بالحجم والسرعة المطلوبين ، إلا عن طريق قيام المشروعات العامة التجارية وتاكيد دورها القيادى فى هذه المجالات .

د. علي خليفة الكواري

(١) د. علي خليفة الكواري ، اقتصاديات الاستخدامات البديلة للغاز الطبيعى غير المصاحب فى الخليج العربى ، مجلة النفط والتعاون العربى ، منظمة الأقطار العربية المصدرة للبترول ، المجلد السادس ، العدد الثالث ١٩٨٠ م ، من ص ٢٩ الى ص ٥١ .

(٢) المرجع السابق ــ ص ٤٥ .

(٣) نفس المرجع ــ ص ٤٧ .

(٤) نشرة الاتحاد العربى لمنتجى الأسمدة الكيماوية ، الأمين العام يبدد المخاوف والتردد فى التوسع فى صناعة الأسمدة العربية ، كانون اول (ديسمبر) ١٩٧٩ ، ص ٤ .

(٧) راسمال الشركة العربية للاستثمار يبلغ ٢٠٠ مليون دولار ، وراسمال بنك الخليج يبلغ ١٠٠ مليون دولار .

(٨) على أساس مستوى الانتاج الحالى ، تقدر عائدات النفط لعام ١٩٨٠ بحوالى ١٥٠ بليون دولار وعلى اساس انها تمثل ٧٠٪ من الدخل القومى فان الدخل القومى يمكن تقديره بحوالى ٢١٤ بليون دولار . وعلى أساس أن سكان المنطقة ١٢ مليون نسمة فان متوسط نصيب الفرد من الدخل القومى يقدر بحوالى ١٨ الف دولار سنويا .

٥ Middle East Economic Survey,(MEES), 23rd April,1979,p.10

٦ Al Kuwari , A.K., Oil Revenue in the Gulf Emirates.



د. محمد جابر الأنصاري



تبسط اللغة العربية !

لماذا ؟ وكيف ؟

هذه قضية من القضايا «المزمنة» فى نطاق «علم الكلام» اللغوى العربى الحديث .. كاخواتها الأخريات المزمنات .. مسالة الفصحى والعامية .. ومسالة الشعر المقفى الموزون والشعر الحر ومسالة الالتزام والفن للفن .. الخ

وما اريق من حبر حول هذه المسائل يفوق بكثير جـدا ما تحقق من حلول او نتائج بشانها .. اى ان الكلام حولها غزير .. والمشكلة ذاتها ـ إن كانت هناك مشكلة ـ باقية معلقة بلا حل .. كسائر قضايانا العربية فى غير علم اللغة !

ولكن يبقى من المفيد فى نهاية كل حقبة ، وفى ختام كل فترة ادبية ، العودة الى تلك القضايا المعلقة لتاملها وإعادة النظر فيها على ضوء حصيلة التجارب والعبر المستمدة منها ، فذلك خير محك وافضل معيار لغربلة الأراء المطروحة بصدد هذه القضايا واستخلاص لبابها من قشورها ، ولحمها من ورمها ، باعتبار ان التجربة والنتائج المتحققة الملموسة هى القول الفصل والكلمة الأخيرة .

من هذه الزاوية نظرت الى طرح د. عيسى الناعورى لمشكلة تبسيط اللغة العربية فى العدد الأسبق من مجلة الدوحة ، ومن هذا المنطلق استجبت لدعوة الأستاذ رجاء النقاش رئيس التحرير لاعادة فتح الحوار حول هذه القضية ..

١ ـ باديء ذى بدء لا خلاف حول التقديم العصرى المنطقى لموضوعات الصرف والنحو للنشء الجديد والتخلص من اساليب «ضرب زيد عمروا» وبلاغة «هو كالأسد فى شجاعته .. وكالبحر فى كرمه» .. الخ .

إن تقديم موضوعات القواعد بنصوص جيدة ملائمة لمنطق العصر ، وبصورة بعيدة عن التعقيد والتفاصيل المربكة والاستثناءات المتشابكة ، هى مسالة لا اعتقد ان هناك خلافا عليها .

٢ ـ ولكن بعد هذا يجمل بنا التنبه الى ان التبسيط نوعان : ما تعلق منه بالشكل والطريقة والأسلوب ، وهو ما اشرنا إليه ـ ولا خلاف عليه ـ ثم ما تعلق بالمحتوى وصميم اللغة وروحها وتكوينها العضوى ونسغها الحى ونموها التاريخى الذى اتحد بشخصيتها وكيانها .. وهنا لب المشكلة .. او خطورة دعوة التبسيط .. كيف يمكن «تبسيط» روح الكائن الحى .. واللغة من الكائنات الحية الملتصقة عضويا بحياة الانسان ونبض قلبه وحركة عقله ولسانه ؟

كيف يمكن «تبسيط» شجرة ضخمة جذورها متوغلة فى عمق الأرض .. وجذوعها وفروعها واوراقها وثمارها ضاربة فى السماء بطبيعتها ، كما انوجدت مع التاريخ ، مع الأجيال ، مع النور والماء والهواء ؟

هل تمكن احد من علماء الطبيعة «تبسيط» شجرة ـ مهما كانت اغصانها واوراقها متداخلة ومتشابكة ـ واعاد زرعها من جديد شجرة «مبسطة» بتركيب «ابسط» .. هل يمكن لمثل هذه التجربة ان تنجح .. وتحافظ على حياة الشجرة وروحها وطبيعتها ؟

تلك هي المسالة ..

التقيت بدعوة تبسيط اللغة فى شخص استاذنا الدكتور انيس فريحة استاذ الدراسات اللغوية بالجامعة الامريكية ببيروت ، واقتنعت حينئذ ـ مطلع الستينات ـ بمنطق هذه الدعوة التبسيطية وحيثياتها التربوية لمسايرة روح العصر وتمكين الطالب العربى من إجادة لغته بسرعة ليتفرغ بعدئذ للمواد الدراسية الأخرى وخاصة العلوم الحديثة التى تحتاج لجهد ووقت . وتحتاج اجيالنا لاستيعابها كضرورة مصيرية ..

ثم تسنى لى بعد عشرين سنة ان ابدا دراسة اللغة الفرنسية على يد اساتذة من اهلها .. واللغة الفرنسية كما هو معروف من لغات العالم المعاصرة الحية ، واكثرها جمالا ورقيا واقدرها تعبيرا عن روح الحضارة الحديثة خاصة فى نطاق الجماليات والفنون والاداب .. فهالنى كيف يتمسك اهل الفرنسية بقواعد لغتهم ، وكأنها نصوص مقدسة . ويقدمونها حتى للأجنبى الغريب .. كما هى بافعالها الصعبة المعقدة ، وطريقة املائها الأصلية . وطريقة لفظها الدقيق شبه المستحيل على اللسان غير الفرنسى ، دون ادنى تبسيط او تسهيل ـ اللهم إلا فى طريقة العرض السمعى البصرى ـ ومن اراد الفرنسية فلياخذها كما هى بكل استثناءاتها النحوية وعقدها اللفظية .. فهى هكذا خلقت ، وهكذا تنطق ، وهكذا تبقى .

بل إن اهل الفرنسية لم يشعروا بنقص لغتهم لانها لا تتضمن مثلا كلمة واحدة للرقم «سبعين» ، حيث يقولون «ستون وعشرة» ، ولا للرقم «ثمانين» ، حيث يقولون «اربع عشرينات» ولا للرقم «تسعة وتسعين» ، حيث يقولون : «اربع عشرينات ـ عشرة ـ وتسعة» !!

لم يخرج احد من علماء الفرنسية ليطلب تغيير هذه



الكلمات الحسابية وتبسيطها ووضع مصطلحات اسهل محلها على الرغم من اهمية الأرقام فى الحياة اليومية والعلمية ، وبالنسبة للكبار والصغار على حد سواء .. فلماذا يشعر علماء العربية بالنقص عندما يجدون فى لغتهم جمع التكسير وجمع المؤنث السالم ؟

إن ذلك من طبيعة اللغة وجوهرها ، بل من مظاهر جمالها وتفردها وخصوصيتها ، والتبسيط هنا إخلال بطبيعة الكائن اللغوى وليس علاجا له .

لنتصور امراة جمالها فى طول عنقها الزائد . او فى تشابك حاجبيها ورمشيها ، او فى وجود «شامة» على خدها لا توجد عادة على خدود النساء .. فهل من الطبيعى ان نطالب بتقصير عنقها الطويل الرائع بعملية جراحية ليكون طوله فى «معدل» طول اعناق الاخريات ؟ او نقصر شعر حاجبيها ونقصقص رمشيها ونزيل «الشامة» المتميزة المتفردة من فوق خدها لنجعلها «طبيعية» مثل بقية النساء ، وحسب المقياس العام الشائع لملامح بقية النساء ؟

اتصور ان الدكتور عيسى الناعورى سيفضل رؤية هذه المراة الجميلة بملامحها الفريدة المتميزة .. فلماذا لا يريد ابقاء لغتنا الجميلة بملامحها المحببة الى نفوسنا والسنتنا واسماعنا .. بحركاتها ، باعرابها ، بتفعيلاتها ، بنون النسوة فيها ، بجمع الجموع ، بمواضع الادغام ؟!

إن كانت المسالة مسالة مسايرة للعصر واستيعاب للحضارة الحديثة ، فان امما شرقية كاليابان والصين ، قد سايرت العصر واستوعبت التكنولوجيا ، رغم تعقيد لغاتها نحوا وحرفا وكتابة بما يفوق صعوبة العربية .. وكلمة السر هنا وجود الحيوية والقدرة والفاعلية فى نفس الأمة ، وليس التوصل الى تبسيط ما فى قواعد لغتها ..

ثم إننا نرى الاجيال العربية ـ كطه حسين والعقاد وميخائيل نعيمة ـ التى نشات على بلاغة اليازجى وسامى البارودى ـ بالاضافة الى تراثنا الاصيل القديم ـ قد استوعبت لغتها وابدعت فيها ، واضافت اليها ، مع استيعابها لحضارة العصر .. بينما نرى اجيالنا الجديدة التى نشات فى ظل مدارس تبسيط اللغة ، وتسهيل الأدب ، وتجديد الشعر تعانى من الحركة والعجمة وافتقاد الابداع .. الا ينبهنا هذا الوضع الخطير الى ان هنالك اصولا فى حياة الأمم لا تخضع للتبسيط والتسهيل ، وان العبث بها يوصلنا الى ما وصلت اليه مدرسة اللامعقول العربية المعاصرة من تشويش وركاكة وعقم ؟

ورغم كل التشتت والتمزق بين بلادنا العربية ، فقد بقيت لغتنا العربية ، لدى كل العرب على اختلاف منازعهم ، عاملا اساسيا من عوامل التوحيد التى لم تزعزعها النكبات .. بل إن اللغة العربية تتقدم وتنمو وتنتصر رغم تراجع اهلها .. فبالله عليكم دعوها وشانها ، كما هى ، حتى لا تمسها مذاهب التغيير والتطوير الرائجة الهشة فتصبح هى الاخرى جبهات ومعسكرات !

د. محمد جابر الانصارى

درويش مصطفى الفار

حول لغتنا العربية

التوضيح.. نعم التبسيط.. لا

ظل المفكرون من بنى آدم يتصورون ، لقرون عدة ، أن الأشياء حية أو ميتة ، ترجع فى مادتها الى التراب والماء والنار والهواء ، وإن من صفاتها الحرارة والرطوبة واليبوسة والبرودة ، ومن ذلك قام تصور خاطىء يقول بامكانية تحويل المعادن الدنيا الى ذهب ،حتى قال ابن سينا (٩٨٠ ـ ١٠٣٧م) ببطلان هذه الخرافة ، وأن الحقيقة هى أن الله خلق العناصر هكذا كما نعرفها ولا سبيل الى تحويل فضة أو نحاس الى نضار ... وكان هؤلاء الأقدمون أيضا يتحدثون عن الأتوموس أو (الجوهر الفرد) وهو الجزء من المادة الذى لا ينقسم ولكنهم لم يفرقوا بين أنواع الأتوموس ، حتى يطلع جون دالتون الانكليزى بنظريته الذرية سنة ١٨٠٣ ، وفيها قال إن ذرات كل عنصر تتشابه فيما بينها حجماً ووزناً وصفة كيماوية وفيزيائية ، وأن الذرة لا تنقسم فهى نهاية الصغر فيما خلق البارىء ، حتى ثبت بطلان ذلك سنة ١٨٩٦ حين اكتشف الفرنسى بيكريل أن ذرات العناصر تخرج اشعاعات خفية لا ترى ، وان من تلك الذرات المشعة تخرج أجزاء مادية من كهارب (اليكترونات) وذرات الهليوم ، أى أن الذرة تنقسم !!! وكان لفيف من عظماء الفيزيائيين منهم على سبيل المثال لا الحصر ، رذرفورد وطومسون وعلى مصطفى مشرفة ولينارد وكروكس وزيمان وشتارك ، قد اشتغلوا ردحاً من الزمان بأشعة المهبط وخطوط أطياف العناصر ، وأثبتوا وجود الاليكترون والبروتون كمكونات أساسية لكل الذرات ، وأن الفرق بين المادة والطاقة ما هو إلا فرق سرعة فقط ، واكتشف رونجتن الأشعة السينية فى هذا المضمار أيضاً وكذلك اكتشفت الأشعة الكونية الآتية من أغوار الفضاء البعيد .. وكان ماكس بلانك سنة ١٩٠٠ قد صاغ قانونه الذى يقول بأن الطاقة ليست مجرد موجات متصلة بغير انتهاء وإنما هى تتكون من ذرات أو وحدات تماماً كالمادة. وفى سنة ١٩٠٥ قال اينشتاين فى معادلة رياضية نظرية بامكان تحول المادة الى طاقة ، وتحقق ذلك عملياً سنة ١٩٣٩ على يدى هان وشتراسمان فى برلين وعرفه رجل الشارع سنة ١٩٤٥ بعد إلقاء القنابل الذرية على هيروشيما ونجازاكى !! وكان بوهر سنة ١٩١٥ قد وضع نظريته عن تركيب الذرة وأفلاك الكهارب المسالبة حول النواة الموجبة لتفسير خطوط الطيف ببساطة متناهية فلما اكتشف شادويك العبقرى النيترون سنة ١٩٣٢ تعقدت الصورة وتعدلت النظرية بما يكفل دخول النيترون فى القصة . ولما استعصت أفلاك الذرة عن الخضوع لرياضيات نيوتن كان لابد من علاج حركاتها بنوع جديد من الرياضيات فى ميكانيكا الكم ، وأبلى فى ذلك بلاء حسناً على مصطفى مشرفة وشرود نجر وهيز نبرج ودى برولى ومن اليهم من الأبطال كعبد السلام الباكستانى .. وتلى ذلك الآف من التجارب المضنية ملخصها باختصار أن الذرة ليست من البساطة بحيث نستطيع أن ندرك كنهها كل الادراك ونتصور حقيقتها صادق التصور بمجرد (التبسيط) الذى لا يمس إلا أفهام العوام ، فهى على صغرها كيان معقد لا يمكن تبسيطه بل توضيحه ومن شاء فليفهم ومن شاء فليسكت لأننا لا نستطيع أن نضرب صفحاً عن نتائج وقوانين ومعادلات بذل فيها العلماء كل جهد عظيم القدر فى تاريخ المعرفة البشرية لنواميس كون الله الفسيح .. وكذلك الأمر فى الفلك ، مجرات وشموس وملايين السنين الضوئية ومادة مضادة وبقع ظلامية ونجوم نوابض وتحركات لا يدرك مداها الحقيقى إلا الله ، بعد أن كان الأمر مقتصراً على تصور أن الأرض مركز الكون وأن ما حولها مما نراه ما هو إلا أضواء عارضة لا شأن لها !!! والمناداة بتبسيط هذا واغفال حقيقة تعقيده إستجابة لعاطفة العطف على ضعاف العقول والأفهام غير السوية إنما هى مناداة للانتصار للجهل وإحالة عقول البشر الى عقول عامة سطحية لا تود أن تبذل جهداً فى المعرفة أو متابعة الفهم الحقيقى المعقد لأسرار كون الله الواسع الفسيح .

وكذلك الشأن مع الخلية الحية ، إذ كان الطبيب العبقرى الرازى قد أدرك بالوجدان المرهف أن هنالك كائنات حية دون قدرة العين ، حين طلب اليه بانى بغداد العظيم أبو جعفر المنصور أن يبنى بيمارستانا (مستشفى) بالجهة المناسبة فطلب ذبح بقرة وفرق لحمها فى أركان بغداد ، واختار لبناء المستشفى ذلك الركن الذى كانت فيه لحمة البقرة آخر ما أصابه التعفن. وثبت بعد أن اخترع فان هوك المجهر ، وأجرى باستور تجاربه المشهورة ، أن حدس الرازى كان صادقاً وأن

هنالك عالماً لا تراه عيوننا هو عالم البكتريا والميكروبات والجراثيم والفيروسات ، وأن وحدة الكائن الحى ، نباتاً أو حيواناً ، هى الخلية.وأن الخلية جزء معقد من ملكوت الله وصنعته تفرز الانزيمات والفيتامينات والهرمونات وتصنع ما لا تصنعه المصانع الكبيرة ، وان أحد مكوناتها وهو الحامض النووى (مثلا) يحار العلماء حتى الآن فى الاتفاق التام على شكل جزيئه ، وأى محاولة لوقف القول بتعقيد تركيب الخلية الحية ، هى وهم فى أدمغة السطحيين الذين لا يفرقون بين (التبسيط) و (التوضيح) .

نفس الكلام ينطبق على تركيب البللورات والمعادن والصخور ... فكون الأشياء معقدة التركيب متعددة الأوصاف بعيدة الأغوار ، قد يستعصى فهمها على بعض مستويات العقول والافهام ، ليس عيباً فى الأشياء وإنما العيب فى الطريقة التى تستخدم لنقل صورة الأشياء الى تلك العقول والأفهام ... وكذلك نقول فى اللغة ، وأقصد اللغة العربية ... لقد بذل علماؤها ونحاتها ودارسوها من الفكر والجهد ما يدعو كل ذى خلاق للانحناء لهم تعظيماً وإجلالا .

وليس لعاقل حسن النوايا ان يعيب على هذه اللغة ويتهكم عليها ، وهى ان لم تكن تاج لغات البشر جميعاً ، فهى أسهل بكثير من لغات كثيرة يحترمها أصحابها ووجود المثنى ، ونون النسوة ، وواو القسم ، والمنع من الصرف ، والمفاعيل المطلقة ، والرفع والجر والفتح ، وصيغة منتهى الجموع ، وكان ذلك معناه ان : (هذه اللغة القرآنية الناضجة ، قد شاخت وهرمت وينبغى لنا البحث عن لسان آخر نتكلم به ، تمشياً مع العصر وإثباتاً للتقدمية !!!) ...

لا ... يا أيها السادة ، إننا لن نترك هذه اللغة ولن نستبدلها بغيرها ما بقى على الأرض إنسان ... ولسوف نظل نحترم ونقدس لغة القرآن بنحوها وصرفها وصعوباتها ... ولسوف نبذل الجهد والاصرار للعودة الى الطريقة الصحيحة التى يمكن بها تعلم لغة القرآن وهى معروفة واضحة ... كما هو معروف واضح كيف انحرفت طرائق التعليم فى بلادنا تقليداً أعمى ، بحيث أصبح مستوى الناطقين والكاتبين بهذه اللغة مستوى لا نحسد عليه فى هذه الحقبة من تاريخنا ، شأن عناصر أخرى كثيرة لا نحسد عليها ...

لابد من إعطاء أطفالنا (بتغيير نظم التعليم الحالية المدسوسة علينا) فرصة أكبر لتعلم لغتهم بكل صعوباتها بالغاء كثير من مواد التعليم الحشو ... إن دولا كثيرة معاصرة صعبة لغاتها ، وجدت أن الطريق لتعليم أبنائها ليس الشرود بهم عن لغتهم الى لغة معاصرة أو أكثر انتشارا ، بل علمتهم لغتهم وأقامت مؤسسات كبيرة جدا للترجمة فى كل مضامير العلوم والفنون ، ومن شاء أن يتعلم لغة أجنبية ، مع اتقان لغة أمه وأبيه فليفعل ، ولكن بدون تهكم أو ازدراء أو احتقار لجهود من سبقوه من أجيالها بالدرس والتمحيص والتصنيف فى قواعدها وبيانها ... إن أبسط الطرق لاستيعاب لغة القرآن هى فى القرآن ، فافتحوا القرآن مرة أخرى بحق واحترام ، فلن تجدوا صعوبة فى تعليم الأجيال لغة الضاد الخالدة ...

درويش مصطفى الفار

في العدد القادم :

أنت على موعد مع هؤلاء الكتاب :

- د. محمد إبراهيم كاظم
- د. حسن عيسى عبد الظاهر
- د. عبد العظيم رمضان
- أحمد العناني
- عون الشريف
- ناهض الريس
- إبراهيم أصلان
- أبو المعاطي أبو النجا
- مجيد طوبيا
- حمدي الكحلوت
- عبد الحميد محادين

إضافة إلى :

أبواب القراء

- رسائل إلى المحرر
- قرأت ورأيت وسمعت
- من تجاربي الشخصية



إنسان بلا حدود

شعر: محمد الفهد العيسى

احدودب الزمان
في دروب الشاعر الإنسان
وشاب في إهابه التاريخ
واستفاء ظله المكان
لا تغزل اسمه الحروف
ضاعت الحروف عند سفحه..
وضلت القيان
استجارت الحروف بوادي فيئه..
فكان

* * *

غام في فنائه القمر
ذاب عند خطوه الخطر
ذابت الأحقاد في آثاره..
لم تعد أثر
الحب من كفيه شركالندى
كالظل في أرجوحة السحر
كألف عقد من جمان
يعذب الأجاج عند شاطئيه..
يرتوي حنان
يا له..؟
إباء حر سيد إنسان



ليست بي حاجة إلى الحديث عن خطر العدو الصهيوني على العرب ، وبلادهم . ولا عن خطر توسعه الاستيطاني على حساب الوطن العربي لتحقيق هدفه المعلن في التوسع من : النيل إلى الفرات .

وليس هناك ما يحول بينه وبين تحقيق أهدافه المعلنة والسرية ، غير إعداد القوة الضاربة للعرب ، والادعاءات بأن الضمانات الدولية والمنظمات الدولية كافية لوضع حد للتوسع الصهيوني بدون قوة عربية ضاربة ، يكذبه الواقع المرير .

إن الضمانات الدولية في خدمة العدو الصهيوني وحده والقوى العالمية الكبرى تسند هذا العدو سرا وجهرا .

وقد أصدرت هيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن مقررات كثيرة حول القضية الفلسطينية ، ولكنها بقيت حبرا على ورق ، لأن العدو الصهيوني لا ينفذها ولا يلتزم بتطبيقها ، واللغة الوحيدة التي يخشاها ويرضخ لها هي لغة القوة ولا يخشى ولا يفهم لغة سواها .

والحرب الحديثة تعتمد العلم وتسخره لصالحها ، وتعتمد العلوم التطبيقية بخاصة لإنتاج الأسلحة المتطورة التقليدية ، وعلى رأسها السلاح النووي .

وقد اهتم العدو الصهيوني بالعلوم عامة والعلوم التطبيقية خاصة اهتماما كبيرا ، فاستقدم العلماء من الخارج ، وأعد العلماء حسب تخطيط دقيق ، واستفاد من هؤلاء جميعا في مجال إنتاج السلاح النووي .

السوقية الصهيونية

دأب العدو الصهيوني عن الزعم : بأنه جاء ليبقى ، وأن القدس عاصمته الأبدية .

ودأبت الدول التي وراء العدو الصهيوني ترديد مزاعم الصهاينة ، باعتبار أن الكيان الصهيوني قاعدة للاستعمار في السلم للحرب ضد المعسكر الشرقي في حرب متوقعة .

والسوقية « الاستراتيجية » الصهيونية التي تبنى عليها مزاعمها : هي التغلب على التفوق السكاني للعرب بالتفوق في مجال العلوم التطبيقية على العرب .

لذلك حرص العدو الصهيوني أشد الحرص على التفوق في العلوم التطبيقية على العرب من جهة ، وحرص أشد الحرص على حرمان العرب من الانتفاع بالعلوم التطبيقية بشتى الوسائل والأساليب ، ومنها نشاط الأيدي الخفية التي تحرض على هجرة العقول العربية إلى الدول الأجنبية التي هي مع العدو الصهيوني على العرب .

إن نفوس العدو الصهيوني لا تزيد على ثلاثة ملايين نسمة ، ونفوس العرب مئة وخمسون مليون نسمة ، أي أن العرب يبلغون في الوقت الحاضر خمسون ضعفا بالنسبة للعدو الصهيوني .

والعرب يزدادون بنسبة (٦٫٨) بالمئة سنويا في كل قطر ، بينما يعاني العدو الصهيوني من هجرة معاكسة ، بحيث أن عشر سكانه من يهود الاشكناز المثقفين هاجروا إلى الولايات المتحدة الأمريكية .

ومعنى ذلك هو أن الوقت مع العرب على العدو الصهيوني ، وأن العرب إذا تفوقوا على العدو الصهيوني أو أصبحوا في مستواه ، فإن الكيان الصهيوني يصبح في خطر محدق ، وهذا

ما يريده عقلاء الصهاينة ومنهم ناحوم جولدمان الرئيس السابق للمؤتمر الصهيونى العالمى .

لاعجب أن يجن جنون العدو الصهيونى حين يجد العرب يبذلون جهودهم فى مجال العلوم التطبيقية ، كما فعلوا ضد العراق خلال النصف الأول من هذه السنة ، فقد أثاروا ضجة عالمية عارمة منبعها الصهاينة ، لعرقلة مساعى العراق العلمية النووية للأغراض السلمية .

السلاح النووى فى العالم

فى اجتماع اليونيسكو الذى عقد فى شهر حزيران (يونيه) من سنة ١٩٧٧ فى باريس وحضرته نخبة من علماء العالم ومفكريه ، وحضره ممثلون عن العرب ، عرضت بعض الحقائق الثابتة عن إنتاج السلاح النووى فى قسم من دول العالم .

للقد وزعت على الحاضرين قائمة بالدول التي تمتلك السلاح النووى علنا ، وبالدول التى تمتلكه سراً ، ومن تلك الدول التى تمتلك السلاح النووى : العدو الصهيونى العنصرى .

ونشرت القائمة الموزعة فى أجهزة الأعلام العالمية فى مختلف اللغات فى حينه .

كما وزعت قائمة بالدول التى تستطيع إنتاج السلاح النووى حتى سنة ١٩٨٥ ، وهى عشرون دولة منها : الأرجنتين ، وكوريا الجنوبية ، والبرازيل ، وتركيا ، ويوغسلافيا ، والمانيا الغربية ، والسويد ، واستراليا ، واسبانيا ، وسويسرا ، وبلجيكا ، وهولندا ، ومصر ، والباكستان

وهذا بالطبع خارج نطاق الدول الست الأعضاء فيما يسمى بالنادى الدولى النووى : الولايات المتحدة الأمريكية ، والاتحاد السوفياتى ، وفرنسا ، وبريطانيا ، والصين الشعبية ، والهند .

وهذه الدول مع العدو الصهيونى ، وقسم منها مع العرب فى نطاق التصريحات الكلامية التى لم تبلغ أبدا حد التنفيذ العملى .

أما الدول التى ستنتج السلاح النووى حتى سنة ١٩٨٥ ، فاكثرها مع العدو الصهيونى بشكل أو باخر ، عدا تركيا ، والباكستان ، ومصر .

وهذه الدول التى مع العرب ، بحاجة ماسة إلى العون المادى والعلمى ، فلابد من تعاون العرب فى دعمها لتنتج هذا السلاح .

عوامل إنتاج السلاح النووى الصهيونى

أولا : تيسر العلماء :

انشتين صاحب النظرية النسبية وابو الذرة الأول يهودى ، وأكثر علماء الذرة فى العالم يهود ، فقد نزح إلى الولايات المتحدة الأمريكية وحدها بعد الحرب العالميه الثانية من المانيا والمجر وإيطاليا من علماء الذرة الصهاينة عدد ضخم من العلماء ، يكفى ان نذكر منهم (فيرمى) و (تيلر) و (ويلر) و (زيلارد) ... الخ .

وقد كان رئيس لجنة الطاقة النووية فى الولايات المتحدة الأمريكية حتى سنة ١٩٦٦ يهوديا .

واثبتت محاكمات العلماء الذين فشوا أسرار السلاح النووى إلى الاتحاد لسوفياتى والصين الشعبية فى كل من لولايات المتحدة الأمريكية وكندا وبريطانيا من امثال الدكتور (فوكس) وزوجته ، ان هؤلاء العلماء يهود .

فاذا آفشى علماء الطاقة النووية أسرارها للاتحاد السوفياتى والصين الشعبية ، فليس من المعقول ان يحجموا عن إفشاء تلك الأسرار للعدو الصهيونى !!

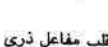
ثانياً : تيسر الأفران والمواد النووية :

هناك اربع مفاعلات نووية وخمس مسرعات لدى العدو الصهيونى فى الوقت الحاضر .

وقد زودت فرنسا العدو الصهيونى بكمية من البلوتونيوم ، كما أصبح فى وسع أية دولة شراء هـذا المعدن من الأسواق العالمية .

كما اكتشف العدو الصهيونى اليورانيوم فى منطقة صحراء (النقب) قبل سنة ١٩٦٠ ، وهذا المعدن متيسر فى منطقة البحر الميت والمنطقة المجاورة لحمامات (الحمة) ، كما استورد العدو الصهيونى الأجهزة لتصفية اليورانيوم .

وقد أصدرت جمعية السندات الصهيونية فى الولايات المتحدة الأمريكية فى أيلول (سبتمبر) من سنة ١٩٥٧ تقريرا بقلم الخبير الاقتصادى الأمريكى (ليون كيسر لنك) جاء فيه : «إن الصهاينة يقومون بأبحاث لصناعة الماء



قلب مفاعل ذرى



الثقيل ولاستخراج اليورانيوم من مناجم الفوسفات فى صحراء (النقب) ..

وقد استورد العدو الصهيونى كمية من الماء الثقيل من فرنسا ، كما أن معهد وايزمان للابحاث العلمية اكتشف طريقة جديدة لانتاج الماء الثقيل نتيجة لجهوده التى بدات سنة ١٩٥٧ .

ثالثا : تيسر المال :

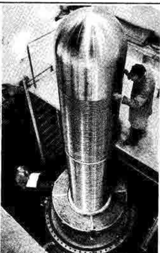
من المؤسف حقا ، أن تردد بعض أجهزة الأعلام العربيه ، أن العدو الصهيونى يعانى من ضائقة مالية خانقة ، وانه فى عوز شديد وفقر مدقع ، فتعاون هذه الأجهزة من حيث لا تدرى العدو الصهيونى على كسب عطف العالم وتسهيل مهمة الصهيونية العالمية لجمع الأعانات الضخمة والتبرعات والمساعدات من يهود العالم وغيرهم لدعم العدو الصهيونى .

وكل يهودى فى العالم ، فى ماله حق معلوم شهريا للعدو الصهيونى .

إنهم مسيطرون على المصارف العالمية وعلى المضاربة فى الدول الرأسمالية ، وعلى الأسواق العالمية ، وعلى السوق الأوروبية المشتركة .

والواقع أن العدو الصهيونى ليس فقيرا ، كما تصوره أجهزة إعلامه الموجهة فتنقله أجهزة الأعلام العالمية ، وتردده


مولد للطاقة الذرية داخل مركز للبحوث



أجهزة الأعلام العربية دون روية ولا تمحيص .

وهنا اذكر بفقرتين فقط من فقرات بروتوكولات حكماء صهيون .

الأولى نصها : «السيطرة على مصادر الثروة فى كل قطر ، وإحتكار الصناعة والصيرفة فى جميع أنحاء العالم ، والاستعانة بالمضاربات للتلاعب فى مقدرات الدول الاقتصادية والسيطرة عليها من هذا الطريق» .

والثانية نصها : «السيطرة على وسائل الأعلام والدعاية والنشر ، كالصحافة والأذاعة والخيالة والأدب والفن والمسرح ... الخ ... فى أقطار العالم المهمة ، وتسخيرها لمصلحة الصهيونية العالمية» .

إن هاتين الفقرتين يجب أن تكونا معروفتين لكل من يعمل فى أجهزة الأعلام العربية .

اما أن تنشر أجهزة الأعلام العربية ما تقرا ، وتذيع ما تسمع ، فهذا ما يتمناه العدو الصهيونى !!

لقد أمدت الولايات الأمريكية العدو الصهيونى بألفى مليون دولار وثلاثمائة مليون دولار خلال ١٩٧٧ ، وهذه هى المبالغ المعلنة، ولا أحد يعرف حجم المبالغ غير المعلنة . وقد تصاعد هذا المبلغ خلال السنوات التالية حتى بلغ اكثر من ثلاثة آلاف مليون دولار سنة ١٩٨٠ !

كما أن الاموال تتدفق على العدو الصهيونى من مصادر الصهيونية العالمية : تبرعات ، وإعانات وخبرات .

أين يجرى العدو تجاربه

رابعا : التجارب النووية :

يبدو لأول وهلة ، أن العدو الصهيونى سيجابه مشكلة كبيرة فى محاولته إجراء تجاربه على أسلحته النووية .

إن بريطانيا أجرت تجاربها النووية فى صحراء استراليا ، وفرنسا أجرتها فى صحراء الجزائر قبل استقلالها وفى المحيط بعد استقلال الجزائر كما تفعل الآن .

فأين يمكن أن يجرى العدو الصهيونى تجاربه ؟!

يمكن أن يجريها فى البحر قرب ساحل الأرض العربية المحتلة فى فلسطين ، ويمكن أن يجريها تحت الأرض ، ومن المعروف أن التجارب تحت الأرض لاتقل أهمية عن التجارب فى الجو .

وقد يستغنى عن تجارب الانفلاق النووى ، لأن العدو الصهيونى قد استفاد من تجارب الآخرين ، واستحوذ على عصابة علماء الذرة من اليهود ، فضمن بذلك دقة إنتاجه النووى إلى درجة لا يحتاج معها إلى تجارب جديدة .

وهذا المسلك يلائم مسلك الصهاينة الفطرى إلى الاقتصاد بالنفقات ، وتسخير خبرات الآخرين لصالحهم .

كما أنه يلائم موقف العدو الصهيونى من عدة وجوه : يساعده على كتمان وجود السلاح النووى فى حوزته ، ويجنبه استثارة الرأى العام العالمى بعامة والرأى العام العربى بخاصة .

كما أن الغرض الرئيسى من إجراء هذه التجارب ، هو تطوير السلاح النووى وتحسينه ، وليس التأكد من الانفلاق النووى ، لأن الأنفلاق مضمون تماماً ، وقد رأينا كيف أن قنبلة (هيروشيما) فى اليابان ألقيت دون أن تجرب .

وقد أشارت بعض التقارير العلمية التى نشرت سنة ١٩٦٦ ، إلى أن السلاح النووى الصهيونى سيكون جاهزا فى أواخر أيلول (سبتمبر) من سنة ١٩٦٦ ، فأحدثت هذه الأنباء ردود فعل مختلفة على الصعيدين العربى والدولى .

وظن معظم العرب حينذاك ، أن هذه الأنباء ليست إلا من الأشاعات الكاذبة ، إلا أن المصادر العلمية المتيسرة أشارت إلى إمكان حدوث تجربة نووية فى مكان ما من صحراء (النقب) على عمق لايقل عن (٨٠٠) متر تحت الأرض .

لقد كان فى الولايات المتحدة الأمريكية أحد عشر مهندساً نوويا من الصهاينة ، أعيدوا إلى الأرض العربية المحتلة ونقلوا حال عودتهم للعمل فى صحراء (النقب) ، فاشرفوا هناك على الأعمال الفنية لأعداد النفق والحفرة التجريبية فى الصحراء .

وقد أكد كل من العالم اليونانى (كرامور تزانوس) الذى عاد إلى بلاده من

الأرض العربية المحتلة فى فلسطين بعد ان قضى سنة فيها للتدريب على العلوم النووية ، والطالب القبرصى الذى عاد إلى بلاده ايضا بعد أن قضى ستة اشهر فى مركز نووى صهيونى ، ما شاهده فى الأرض العربية المحتلة فلسطين ، من إنشاءات نووية ضخمة ومحطات مراقبة الاشعاع النووى ومنشئات للحماية المدنية من الاشعاع النووى .

كما ان احاديث قسم من العلماء الاجانب ، ايدت حدوث تفجير نووى باطنى فى الأرض العربية المحتلة فلسطين خلال شهر تشرين الاول (اكتوبر) من سنة ١٩٦٦ .

كما لاحظ العلماء ، أن نسبة تركيز الاشعاعات النووية قد ارتفعت فى مياه البحر الأبيض المتوسط قرب المياه الأقليمية للارض العربية المحتلة فلسطين خلال شهرى ايلول (سبتمبر) وتشرين الأول (أكتوبر) من سنة ١٩٦٦ ، وكانت نسبة الارتفاع فى العينات العميقة التى حللوها أكثر من العينات السطحية . ويعتقد العلماء ان السبب يرجع إلى تفجير نووى تحت سطح الأرض ادى إلى ارتفاع مستوى شدة الاشعاع فى مياه البحر الأبيض المتوسط العميقة ، وان انتشار الاشعاعات كان من اسفل إلى أعلى .

وقد استنتج العلماء ، أن العدو الصهيونى اجرى تجربة نووية تحت سطح الأرض فى تشرين الأول (اكتوبر) من سنة ١٩٦٦ ، وهذا ما يؤكده خبراء التفجيرات النووية استنادا إلى التحليلات والحسابات التى اجروها .

وتوالت اخبار تجارب العدو الصهيونى فى باطن الأرض العربية المحتلة فلسطين وفى منطقة صحراء (النقب) بالذات ، وتوالى نشر اخبار تلك التجارب فى الصحف والمجلات والمصادر العلمية المتعددة فى العالم ، وفى نشرات معاهد الدراسات السوقية الفرنسية والبريطانية والأمريكية ، ولكن العدو الصهيونى كثف تعتيمــه على تلك التجارب ، وبالغ أشد المبالغة فى كتمانها فهو دائب على نكرانها ثابت على التظاهر بعدم إجرائها .

وبلغ العدو الصهيونى من التعتيم والكتمان حدا منع فيه ممثلى الكونجرس الأمريكى من زيارة مفاعل (ديمونا) النووى ، ومنع الخبراء العالميين غير الصهاينة من زيارته ايضا ، بينما سمح بزيارة المفاعلات النووية الصهيونية الأخرى .

والغريب فى الأمر ، ان اعضاء الكونجرس الأمريكى الذين قدموا الأرض العربية المحتلة فلسطين لزيارة مفاعل (ديمونا) الصهيونى ، هم من غلاه المؤيدين للعدو الصهيونى ، وقد جاءوا ليروا ثمرات دعمهم لهذا العدو ، فردوا خائبين على اعقابهم بشكل جازم .

كما ان اكثر الخبراء العالميين فى العلوم النووية الذين قدموا لزيارة مفاعل (ديمونا) الصهيونى ، سبق لهم مساعدة العدو الصهيونى فى إرساء دعائم هذا المفاعل وغيره من المفاعلات النووية الصهيونية ، وعلموا الطلاب الصهاينة فى داخل الكيان الصهيونى وخارجه ، قد ردوا على اعقابهم خائبين دون ان يسمح لهم بزيارة مفاعل (ديمونا) .

وكان منع اعضاء الكونجرس الأمريكى، والخبراء العالميون سنة ١٩٧٦ ، قد أثار ضجة عالية واستنكارا ، ولكن الضجة والاستنكار لم يؤثرا فى العدو الصهيونى ولم يخرجا ابدا من نطاق الكلام ، دون أن يتلقى الطفل المدلل من أسياده ما يستحق من عقاب .

وهكذا عصى العبد سيده ، والطالب أستاذه ، بعد ان استمكن وحقق ماربه وهذا هو دأب العدو الصهيونى ، له مصالح وليس له صديق .

نشاط صهيونى محموم

فى الوقت الذى يبذل العدو الصهيونى نشاطا محموما فى مجال التفوق العلمى التطبيقى على العرب بخاصة والمسلمين بعامة ، يبذل نشاطا محموما لحرمان العرب والمسلمين من منافسته فى مجال العلوم التطبيقيــة بوســـائل الفرصـــنة والتجسس والاغتيالات غير المشروعة ، لان منافسة العرب والمسلمين للعدو الصهيونى إيذان ببدء العد التنازلى لنهاية الكيان الصهيونى البغيض .

ولم تعد فرصنة العدو الصهيونى فى عرقلة شحن الاسلحة والمواد العلمية مجهولة ، كما لم يعد نشاطه التجسسى فى معامل الاسلحه والمفاعلات الاجنبية مجهولا ، كما أن اغتيال الدكتور يحيى المشد احد العلماء العرب فى باريس معروف .

ولعل القرصنة الصهيونية فى تهريب اليورانيوم دليل على اعتماد العدو الصهيونى على كل وسيلة مشروعة وغير مشروعة فى مجال التفوق العلمى التطبيقى على العرب والمسلمين ، ودليل على إقدامه على كل وسيلة ممكنة لتحقيق هذا الهدف .

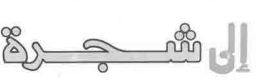
فقد اذاعت وكالات الانباء العالمية ، ومنها الأمريكية بالذات ، فى يوم ٢٠ اب (اغسطس) من سنة ١٩٧٧ ، وذلك بعد اكتشاف قرصنة الصهيونية وانتشار رائحة الفضيحة فى الصحف ، انه تم تهريب كمية ضخمة من اليورانيوم يزيد وزنها على (٩٣) كيلوغراما من إحدى الشركات الامريكية فى ولاية (بنسلفانيا) سنة ١٩٦٦ ، تكفى كل عشرة كيلوغرامات منها لانتاج قنبلةنووية واحدة .

والجدير بالذكر ، ان (زالمان شابيرو) مدير شركة (ابولو)الامريكية التى تسرب منها اليورانيوم إلى العدو الصهيونى ، أعلن أثناء التحقيق معه سنة ١٩٦٦ ، ان كمية اليورانيوم المهربة ربما تكون قد القيت عن طريق الخطا فى إحدى المستودعات الخاصة بالنفايات !!

وقد اذيع يوم ١٥ ايار (مايو) من سنة ١٩٧٨ ، تهريب حوالى عشرة كيلوات من اليورانيوم من نفس الشركة الأمريكية وبنفس الأسلوب ، وقد وصلت تلك المادة إلى العدو الصهيونى !

فهل يصدق عاقل ، أن هذا التهريب لهذه المادة الحيوية الثمينة ، يمكن أن يجرى صدفة وبدون اتفاق سرى مبيت ؟!

محمود شيت خطاب



شعر : جليلة رضا

ارجوك .. لا تقفى امامى فى فضول قاتل
لا تسالينى كيف جئت .. ومن انا .. لا تسالى
فلسوف امنحك الحقيقة .. فاستعدى لاستماعى
ولسوف انتزع القناع لكى اراك .. بلا قناع
ولسوف احكى الآن سر تطفلى .. فتمهلى

انا جئت فى هذا المساء لكى اعيش مع الصفاء
أتتبع الأشياء وهى تفر من وجه الضياء
إنى اتيت أفاجىء الصمت المعشش فى الشجر
وانام عند الجذع راضية .. كما يغفو الثمر
فلقد تعبت من التخيل والتمنى والرجاء

● ●

انا ليس لى فى البيت ركن كى انام على فراشى
كل الرغاب هناك تحتل المقاعد والمماشى
رغبات أعوامى الطوال قبعن فى بيتى حيارى
ومشين فى الحجرات جيشا ظامئا يطوى الصحارى ـ
ولذا اتيت مع المساء لأستبيح رؤى التلاشى !

● ●

انا جئت يا نبع الصفاء لكى اعيش مع السكون
لكننى ما كدت اجتاز الربى .. تحت الغصون
حتى سمعتك تصرخين .. وتصخبين على التياع :
وما هذه الضوضاء تبعثها الطيور بلا انقطاع ؟!
فلتشكتى ابناءك المتهورين الطائشين !

● ●

ماذا بهم هذا المساء ؟ .. فقد تمادوا فى الصياح ؟
أيكون هذا الليل عند الطير ليس له صباح ..
أم يا ترى جنوا بوقد الحب فاعتزلوا الرقاد
وتقاسموا الآمال والأحلام فى ظل السهاد
ويحى ! .. فررت من الجراح .. لكى اضم هنا .. الجراح !

● ●

انا لى لديك ، كما لهم ، ركن بحضنك يا شجيره
انا لى هنا حق التعبد .. راهبا .. قد جاء ديره
انا لى التوغل فى دجاك ولى التأمّل فى فضائك
انا لى الذى قد طرزته يد الطبيعة فى ردائك
.. اوليس لى قلب كقلبك .. ناعم مثل البحيره ؟

● ●

اوليس بى شوق الطيور وفى دمى سر الخميله
ومنى كاوراق الغصون تمد لى كفا ظليلة
هى كلها احلام قلب يحتسى كاس الخيال
هى كلها امال حس مرهف يهوى الجمال
حسبى احس بها تعيش .. وإن تراءت .. مستحيله

حسّـــان عطـــوان

اتجاهات الشعر الخليجي في مرحلة ما بعد ظهور النفط

أظن أن المحاولة الأولى ، لوضع مرتسمات الشعر العربى فى الخليج (في مرحلة ما قبل النفط) .. كانت قد تطرقت إلى جملة قضايا .. أراها مدخلا أساسياً لفهم مرحلة الشعر العربى فى الخليج (ما بعد النفط) .. واتخذت المحاولة فى سعيها لتاصيل ورسم ملامح ذلك الشعر .. عدة محاور .

(الشعر التقليدى) السلفى ، وعني (شكلا ومضمونا) بمحاكاة القصيدة العربية (الجاهلية..) من حيث البناء الهندسي ، ووحدة البيت والوقوف على الأطلال ، والنسيب .. ومن ثم المديح .. أو الدخول إلى غرض الشاعر .. فابيات من الحكمة .. كان ذلك يحدث فى كل قصيدة شعرية .. على وجه التقريب .. لشعراء مرحلة التقليد الكربونى .. للقصيدة العربية ، وفى يقينى أن ذلك الشعر كان هابطاً .. من الناحية (البنائية) و (الفكرية) .. واذا تتبعنا (الشعر الخليجي) فى تلك المرحلة .. وأغراضه الشعرية وجدناها .. تتراوح بين :

أ ـ شعر المديح الدينى :

إذ واكب هذا التيار الشعرى فى الخليـج ، بدايات تأسيس المملكة العربية السعودية . وما نشأ على هامش هذا التأسيس من (حرب) صغيرة .. بين القبائل المتناحرة ، وما آلت اليـه الأمور بعد ذلك من استتباب السيادة «لآل سعود» .. فكان هذا التيار يضع شعره فى إطار (مفهومات دينية مدحية) .. إذ برزت له القضية الجوهرية فى تأسيس الكيانات السياسية آنذاك على صورة (اسلامية) .. فرأيناهم يسوغون العنف والبطش كما تجلى ذلك لدى الشاعر (أحمد بن مشرف عام ١٨٦٨) .. إذ زاوج بين تسويغ العنف السياسى . لاستتباب الكيانات السياسية . وبين المديح للحاكم المنتصر .. وتعتبر القصيدة لدى (ابن مشرف) نسخاً كربونياً عن قصائد المعلقات .. والقصائد الجاهلية . حريصاً علـى (الاسـتعارات والكنايـــات والتشبيهات البلاغية) وما إلى ذلك من ضروب فن (القصيد) النمطي (السلفي) .

ويكاد (ابن عثيمين) (١٨٥٣ ـ) يكون مثالا آخر يعضد ما نذهب اليه من رأي فى هذا (الاتجاه الشعرى الخليجى السلفى) ..

ب ـ شعر المديح السياسى

وقد برز هذا الغرض الشعرى فى القصيدة العربية لشعراء الخليج ، مع تصاعد الحس الجماهيرى العربى القومـــي .. والهبات والانتفاضـــات الشعبية التى دخلت جولات الغضب العارم ضد الاستعمار المخيم على (الخليج) بكل وطاته ومرارته .. فكان هذا الشعر استجابة موضوعية . لواقع النهوض الوطنى فى دول الخليج العربى . ويكاد (الشاعر خالد الفرج ١٨٩٨ ـ ١٩٥٤) يكون أصدق وأبرز نموذج شعرى .. لا بل ـ أكاد أوقن ـ أنه أعمق شاعر خليجي ، نفذ بجدارة وتصميـــم الى صلب الأحـــداث السياسية وخلفياتها .. فحمل وتحمل بصبر وكرامة ، تبعات موقف الشاعر الملتزم .. اغتراباً وتشرداً بين الهند ، والبحرين . والكويت ، والعراق ، والسعودية ، وأخيراً (دمشق الشام حيث مات) ..

كان يزاوج بمقدرة فكرية ووضوح بين (الأنا / الشاعر) وبين (مجموع الشعب)

ج ـ شعر الفلسفة والحكمة والطبيعة ...

وهذا الغرض الشعرى الذى حاوله شعراء الخليج .. يصرح مضامين فكرية وفلسفية ، بتأثير من ثقافات (هندية) و (فارسية) وأحياناً (لاتينية) .. واتخاذ وسائل (بنائية فى القصيدة) تكاد تكون رائدة فى شعرنا ، إذ وجدنا لدى الشاعر (ابراهيم العريض) أشـــكالا متعددة للقصيدة (الملحمية) و (القصص الشـعرى) .. مصحوباً برؤية فلسفية تعيدك آليا وبلا تردد إلى أشعار (الشاهنامة) والفردوسى ـ والفيروز أبادى ـ وأجواء فلسفة الهند القديمة ، وأشعار طاغور وأحياناً الخيام ، كل هؤلاء لهم أصداء وبصمات فى شعر (العريض) .. لكنه صدر عن صوت خاص به ورؤية تنأى به عن التقليد ، الأمر الذى يجعله شاعراً كبيراً بحق بين شعراء العربية الأوائل ..

د ـ شعر الغربة والعدم والرفض ...

وأكاد أقول إن السمة الشعرية التى وسمت أشعار جيل (صقر الشبيب) و


فهد العسكر


ابراهيم العريض


علي عبد الله خليفة

(فهد العسكر) .. (والشعراء العميان) الذين فقدوا نعمة البصر .. هي الغربة والرفض والانسحاب من الحياة ، راحوا يبثون الغرف المظلمة الرطبة مواجع افئدتهم المريرة .. فانهالوا على الحياة غضباً عارماً وصراخاً مكبوتاً يشق قلب الليالي .. ولا أظن أن هؤلاء الغاضبين من شعراء الخليج أخذوا حقهم من الدراسة الفنية والفكرية .. لأسباب أرجعها — من وجهة نظرى — إلى :

أ — رفض الواقع لهم .. (المجتمع ، وأسرهم ، وأصدقاؤهم لهم) ..

ب — ضياع وتلف أعمق أشعارهم .. لدواعى عدم تدوينها او إحراقها .

جـ — حالات القنوط والاحباط الرهيب الذي تعرض له هؤلاء الشعراء (الغاضبون) والذى دفعهم إلى الصمت الذى أسلمهم بزراية للموت فالنسيان .. (يقول الشبيب) ..

وحسبك أنني أعمى مقــــل
يضـــاع فى الكويت بلا طــلاب
مقامى صـــفر كف فى أنـــاس
تعـــد المعسرين مـن الــكلاب

أقول : يجدر بنا (نحن الدارسين والكتاب العرب) أن نؤرخ لهؤلاء المنسيين ، وننفذ إلى أعماق ابداعاتهم — على ضوء معطيات النقد المعاصر .. ولا سيما الاتجاه (النفسي) فى النقد ..

الشعر وواقع الكيانات السياسية

مع ظهور الكيانات السياسية العربية فى الخليج ، أخذت ملامح صحوة .. ونهوض فكرى تخلى مواقعها الثقافية القديمة لتنتقل عبر (وعى شديد) فى التجذر الوطنى والقومى لانسان الخليج باحثـــاً عن انتمائـــه (الروحـــى) و (السياسى) ، لتوكيد نموذج (المثقف الخليجى المعاصر) وبدا واضحاً أن هذا الانتماء الثقافى ، أخذ يعلن التصاقه وخصوصية رؤاه عبر واقع الكيانات السياسية الخليجية .. ولم يكن متخلفاً فى أى حال من الأحوال .. عن النهوض العام (اقتصادياً) و (سياسياً) و (اجتماعياً) وإن كان من موضوعية القول ، أن نشير إلى أن الجو الثقافى العام لم يكن قد حدد أطره وملامحه بوضوح .. فكان متردداً بين نزوعه السلفى ، وتوقه إلى مواكبة العصر .. ولم تطل فترة التردد .. فأعلن عن هوية حداثته ..

كانت المنطقة ، تمور بالأحداث ، وكان الاستعمار يلفظ آخر أنفاسه .. مع تصاعد الانتفاضات الجماهيرية الغاضبة والمنادية (بالحرية) .. وكان صوت (عبد الناصر) يعلن نهوض القومية العربية .. بعد أن كسر (رأس الرمح القاتل) عبر تحطيمه قواعد الاستعمار فى المنطقة ، وتحركه التاريخى القومى لدعم مواقع (الوطنية المستنيرة) فى الوطن العربى فكان الخليج ، يرد الصدى .. ويتسلم هوية الانتماء القومى الصريح .. من هنا .. بدأ الجو الثقافى العام فى الخليج ، يمد جسوره عبر (القاهرة) و (بغـــداد) و (دمشق) ولعل أبرز المواقع الثقافية الخليجية والتى تفاعلت بقوة وهزتها الأحداث القومية ، تكاد تكون (البحرين) و (الكويت) .. لعدة أسباب منها ..

١ — انتشار التعليم والمدارس فى فترات مبكرة ساعدت فى التوعية وايقاظ المشاعر القومية .

٢ — فى عام ١٩٣٤ انشئت أول مطبعة لتنشر الكتاب الذى ساهم فى نهوض الوعى الخليجى .

٣ — ارسال البعوث الطلابية إلى أوربا لتلقى العلم والعودة للمشاركة فى التنوير .

٤ — تعدد الأندية الثقافية .

٥ — انتشار الصحف والدوريات الثقافية والسياسية .

٦ — انشاء مجالس الشورى ..

الوطنية الاصلاحية

ولعل أغلب شعراء الخليج قد تفاعلوا مع الأحداث القومية العربية . وكتبوا من خلال ذلك شعراً وأدباً يحث على اتخاذ كل الأسباب التى من شانها أن تؤكد مواقع الحضارة العربية ، وبأسلوب وعظى وإصلاحى يقول الشاعر «محمد بن عيسى آل خليفة» .

يابنى العــرب أفيقوا مالكم
تتناجـــون بلوم وتـــلاح
كثرة الأقـــوال لا تنفعــكم
اعملوا فالله يهـــدى للنجاح
انشروا العــلم أقيمــوا صرحه
فمنـــار الحق لا يمحـــوه ماح

ولقد كانت هذه الاصلاحية ، استمراراً لأدب وثقافة العشرينات من القرن العشرين والتى شهدها الخليج العربى ، مع تصاعد حدة حركة مقاومة النفوذ الغربى وضد الضغوط الاستعمارية فى المنطقة العربية . وكان (يوسف القناعى) أديباً خليجياً إصلاحياً — هو الآخر — غير أن تحولا نوعياً طرأ على الفكر الثقافى الخليجى . ليغادر (الاصلاحية) إلى (التوفيقية) بين التراث والمعاصرة .. ولنشاهد نماذج أدبية وشعرية تحاول أن تقرأ التراث قراءة معاصرة . على ضوء معطيات العصر .. وهذا ما نلاحظه فى أدب (جيل الشعراء الشباب) .. ويأتى الشاعر (على عبد الله خليفة) كأبرز مثال على هذا التيار .. «وسأفرد له دراسة ملحقة فى موضع آخر» وأعود إلى تسلسل خطوات البحث .. لنرى .

اتجاهات الشعر الخليجي
في مرحلة ما بعد ظهور النفط

تيار المواجهة

وهذا التيار الشعرى .. وقف فى مواجهة الاستعمار والظلم منددأ وفاضحاً ألاعيب القوى العظمى لتبديد طاقات شعب الخليج العربى .. فيقول الشاعر (ناصر سليمان بو حميد) .

من لهذى الأوطان أرهقها الظلم
فضجت من غفلة الأبناء
لا أرى من مباهج الشعب إلا
صرخات مكبوتة الأصداء

وهذا الصراع الواعى الذى تمثله شعراء تيار المواجهة ، كان يتسم حيناً بالانفعال وغالباً ما كان الشعر يقدم الحل والبديل .. فيقدم (عبد الرحمن المعاودة) .. حلا لتطهير الأرض من الغزاة .. وهو السيف .. يقول .

إذا الطغاة تمادوا فى ضلالتهم
يقومون بحد السيف والأسل
عهد لنا كان بالأسلاف مزدهرا
فهل يكون لعود فيه من أمل
إنى أرى حاضر البحرين ينذرنا
بما تخبؤه الايام من علل
إذا توانيتمو فى سعيكم ذهبت
بلادكم ثم بؤتم بعد بالفشل

ولأن هذا التيار كان يعى أسباب ومسببات السقطات والتحديات .. فقد نبه بحزم وبنوع من النقد الذاتى الايجابى لما ستؤول اليه العاقبة والمصائر إذا لم يوضع حد للتردى ..

ويكاد يندرج تحت هذا التيار الشعرى .. مواقف الشعراء الخليجيين الذين رصدوا واقع الانتفاضات الجماهيرية ، والمظاهرات الطلابية الحاشدة بسقوط الاستعمار ورحيله فى فترة الخمسينات من الخليج ، ولقد صور الشعر المجازر التى ارتكبها المستعمرون بحق المظاهرات الطلابية .. التى احتشدت منددة بطرد (ألف وخمسمائة عامل عربى) من شركة (بابكو الأميركية ، وهذه الأحداث عرفت بأحداث مارس المجيدة عام ١٩٥٦ فسقط فيها الشهيد (عبد الله حسين نجم) .. عامل عربى خليجى فقير .. حوله (على عبد الله خليفة) الى رمز للثورة والبذل والموت الملتزم ، فيقول :

كبرت بنت البستين . تنامت
فى رياح المستحيل
كانت السقيا .. دماء
كنت (عبد الله) تاريخاً من الذل
وللفقر وعاء
رافض أنت ومرفوض عنيد
عبر تاريخ الولاء
إننى اليوم تذكرت أباك
عندما قال أريد
أى وحق الشمس إذ تشرق يوماً
إننى دوماً أبوها وأريد
فاذا مت ساحيا
كل يوم سوف أحيا من جديد ..

أجيال الشعر الخليجى الحديث

فما هى اتجاهات هذا الجيل الشعرى الذى تفتح على وعى حضارى جديد ، لاسيما بعد النقلة (الاقتصادية) المفاجئة .. اثر ظهور النفط فى الخليج العربى .. أتراهم تواءموا مع المرحلة الجديدة ؟!! . أم استساغوا معطيات هذه النقلة ؟!! أم انهم ظلوا مرتبطين بواقع مرحلة ما قبل النفط ؟!! .. هذه أسئلة تفرض نفسها وبالحاح .. ونحن إذ نتصدى لمحاولة رسم إطار لثقافة أجيال ما بعد النفط .. فلابد أن نحدد (وبموضوعية) اتجاهات هذه الأجيال الشعرية ، الخليجية .. والأغراض التى طرقوها .. والمفاهيم التىبلوروها فى رؤيتهم الشعرية .. وأجدنى قبل أن احدد تلك الاتجاهات .. أقرر جملة حقائق موضوعية .. أراها على النحو التالى ..

١ ـ تأثر هذا الجيل الشعرى بمعطيات وأطر الثقافة العربية والعالمية المعاصرة بشكل ملفت للنظر ..

٢ ـ الصدق المطلق الذى يصل إلى حد الجرح والنزيف دون مداراة أو تملق للذات أو للواقع الموضوعى .

٣ ـ ظهور اتجاهات انسانية وسياسية فى هذا الشعر ، تتساوق مع خصوصية الانتماء الوطنى والولاء القومى .. والتجذر فى التراث .. رغم الأشكال الحديثة للبنى الهندسية فى القصيدة الحديثة ..

٤ ـ الوعى الحار لارتكاسات الواقع المحلى والعربى والعالمى . وانعكاس ذلك بعمق فى المحاولات الشعرية الحديثة .

ما هى اتجاهات الشعر الخليجى الحديث

وتكاد تنحصر تلك الاتجاهات بما يلى

١ ـ اتجاه رومانسى .
٢ ـ اتجاه واقعي ملتزم .
٣ ـ اتجاه رمزى ميثولوجى ..

أما الأغراض التى طرقها الشعراء العرب الخليجيون فهى نابعة من (الواقع) و (الحلم) .. فهى تارة تنعى البداوة وحياة الألفة والبساطة العربية التى كان يحياها إنسان الخليج فى مرحلة ما قبل النفط ، ومرة نحس الغربة والأسى يكتنفان القصيدة الشعرية وطوراً .. يفيء الشاعر إلى الرمز واستلهام الميثولوجيا (العربية القديمة) أو (الانسانية) فى محاولة منه لايجاد مصالحة بين التراث والعصر . مواجهاً عبر هذا الشكل الشعرى ضغوط الواقع وسقوط القيم وانحدار العالم إلى الحضيض .. ولكل اتجاه شعرى ممثلوه من شعراء الخليج الأصلاء .. ولا تدعى هذه الدراسة إحاطة شاملة بجميع شعراء تلك الاتجاهات .. ولكننى ساكتفى بالوقوف عند النماذج الشعرية الجادة .. وممثليها من الشعراء الخليجيين الذين أكدوا أصواتهم الخاصة بهم .. على أن أعود فى دراسة تالية لتتبع بعض الواعدين شعرياً ..

الاتجاه الرومانسى الحديث

ما إن دخلت منطقة الخليج (عصر النفط) .. حتى تدفقت الحضارة بكل

تقنياتها وآلاتها وسلعها الاستهلاكية ، وكان ذلك كافياً ليجد الشعراء (المخضرمون) أنفسهم في بلبلة وحيرة ، إنها الحياة الجديدة .. بكل قيمها السريعة وغير الانسانية . فكيف يتم التزاوج بين بساطة النفس والروح ونزوعها إلى الانطلاق الكسول في فلوات الصحاري والتريض عند سيف البحار ؟! كيف ؟!! معادلة صعبة لم يهضمها شعراء (المابين) إذا جاز التعبير .. لذا فقد وجدنا من يستمر على اتجاه (ابراهيم العريض) في المثابة إلى الطبيعة حتى وإن كانت (بيت شعر وخيمة مبددة في فلوات وجمل صبور على الرمضاء) ..

فالشاعر الكويتي المخضرم (أحمد العدواني ١٩٢٣ م - ..) لا ينفك ينعى على عمره تلك البدوات الجميلة التي كانت .. ويرفض مظاهر الحياة الجديدة . يقول :

ياليت شعري .. ما أرى ؟ ما فعل القدر
ملاعب الربيع قد حلت بها الغير
عفى على آثارها .. ناس من الحضر
شادوا عليها لهم القصور من حجر
كأنها مقابر معكوسة الصور
كنت هنا ، وكان لي بيت من الشعر
وذكريات نفحت من زهرة العمر ..
الحب فيها والمنى والظل والشجر
واليوم مالي هاهنا .. بيت ولا أثر

لكان العدواني يعبر عن هذا التناقض بين قيم ومواصفات اجتماعية وحضارية قديمة تنحسر .. وأخرى جديدة تتقدم وتفرض حضورها .. ولتقلب الحياة رأساً على عقب .. هذا التناقض جعل الاتجاه الرومانسي يتعزز أيضاً لدى (الدكتور القصيبي ١٩٤٠م) .

ولكن في اتجاه آخر .. كان من أسبابه وبواعثه (هامش الحرية الاجتماعية) والانطلاق الذي حملته الدنيا الجديدة .. (فالكاعب الحسناء) أصبحت على مرأى العين .. فكيف لا يورق القلب حباً .. يقول القصيبي :

فتنتني ألمح في عينيك أغواري السحيقه
وحكايات الصبا الأولى الحكايات العتيقه
فتنتني ألمح في عينيك ميلاد الحقيقه
من أنا ؟!! تعرف عيناك حكايات شبابي
وارتحالي ضاحكاً للهول في بحر ضباب
خلف عينيك أرى ضعفي وخوفي وبكائي

هكذا تفجأ الحضارة الوافدة .. قيم هؤلاء الشعراء الخليجيين .. فمن ناقم على هذه النقلة ومن مستجيب لها .. مصور لما يعتمل فيها من (وجد) و (صبابات) .. يمضي (القصيبي) مصوراً مظاهر الحياة الجديدة المنطلقة ..

أنت في دوامة الرقص معه ..
ضمة حرى ، فم قرب فم
وأنا ، - ياالسكون الزوبعه ..
ألم منفجر في ألم
شعرك الأشقر مجنون اللظى
باحث في لهفة عن كتفيه ..
وأنا منصهر في قدحي ..
أشرب الجمر الذي يطفو عليه

وتكثر التداعيات الذاتية الرومانسية في شعر (القصيبي) ، نتيجة خواء الحياة الجديدة التي تخترق أعصابه ، لتسلمه للملل والعناكب الدميمة .

منطرح هنا في حفرة الهزيمة
أراقب العناكب الدميمة تنسج فوق أضلعي خيوطها
أراقب الصبح والمساء
يتابعان الرحلة العقيمة ..

ومن هذا العقم الانساني والقنوط .. الذي يحسه (غازي القصيبي) من السعودية والبحرين .. إلى الكويت حيث وجدانيات (خليفة الوقيان) (١٩٤١م - ....) ومحاولات بحثه عن (يوتوبيا المدن الفاضلة) حيث لا قهر ولا عري ولا جوع .. وهذا ما يجعل الوقيان ، عن جدارة وحق خير من يعبر عن (الهم الجمعي) العام .. يقول (الوقيان) ..

سرت بالأمس كئيباً متعباً
مجهد القلب بدرب الحائرين
عل روحي أن ترى من ظمأ
خيط نور في دروب المدلجين
حيثما قلبت طرفي لا أرى
غير زيف عشيت منه العيون
ووجوه مسح العار بها
عاره من خجل في العالمين
تتهادى في رياض فرشت
بجنى الورد وروح الياسمين
معشر قد اترع الدهر لهم
كل كاس من دموع البائسين

هذا الألم الممض .. الذي يجعل من (الوقيان) ورقة حنونة في قلب العاصفة .. يدفعه إلى أن يواجه العاصفة .. وكعادة الشعراء الرومانسيين الذاتيين .. يتلقون بؤس الواقع بصدورهم وقلوبهم وزهرات أعمارهم .. يقول .

غير أني وقد خبرت الليالي
والليالي لكل فجر شهود
قد رأيت الصبح في جوف كوخ
بائس فوقه تصيح الرعود
يمضغ الجوع والشقاء ويسمو
حين يعلو على القلاع الصمود
قد رأيت الصبح في كل عين
صلبتها على الطريق الوعود ..

إنها رؤية العارف الخبير بتقلب الليل والنهار .. ومن يدري ما تحمل الأيام .. هوى وسكينة واطمئنانالروح (الوقيان) المعذبة :

إني لأهوى أن أرى قبساً
بين النجوم لعالم أرقى
حيث التفت فثم ساجعة
تسقي الهوى من سلسل رقا
الأرض للانسان يعمرها
وعلى معارج وعرها يرقى
لا الظلم ، لا الأحزان تسحقه
لا محنة من كأسها يسقى

حسان عطوان




غازي القصيبي


أحمد العدواني



. هموم ثقافية

علي عبد الله خليفة

الماضي وتحديات العصر

فى العاصمة الفرنسية التقيت بالمفكر الفرنسى البروفيسور جاك بيرك بمكتبه المتواضع فى (الكولج دى فرانس) ، وكنت برفقة أحد المثقفين الخليجيين المقيمين بباريس منذ حوالى أحد عشر عاماً ، ودار الحديث طويلا حول عدة مواضيع مهمة .

إن اول ما يثير إعجابك بهذا الرجل هو سعة إطلاعه على أمور ومشاكل الوطن العربى والأمة الاسلامية ، وموقفه الصلد من نصرتها ، وشغفه بادب منطقة الخليج العربى ضمن اهتماماته الواسعة بالأدب العربى ومتابعته لكل جديد ذات قيمة فيه . ولقد سبق له أن ترجم الى الفرنسية بضع قصائد لشعراء من الخليج ونشرها على نطاق واسع بين قراء اللغة الفرنسية .

ولقد تطرق الحديث الى كتابه القيم (الاسلام والتحدى) الذى أصدره مؤخرا عن دار (غوليمار) بباريس . ويضم هذا الكتاب خلاصة تجربة البروفيسور جاك بيرك مع الفكر الاسلامى ، حيث يؤكد فيه على ان العرب بعد فشلهم فى تجربة البدائل العقائدية للنهوض بمجتمعاتهم النامية أخذوا فى العودة الى الأصول ، وهذا عود محمود لولا انه محفوف بكثير من المزالق المميتة . فالعودة الى الأصول ليست تعنى بأى حال من الأحوال الرجوع الى الماضى والوقوف معه من حيث ابتدأ ، وإنما هى وصل الماضى بالحاضر واستكمال الطريق بما يلائم الزمان والتطورات الخطيرة المستجدة فيه ، والتى تشكل فى كل يوم تحد جديد يستوجب المواجهة والاجابة عما يثيره من أسئلة .

يقول بيرك ، وهو يشبك يديه ببعضهما على الطاولة الصغيرة امامه وعيناه تسرحان فى البعيد : سيفرح أعداؤكم كثيرا وهم يرونكم تغرقون فى الرجوع الى الماضى والقبول به كما هو وأنتم أبناء هذا الزمـــان ، وسيصفقون لكم طويلا ويدفعون بكم دفعاً الى البقاء حيث انتم ، بينما بايديكم إمكانية إعادة صياغة هذا الماضى بلغة العصر وتوظيفه فى الحياة الجديدة الى ابعد الحدود ، فانتم أمة ذات أصالة وحضارة وغنى ، تواجهون من المشاكل والتحديات ما لم تواجه أمة أخرى فى تاريخنا البشرى .

حول فنـــون الخليـــج الشعبيـــة
الفرق القومية واستلهام التراث الشعبي

مع بداية الاهتمام الاعلامى بفرق الغناء والرقص الشعبى فى الخليج ، وتطور هذا الاهتمام من الدعم والرعاية العامة لياخذ جانب تنظيم هذه الفرق واختيار عناصرها لتشكيل فرق قومية تمثل بلدان الخليج فى الاحتفالات العالمية .. دخلت على بعض الأغانى والرقصات الشعبية الإصلية بعض التحويرات والتعديلات فى الشكل والمضمون بحيث تتناسب والأداء الحديث وأصول العرض على المسارح الاحتفالية الكبرى. وليس هذا مقتصراً على بلد دون اخر ، لكن الظاهرة تنسحب على كل اجزاء الخليج بعد ان شملت بعض الأقطار العربية . وهى ظاهرة جديرة بأن نقف عندها قليلا .

إن مثل هذا التوجه إيجابى ولا شك ، ياتى بعد فترة طويلة من إهمال هذه الفرق . فهو من ناحية يقدمنا الى العالم كشعب عريـــق ذى تراث غنى بتعدد الفنون ، ومن ناحية اخرى فان اغلب الفرق التى تسافر لتمثيلنا فى الخارج تطعم بعناصر شابة ، وهى بفعل عشقها الفطرى لهذه الفنون وممارستها والاحتكاك باساتذتها الشعبيين من كبار السن ستنتقل اليها جميع أصول الأداء الفنى ، وتحفظ لنا بذلك استمرار تدفق هذا الرافد الغنى من التراث . ولكن يبدو لي أننا أغفلنا جانبا مهما ، وهو استخدام ارقى ادوات التقنية الحديثة فى تسجيل وحفظ تلك الفنون باصولها الفطرية الأولى قبل ان يمس مادتها الخام أى شىء من التحوير او التعديل او التطوير ، وإعدادها كوثيقة مصدرية أساسية ثابتة ياتى التعديل والتحوير والتطوير بعدها . بمعنى آخر ، إننى أرى انه من الواجب ان نقف لنثبت اصول الفنون الشعبية التى عبرت عن روح الشعب فى فترة زمنية مضت ، حتى نفصل بينها وبين اية محاولة من محاولات التطوير فى عصرنا الحاضر المختلف تماماً عن العصور التى ابتدعت فيها تلك الفنون ، وحتى لا تمحى الأصول الأولية وتختلط الأمور على أجيالنا القادمة ويضيع تراثنا الشعبى فى محاولات التطوير المبتسرة البعيدة عن روح ذلك التراث .

إن عمليات الاستيحاء والاستلهام والتطوير للتراث الشعبى لا يجب أن تكون عملا عشوائيا خاضعاً لمزاج او اهواء أى فرد او جهة ، وإنما هى دراسة واستيعاب وحسن تمثل وإعادة خلق .. وإبداع .

● ● ●

من المعروف محليا ، أن رقصة (العرضة) من اقدم الفنون الشعبية فى الخليج العربى المرتبطة بطبيعة حياة الانسان فى صحراء الجزيرة العربية حيث الفروسية هى ميدان الرجولة . و (العرضة) رقصة الحرب قديماً ، وتعتبر تعبئة إعلامية للمقاتلين ، ودعوة لاستعراض قوتهم وتاييدهم للقائد ، وبث الرعب فى نفس العدو . وهى الرقصة الوحيدة من بين الرقصات الخليجية التى يشهر فيها الراقصون السلاح من سيوف وخناجر وبنادق ، وهم يرقصون على أنغام الطبول والدفوف والصاجات ، وترديد المنشدين للشعر الحماسى .

اما (الليود) فهى من الاغنيات الشعبية الخليجية الوافدة من السواحل الأفريقية ، جلبها الأرقاء السود لتعبر عن مدى حزنهم وشوقهم للديار والأهل الذين دونهم أهوال . ويشير المسنون من أساتذة هذا الفن وهم يغالبون فواجع الذاكرة ، الى ان (الليود) التى تستخف أبناء الخليج طرباً ليست إلا رقصة افريقية جنائزية ، للتعبير عن مدى الحزن وعن أقصى درجات التألم ، يؤديها الانسان المقهور فى مجتمع القبائل البدائية بأفريقيا عندما تلم به مصيبة ، فياتى اليه أقاربه وأصدقاؤه ومحبوه من رجال ونساء يدورون حوله فى حركات بطيئة ، حاملين رماحهم ، يرددون ما يقول على دقات طبل جهير وصوت مزمار حاد تعبيراً عن المشاركة وحباً فى إظهار العزاء والمساعدة . وأقدم ما وصل إلينا من نصوص الكلمات التى تغنى فى (الليوه) باللغة السواحلية (لغة الساحل الافريقى) ينم فعلا عن ألم ممض وحزن لا حد له ، ويصور حالات فاجعة للفقد والفقر والهوان والموت .

ويقول الراوى السيد جمعة فيروز عبد الله الملقب بابى سماح من الشارقة والبالغ من العمر ٩٧ سنة بأن صوت المزمار الافريقى (الصرناوى) فى رقصة (الليود) ما هو إلا صراخ نائحة مسكينة .

لقد شاهدت بفرح واعجاب أول عروض الفرقة القومية القطرية للفنون الشعبية على مسرح سينما الخليج فى الدوحة خلال احتفالات قطر بالذكرى التاسعة ليوم ٢٢ فبراير ، وهى تؤدى شيئا من رقصتى (العرضة) و (الليوه) . فرحت ، وأنا أرى البذرة التى بذرتها إدارة الثقافة والفنون بوزارة الاعلام القطرية وهى تثمر بعد ثلاث سنوات من الجهد والمال والتغلب على شتى أنواع المشاكل التى تواجه أى عمل رائد فى مجتمع نام . فخلال السنوات الثلاث الماضية كان الجهد مضنياً فى اختيار

أول عروض الفرقة القومية القطرية للفنون الشعبية



العناصر القابلة للتشكل من الجنسين . وفى تدريب تلك العناصر وتطويع اجسامها الطرية لتستجيب لأصعب الحركات الايقاعية واكسابها اللياقة البدنية المطلوبة باحدث الوسائل العلمية . ثم دمج هذه العناصر الفنية بفرق فنية شعبية محترفة من النساء والرجال لمدد ليست بقصيرة . وبحكم اهتمامى كنت اتابع ذلك عن كثب منذ التدريبات الأولية فى عام ١٩٧٨ الى العرض التجريبى قبل بضعة اسابيع من العرض العام . ولقد اعجبت بتصميم واداء اللوحتين المستوحاتين من رقصتى (العرضة) و (الليوه) ، على الرغم من ان التصميم لم يتعد بعض الاضافات والتحويرات الفنية الطفيفة فى حكات الراقصين والعازفين الأصلية شكلا ومضمونا . لقد كانت لفتة ذكية ان تطعم الفرقة فى ادائها للوحتين على المسرح بعناصر معروفة من كبار محترفى هذه الفنون فى قطر مثل السادة : حارب الحارب ، وابن عواد ، ومبارك بن خميس ، وغيرهم . فهم من جانب ، عنصر ضبط فى الايقاع والرقص لأداء الفتيان الذين يواجهون جمهورا بهذا الكم الكبير لأول مرة ، ومن جانب اخر ، فان وجودهم واندماجهم فى الأداء يؤكد على ان التحوير فى بعض الحركات ليس بعيدا عن روح الرقصتين ، ولا يمثل خرقاً لأصولهما ، مع اننا يجب ان ننظر الى عمليات التطوير فى فنوننا الشعبية على انها عمل فنى جديد مغاير للأصل المستوحى منه كلية ، فالتطوير قد يمس جانباً واحدا وقد يمس أغلب الجوانب ويبقى على الروح أو الجوهر .

وإذا كان ميلاد الفرقة القومية القطرية للفنون الشعبية انجازا مفرحاً لادارة الثقافة والفنون ، فاننى أعتبر ظهور الفتاة القطرية لتؤدى لوحات فنية راقصة على المسرح امام حشد من الجمهور .. جنبا الى جنب مع إخوانها وزملائها الشباب إنجازا رياديا رائعاً تسجله وزارة الاعلام بالنسبة للمجتمع القطرى . فتحية لأعضاء وعضوات الفرقة ، تحية لكل الجهود الخيرة التى غذت مسيرتها منذ البداية الى ان تخطت بها الصعاب ، تحية للفنان سامى يونس الذى تعهد البذرة وتحمل مسئولية ان تسقى وتنبت وتعطى .. تباشير الثمر .

العمل الثقافي والعمل الإعلامي

الاعلام علم وفن له أصوله وأجهزته المتطورة ذات الفعاليات النافذة والمؤثرة . وعلى صعيد الدول والهيئات والمؤسسات الكبرى بتنوع أهدافها واختلاف قدراتها يشكل الاعلام جزءا استراتيجيا مهما فى خططها القريبة او البعيدة المدى . وإذا كان الاعلام يعتمد فى مفهومه العام على فن تبليغ او توصيل معلومة ما الى الناس وتحقيق الوصول والتوجيه المطلوب بأسلوب مباشر أو غير مباشر ، خدمة لغرض معين ، بغض النظر عن نفع هذا الغرض او ضرره .. صحته او خطئه بالنسبة لهؤلاء الناس ، حسب وجهات النظر المتباينة ، فان الاعلام بمفهومه المتطور وأجهزته الحديثة يعتبر عالما صغيرا من عوالم الثقافة بمعناها الواسع العميق .

ونتيجة لظروف المجتمعات العربية وتحديدها لنوع الثقافة التى يجب ان تسود بين الناس دخلت الثقافة الرسمية كجهاز صغير من أجهزة الاعلام ، واختلط معناها بالمعنى العام لبقية الأجهزة الاعلامية العتيدة ، وتداخل العمل الثقافى بالعمل الاعلامى حتى اصبح كل منهما يؤخذ بما يؤخذ به الآخر على الرغم من بعد الشقة بينهما ، فيقارن الجهد فى إصدار كتيب ضمن خطة إعلامية ــ إن وجدت ــ بالجهد المبذول فى إصدار كتاب ضمن توجه ثقافى ، فالأول عبارة عن تجميع معلومات مجردة وصور فى متناول اليد والربط بينها وتقديمها بذكاء الى الناس لتحقيق هدف ما ، والثانى ربما يكون تجميع معلومات وآراء ومعارف فى متناول اليد كذلك ، لكنها لا تكفى لتكوين كتاب ، فلابد من إبداع وخلق تلك المادة ممزوجة بظروف كاتبها فى شكل فنى متقن او تناولها بقدرة غير عادية فى الاستقراء والتحليل والاستنتاج وتقديم جديد فى الفن او الفكر عموماً .

لذلك يرتبط العمل الثقافى بهموم المبدع او المفكر اكثر من ارتباطه بهموم أى من الناس ، فاغلب أجهزة الثقافة الرسمية فى البلاد العربية التى اعتبرت العمل الثقافى عملا مكتبيا روتينيا خاضعاً لمقتضيات الاعلام قد فشلت فى تحقيق أعمال ثقافية ذات تأثير يذكر فى مجتمعاتها لعدم تجذرها وملاءمتها وقربها من واقع الناس . وبعض البلاد العربية التى ادركت هذه الحقيقة سارعت الى فصل الثقافة عن الاعلام شكلا ومحتوى .

ومع التسليم بان الثقافة يخلقها التطور الطبيعى للمجتمع مع العوامل المساعدة الأخرى ، وان أى جهاز رسمى أو شعبى لا يمكن له وحده مهما اوتى من الامكانيات ان يخلق ثقافة ما فى اى مجتمع بين ليلة وضحاها ، فان انشاء مركز ثقافى وتجهيزه بجميع المتطلبات وتسليمه الى أى موظف فى وسط يجهل طبيعة دور هذا المركز ، يعتبر عملا إعلامياً القصد منه ابلاغ القريب والبعيد بوجود هذا الصرح ، ويعتبر المركز نفسه دافعاً قوياً لأعمال ثقافية كبيرة إذا كان ذلك الموظف ممن تشغله هموم الثقافة فى مجتمعه ولديه القدرة على توظيف كل صغيرة وكبيرة لتؤدى فعلها الثقافى فى المجتمع . كما ان إقامة محاضرة لمفكر عظيم من اقصى البلاد تعتبر عملا إعلامياً إذا كانت فى مجتمع متخلف لا يعرف قيمة هذه المحاضرة أو غيرها ولا يتفاعل معها لأنه ببساطة غير مهيأ لذلك ، وتعتبر المحاضرة نفسها عملا ثقافياً إذا كانت فى مجتمع به قدر معقول من المهتمين او ممن لديهم استعداد ما لتقبل عمل له صلة بالثقافة ، او كانت هذه المحاضرة ضمن خطة ثقافية مدروسة .

● ● ●

الثقافة ــ حسبما أرى ــ تاسيس فعل متنام يتناول أوليات الأمور من أساساتها ويغذى بصبر وأناة ، تماماً كالبذرة ، تحتاج اولا الى استصلاح الأرض وتقويتها ورفع قدرتها الانتاجية ثم بذرها وريها وتعهد الزرع والتحلى بالصبر .. حتى يثمر . ومجتمعاتنا النامية التى جاءت فيها اجهزة الثقافة الرسمية عشوائية اقتضتها ضرورات الاعلام العربى الحديث وابتلتها الظروف بالرجال غير المناسبين عليها أن تعيد النظر بتأن شديد فيما هو حاصل ، وليس بعيب ان تبدأ من جديد لتخلق فى الأفراد أولا وقبل كل شىء هاجس المعرفة ، وتؤسس بعد ذلك ثقافة سليمة تفعل وتنمو ، وتؤثر فى الناس .

علي عبد الله خليفة

توفيق زياد يتحدث فى يوم الذكرى



المنصة يتصدرها تمثال للمحراث علاقة الانصهار بين الأرض والفلاح



جماهير الأرض المحتلة فى يوم الأرض



يوم الأرض

يوم الصحوة لعرب الجليل

عصام شريح

تبرز فى تاريخ الأمم والشعوب نقاط انعطاف حاسمة ، تشكل مرتكزات مهمة أمام الباحث او الدارس أو المؤرخ ، لاجراء تقييم موضوعى لطبيعة المرحلة التاريخية الراهنة ، ولالقاء بعض الأضواء على المراحل التالية وآفاقها .

ونقاط الانعطاف هذه فى تاريخ القضية الفلسطينية كثيرة منها ، «يوم الأرض» ، ذلك الحدث الجلل الذى سطر ابطاله بدمائهم صحوة عرب ١٩٤٨ ، وعودة الروح فى ابهى حللها القانية لدى عرب الجليل .

فلقد كان يوم الأرض الذى كتبت احداثه بدماء ستة من الشهداء وعشرات الجرحى فى عام ١٩٧٦ ، والذى مرت ذكراه الخامسة فى الثلاثين من آذار (مارس) الماضى ، القاعدة الأساسية التى تبلورت عليها اشكال واساليب النضال الفلسطيني ، وتطورت فيما بعد لتتجسد فى وثيقة تاريخية هى «وثيقة شفا عمرو» التى سنأتى على ذكرها لاحقا .

خلفيات ومقدمات :

وبالطبع فان الانفجار الذى حدث فى يوم الأرض أو «عرس الأرض» ، لم يأت من فراغ ، وانما جاء نتيجة لتراكم الأسباب والمسببات تماماً كما فى أى حدث تاريخى وتتلخص هذه الأسباب والمسببات فى لجوء السلطات الصهيونية بعيد اغتصابها فلسطين فى عام ١٩٤٨ ، الى سياسة مصادرة اراضى العرب الذين لم ينزحوا عن ديارهم ، والذين يتكاثف تواجدهم فى ثلاث مناطق هى الجليل

والمثلث والنقب .

وتشير الأرقام والاحصائيات الى أن الصهاينة استولوا بعد انجاز اتفاقيات الهدنة العربية ـ الاسرائيلية ، وكنتيجة طبيعية للحرب الصورية التي سبقت تلك الاتفاقيات ، على ما يقرب من عشرين مليون ونصف المليون دونم من الاراضي الفلسطينية ، وقد جرت عملية اغتصاب الأرض بأشكال وصور مختلفة

ففي منتصف آذار (مارس) من عام ١٩٥٠ ، أقر الكنيست الصهيوني ما اسماه «بقانون املاك الغائبين» ، وبموجبه عين قيم يهودي على املاك الفلسطينيين الذين شردوا عن ارضهم تحت وطأة الأرهاب الصهيوني ، وقد أصبح هذا القيم بموجب التشريع الصادر عن الكنيست مالكاً لاملاك واموال المشردين ، وفي عام ١٩٥٣ ، حول القيم كل ما بحوزته من اراض واطيان واموال منقولة وغير منقولة الى الحكومة الاسرائيلية ، كما حولت المباني في المدن الفلسطينية الى شركة «عميدار» الصهيونية لاسكان المهاجرين اليهود .

وفي أول الامر لم تكن عملية الاستيلاء على الأرض اكثر من قيام وحدات من الجيش الاسرائيلي أو من المستوطنين اليهود في الكيبوتسات المجاورة للقرى العربية ، باحاطة الأرض المنوي مصادرتها بأسلاك شائكة ، أو طرد المواطنين العرب من اراضيهم أو قراهم بالقوة أو نقلهم الى قرى أخرى .. هكذا بكل بساطة .

ووفق هذه الأساليب البربرية اخليت قرية «إقرت» في الجليل الغربي ونقل سكانها في ٥ تشرين الثاني (نوفمبر) من عام ١٩٤٨ ، الى قرية «الرامه» ، وتبع ذلك اخلاء قرية كفر برعم ـ القريبة من إقرت ـ من سكانها ايضاً ، وفي ٢٥ـ٣ـ١٩٤٩ ، طرد اهالي قرية كفر عنان من بيوتهم ، وفي ٢٥ـ٣ـ١٩٤٩ طرد ٢٨ مواطناً فلسطينياً من قرية الرامه وشردوا في القسم الشرقي من فلسطين وفي ٥ـ٦ـ١٩٤٩ طرد سكان قرى الخصاص وقبطية والجاعونه الى منطقة صفد ، وجرى في ٢٤ـ١ـ١٩٥٠ ترحيل اهالي قرية الغابسية الى قرية الشيخ دنون ، كما جرى في شباط (فبراير) من عام ١٩٥١ طرد سكان ١٣ قرية عربية في وادي عاره في منطقة المثلث ، وفي عام ١٩٥٣ (ايلول ـ سبتمبر) طرد سكان قرية ام الفرج من قريتهم ودمرت بعد ذلك تماماً ، وفي ٣٠ تشرين الأول (اكتوبر) من عام ١٩٦٥ ، اجبرت قبيلة «البقاره» على مغادرة بلدتها الى سوريا بالقوة .

قانون الطوارىء

وفي انظمة الطوارىء قانون استخدمته السلطات الصهيونية لتبرير مصادرة مزيد من الأراضي العربية ، هو قانون «استغلال الأراضي البور» ـ اي الأراضي غير المزروعة أو غير المستغلة ، ووفقاً لهذا القانون الذي استنه الكنيست في عام ١٩٤٩ ، منح وزير الزراعة الصهيوني صلاحية «الاستيلاء على الأرض المبورة لتأمين فلاحتها . في حال لم يقتنع الوزير بان صاحب الأرض بدأ ، أو سيبدأ فلاحة الأرض أو سيستمر في فلاحتها» .

ووفق هذه القوانين للمصادرة ، أرسيت المقومات الاساسية لاصدار قانون استملاك الأراضي العربية في عام ١٩٥٣ ، الذي منحت نصوصه وزير المالية صلاحية نقل ملكية الأراضي التي تم الاستيلاء عليها وفق القوانين السابقة الى ملكية الدولة ، وإخفاء صفة الشرعية «المزيفة» على عملية الاغتصاب والاستيلاء تلك .

وفي غضون ذلك نشهد كما تشير الى ذلك الاحصاءات ، تقلصاً شديداً في حجم الاراضي التابعة للقرى العربية في منطقة الجليل ، وعلى سبيل المثال كانت الاراضي التابعة لقرية «دير حنا» في عام ١٩٤٥ تبلغ ١٥٣٥٠ دونما وبعد عمليات المصادرة والتهويد تقلصت في عام ١٩٦٢ الى ٥٠٩٠ دونما ، وكذلك سخنين الى تقلصت اراضيها من ٧٠١٨١ دونما الى ٢٥٧٧٥ ، وعرابه من ٣٠٨٥٢ دونما الى ١٨٤٢١ دونما ، وما يقال عن هذه القرى الثلاث يقال كذلك عن قرى جث وحرفيش والطيره وطيبة الناصرة وطمره ويافه الناصرة وكابول وكفر كنا ومجد الكروم ونحف ، وقد وصل عدد القرى العربية التي صودرت معظم الاراضي التابعة لها ٤٢ قرية .

مؤتمر الناصرة

وفي النصف الثاني من السبعينات بدأت السلطات الاسرائيلية مرحلة أخرى في خطتها الرامية الى تهويد منطقة الجليل عن طريق مصادرة مزيد من الاراضي العربية ودفع السكان العرب الى الهجرة الى الخارج . ففي النشرة الشهرية لوزارة الزراعة الاسرائيلية الصادرة في تشرين الثاني (نوفمبر) من عام ١٩٧٥ اعلن رسمياً قرار يقضي بالمضي قدماً في سياسة تهويد الجليل تحت شعار زائف هو «قرار تطوير الجليل» ، وقد اقرت الحكومة الاسرائيلية هذا القانون في عام ١٩٧٦ ، أما ما جاء في نشرة وزارة الزراعة حول السكان اليهود بالمقارنة مع «الأقليات غير اليهودية» !! ، فالسكان اليهود لاتتجاوز نسبتهم في هذه المنطقة ٣٠ بالمائة من مجموع السكان .. وان احد الأهداف الرئيسية «لقرار تطوير الجليل» هو قلب هذه النسبة بين اليهود وغيرهم وتحويل الجليل الى «منطقة ذات اكثرية يهودية» .. واضافت النشرة : «.. وعلى الرغم من الصعوبة في تحقيق ذلك في المدى القريب ، لذا تقرر وضع مرحلتين : اولى في عام ١٩٨٠ ، وثانية في عام ١٩٩٠» .

وبالطبع فان شعار تطوير الجليل هو شعار زائف قصد منه تهويد الجليل على حد تعبير رئيس اركان الجيش الاسبق حاييم بارليف ، الذي قال خلال اجتماع لما سمي «بالمجلس العام من اجل توطين الجليل» في آذار (مارس) ١٩٧٦ : «ان المهمة الاساسية والراهنة هي تحقيق شعار : سيصبح الجليل يهودياً .. ويهودياً صرفاً» .

وازاء هذا التكالب الصهيوني والقرارات الواضحة الأهداف والتصريحات المحمومة البينة المرامي تنادت بعض الشخصيات القيادية في الجليل الى عقد اجتماع في حيفا في ٢٩ـ٧ـ١٩٧٥ ، للتشاور حول الخطوات الواجب اتباعها لمواجهة سياسة تهويد الجليل ، وقد أسفر ذلك الاجتماع عن تشكيل «لجنة المبادرة للدفاع عن الأراضي» ، وبدورها دعت اللجنة الى اجتماع عقد في الناصرة في ١٥ ـ ٨ ـ

يوم الأرض

١٩٧٥ ، وقد اتخذ خلال هذا الاجتماع عدة قرارات للدفاع عن الأرض ، وكان ابرزها الدعوة الى عقد مؤتمر شعبى للمطالبة بوقف مصادرة الأرض ، واصدار نداء الى الرأى العام العربى فى الجليل يحثه على مقاومة عملية المصادرة

وبالفعل عقد مؤتمر شعبى فى مدينة الناصره بتاريخ ١٨ـ١٠ـ١٩٧٥ شاركت فيه وفود تمثل المدن والقرى الفلسطينية بلغ تعدادها عدة الوف من الأشخاص ، وبعد مناقشات ومداولات مستفيضة اصدر المؤتمر الشعبى عدداً من القرارات الهامة كان ابرزها اعلان الاضراب العام ، والتظاهر امام الكنيست ، اذا لم تتراجع الحكومة الاسرائيلية عن مخططات المصادرة وتهويد الأرض ، وجاء فى البيان الذى اعلن فى أعقاب اختتام المؤتمر ما يلى : «.. يؤكد المؤتمر بشكل خاص ، رفضه الاستيلاء على الأراضى العربية ، بحجة اقامة مناطق استيطان فى الجليل والمثلث والنقب وعلى اراضى يركا والمكر وجديدة ومعليا وكفر ياسيف فى الجليل الغربى ، كما يرفض المؤتمر الاستيلاء على اراضى الرينة وكفر كنا وعين ماهل والمشهد ويافة الناصرة ، ومدينة الناصره فى الجليل الجنوبى والأوسط ، كما يستنكر الاعتداء على اراضى باقة الغربية وام الفحم والطيبة وغيرها فى المثلث» .

كما جاء فى البيان : «.. ان قرانا تنفجر بسكانها ولا تستطيع الاستمرار فى العيش ضمن مسطحات القرى القديمة ، ولهذا فالمؤتمر يطالب السلطات بتوسيع مسطحات البناء فى كل قرية لاقامة المساكن عليها ، ويطالب المؤتمر الحكومة باعداد وتنفيذ مشاريع اسكان شعبية ورخيصة فى القرى العربية لحل مشكلة المساكن وتمكين القرويين من السكن الانسانى فى قراهم» .

احداث يوم الأرض

لم تجد البيانات والاجتماعات السابقة شيئاً لزحزحة سلطات العدو الاسرائيلى عن موقفها من مصادرة اراضى العرب فى الجليل والمثلث والنقب ، الأمر الذى دفع اللجنة القطرية للدفاع عن الاراضى العربية الى الاسراع فى الدعوة الى عقد اجتماع موسع كانت اللجنة القطرية لرؤساء المجالس المحلية قد دعت اليه فى الناصره فى ٦ـ٣ـ١٩٧٦ ، وقد حضر الاجتماع اضافة الى أعضاء اللجنة القطرية للدفاع عن الاراضى حوالى عشرين من رؤساء البلديات العرب أو المسؤولين فيها ، وبعد المداولة اتخذ المجتمعون قراراً تاريخياً باعلان اضراب عام فى ٣٠ آذار (مارس) ١٩٧٦ ، للاحتجاج على جريمة مصادرة الاراضى العربية ، واعتبار هذا اليوم «يوم الأرض» . وقد تجاوب الشعب الفلسطينى داخل الوطن المحتل وخارجه مع «يوم الأرض» . فوجهت قيادة الثورة الفلسطينية نداء الى جميع ابناء الشعب الفلسطينى للتضامن مع قرار اللجنة القطرية لرؤساء البلديات فى الجليل المحتل بالاضراب العام فى ٣٠ ـ ٣ ـ ١٩٧٦ .

لكن ماذا حدث فى الجليل فى يوم الأرض ؟

لقد كانت الاستجابة للاضراب الشامل والتصدى للمحتلين عارمة من قبل المواطنين العرب فى الوطن المحتل ، من قرى الجليل الى خان يونس وصحراء النقب ، وقد تعمد يوم الأرض ، بعد مواجهات مع جنود الاحتلال غير متكافئة ، بدماء الشهداء والجرحى ، حيث سقط تسعة شهداء واكثر من تسعين جريحاً .

واحداث ذلك اليوم التاريخى المجيد تتلخص فى ان الجيش الاسرائيلى حاول فك الاضراب بالقوة ومنع التظاهر ورفع الشعارات : «ليوقف سلب الأرض ـ لتلغ المصادرة» ـ «بالروح نفديك ياوطن ـ بالدم نحميك يا أرضنا» .. الخ ، لكن المواطنين العرب تصدوا له فى قرى الجليل ، وكانت المواجهات الدامية فى القرى الثلاث : دير حنا وعرابه وسخنين التى شهدت اعنف التظاهرات العربية ، وحيث اشتبك المواطنون العرب مع جنود الاحتلال الذين استخدموا القنابل المسيلة للدموع والأسلحة الرشاشة والهراوات ، فرد المتظاهرون بقنابل المولوتوف المصنعة محلياً ، وبالمشاعل والحجارة والسكاكين والعصى واطارات السيارات المحترقة ، وقد أسفرت الاشتباكات عن سقوط ثلاثة شهداء فى قرية سخنين ، وثلاثة شهداء فى قرية عرابه ، وشهيد واحد فى قرية دير حنا وبالمقابل اعترفت سلطات العدو باصابة تسعة من الجنود بجروح مختلفة .

وكنموذج لهذه الاشتباكات تروى المواطنة الفلسطينية فاطمه احمد زيدان من دير حنا ما جرى فى يوم الأرض فتقول ان الجيش الاسرائيلى قام بضرب حصار كامل على القرية ، بعد ذلك بدأ الاستفزاز باعتقال احد «الشبان النشيطين فى



جيل جديد يعاهد الشهداء للسير على نفس الدرب .

● يوم الأرض الدامي أثبت أن الجماهير الفلسطينية مهما طال قهرها ترفض الوجود الصهيوني لأنها ترفض الاستكانة أمام التحدي

العمل ضد المحتلين» ، وعندما طالبناهم باطلاق سراحه ، ردوا بدخول القرية فى المساء ، وبدأوا باطلاق النار بشكل عشوائى ، ولكن اهل القرية لم يهابوهم بل اشتبكوا معهم رجالا ونساء ، وبالنسبة لى فقد هجم على منزلى حوالى ثلاثين جنديا ، واعتقلوا ابنى واخذوا يضربونه بالهراوات ، وعندما تصديت لهم هجموا علينا جميعا انا واولادى وضربونا ، لكننا لم نسكت لهم فواجهناهم بالمثل ، وفى هذا الوقت كانت شوارع القرية وبيوتها جميعاً تشهد اشتباكات مشابهة ، وعندما رأوا إصرارنا على التصدى لهم ، حاولوا الانسحاب ، لكنهم كانوا خائفين فاعتقلوا حوالى أربعين شاباً (يافعا) ووضعوهم أمامهم خلال عملية الانسحاب .

وفى اليوم التالى اذاعوا بواسطة مكبرات الصوت ان التجول ممنوع تحت طائلة المسؤولية ، لكننا تحديناهم ورفضنا الذل ، وخرجنا الى الشوارع : «بالروح .. بالدم .. نفديك يا أرضنا» ، وبعد قليل هجموا علينا برصاصهم وقنابلهم المسيلة للدموع ، أما نحن فقد تصدينا لهم ثانية ولا سلاح لدينا سوى الحجارة والعصى ، ونتيجة لذلك سقط بعض الجرحى منا بينهم اطفال صغار ، لكننا لم نتراجع حتى ارغمناهم على الانسحاب بعد ان اصيب منهم عدد كبير ، وفى القطاع الشرقى من القرية كانوا خلال الليل قد تمكنوا من دخول بعض البيوت واعتقال بعض الرجال وهم فى ملابس النوم ، بل ان بعض المعتقلين اخذ من بيته عارياً تماماً .. لقد سقط منا ٢٤ جريحاً فى تلك المواجهة ..

وتختتم فاطمة احمد زيدان روايتها لاحداث يوم الأرض فى دير حنا بالقول : اننا خضنا مواجهة مع الجنود الاسرائيليين فى ذلك اليوم الأغر وفى ذهننا انه يجب ان ينجح ، فاذا لم يكن ذلك فلن تقوم لنا قائمة بعده .. وقد نجح ، وتحقق الهدف الاساسى منه لشعبنا وتوقفت مصادرة الأرض . وغداً سيعرف الحجر فى الجليل ما فعلناه من اجل ان يظل فلسطينياً .. وعربياً .

يوم الأرض فى عرابه

فى العام التالى اى ١٩٧٧ احيت اللجنة القطرية للدفاع عن الارض مهرجانات واحتفالات عديدة فى عموم الوطن المحتل ، كان ابرزها مهرجان عرابه ، الذى خطب فيه عدد من الشخصيات الوطنية على رأسهم توفيق زياد رئيس بلدية الناصره الذى تعهد امام «النصب التذكارى لشهداء الأرض فى عرابه» بالمضى قدماً فى النضال من اجل ان تبقى الأرض عربية ، ولان «حبنا للأرض ، وحبنا للوطن ، وحبنا لأطفالنا وعائلاتنا ولتراب أرضنا المخضب كله بالدم .. وحبنا لاضرحة شهدائنا ، كل ذلك يتطلب منا أن نصعد نضالنا .. وعندما تأتى الساعة ، ويتطلب الأمر ما هو اكثر من التظاهر والاضراب ، فسنكون مستعدين للاستشهاد» .

وثيقة شفا عمرو

ومنذ يوم الأرض فى الثلاثين من آذار (مارس) ١٩٧٦ ، والنضال داخل الوطن المحتل يتصاعد ويأخذ اشكالا كفاحية وتنظيمية اكثر اهمية وشمولية . فخلال العام الماضى تنادى عرب فلسطين (١٩٤٨) الى عقد مؤتمر شعبى جديد فى مدينة الناصرة ، كان محدداً له يوم السادس كانون الأول (ديسمبر) ١٩٨٠ ، الا أن حكومة العدو التى اصابها الذعر والهلع ازاء هذه الدعوة ، بادرت الى اتخاذ قرار حاسم بمنع عقد المؤتمر ، لكن عدم عقد المؤتمر لن يمنع انعقاده فى المستقبل بصورة أو باخرى .. إذ اصبح من الصعب جداً إن لم يكن من المستحيل اعادة عقارب الساعة الى الوراء .

وعلى اية حال فقد سبق الدعوة الى عقد مؤتمر الناصرة ، الذى لم يـر النور ، عقد اجتماع تحضيرى فى قرية «شفا عمرو» ، وقد اسفر ذلك الاجتماع عن توقيع الشخصيات الفلسطينية التى حضرته وشاركت فيه ، على «وثيقة شفا عمرو» التاريخية فى السادس من حزيران (يونيو) من العام الماضى

وقد جاءت تلك الوثيقة لتظهر انبعاث الشخصية الفلسطينية واستحالة طمسها أو تغييبها او حتى تجاهلها ، إذ ظهرت هذه الشخصية من خلال وثيقة شفا عمرو شخصية قومية متمسكة باصولها العربية وجذورها الفلسطينية الضاربة عميقاً فى الأرض ، وقد اعادت الوثيقة كتابة اسم فلسطين العربية بشكل بارز بكل ثقة وايمان فى كل ذرة تراب وحبة رمل على كل سهل وجبل وفى كل مدينة وقرية ونهر وساقية فى أرض فلسطين المحتلة ، كما تحدثت الوثيقة التاريخية عن اصالة عرب فلسطين وثقتهم التى لا تتزعزع بانتصار الحق العربى فى نهاية المخاض الطويل مع الصهيونية ، وعن ايمانهم بان مستقبل اسرائيل الى اندحار ، ومستقبل العرب الى انتصار .

معنى يوم الأرض

ان وثيقة شفا عمرو الشديدة الاهمية انما جاءت فى الواقع كمحصلة لانتفاضة عرب الجليل فى يوم الأرض الذى قال فيه احد جنرالات جيش العدو : «ان نصف مليون يرفضون التحول الى اقلية خرساء» .

فلقد اثبت يوم الأرض الدامي ان الجماهير الفلسطينية مهما طال قهرها ، ترفض الوجود الصهيونى ليس لفظا فحسب ، وانما بالممارسة الثورية والكفاح المرير ، لأنها ترفض الاستكانة أمام التحدى الصهيونى مهما كان عاتياً وعنيفاً ، حيث تاريخها الحضارى لا يسمح لها بغير الاستجابة للتحدى ، والدخول فى مواجهة تاريخية حاسمة ، ومن هنا ، فان يوم الأرض ليس يوما عابراً وذكرى هامشية فى تاريخ النضال الفلسطينى بل هو منعطف تاريخى حاسم ، ولدت على زواياه أشكال ارقى واكثر تنظيماً وشمولية فى الجليل بل فى فلسطين المحتلة كلها .

عصـــام شريح




محمد العزب موسى

مأساة المرأة الغربية في المجتمع الاستهلاكي

هل حررت الاباحية المرأة فى الغرب ؟ هل جعلتها اكثر سعادة واستقلالا ؟ أم أنها دمرت نفسيتها وأوقعتها فى شباك الاستغلال ؟

حول هذا السؤال صدر أخيرا كتاب لمؤلفة أمريكية تدعى مارى كينى جاء بمثابة صرخة تحذير قوية من أنثى لبنات جلدتها بعد أن دمرت «الاباحية» جيلا كاملا من الفتيات فى الغرب .

وقد ظننت فى البداية أن هذا كتاب عن «الدين» لأن عنوانه «لماذا تعمل المسيحية» .

ثم أحسست أنه كتاب فى «علم النفس» لأنه يتحدث عن الاضطرابات النفسية المدمرة التى أحدثتها موجة الاباحية الأخيرة فى المجتمع الأمريكى ، ثم لم ألبث أن خيل لى أنه كتاب فى «علم الاجتماع» حين راح يحلل طبيعة المجتمع الاباحى الاستهلاكى وأثره على الأفراد ، وبعد ذلك اعتقدت أن موضوعه لابد أن يكون فى «السياسة والاقتصاد» لأنه يتتبع التطورات السياسية والاقتصادية التى أعقبت الحرب العالمية الثانية وكانت سببا فى نشأة هذا المجتمع بكل سماته وآثاره . وأخيرا تنتهى الدائرة عند الدين كما بدأت ، فالعودة الى الدين فى رأى المؤلفة هو المخرج والعلاج .

ترى المؤلفة أن ما يسمى بالتحرر بالنسبة للفتاة الغربية قد أنزل بها أضرارا نفسية واجتماعية وصحية بالغة دون أن يحقق لها كسبا واحدا ..

فالعلاقات التى تتورط فيها الفتيات الصغيرات - وبعضهن فى الرابعة عشرة أو دونها - قد تؤدى بالفتاة الى فقدان ثقتها بالناس وتقضى على قابليتها للحب الحقيقى . أو قد ترسب فى نفسيتها عقدة نقص باعتبارها «غير مقنعة» اذا انصرف عنها الأصدقاء واحدا تلو الآخر كما يحدث فى معظم الحالات . هذا الى جانب قائمة طويلة من المخاطر الصحية والطبية الجسيمة ومنها احتمال الاصابة بالسرطان والاجهاض والعقم . أما «الحبوب» فلها أيضا مضارها الجانبية الأكيدة اذا استخدمت قبل نضج الدورة الشهرية وانتظامها .

لماذا اذن تروج الصحف والمجلات الغربية لهذا الانحراف وتزعم أنها حررت المرأة فى حين أننا نادرا ما نقرأ عن هذه المشاكل والمآسى التى يخلقها المجتمع الاباحى ؟

الاثارة أولا !

إن الصحافة الغربية إذ تلعب هذا الدور فانها مدفوعة فى الواقع بسبب قوى هو أن عليها أن تبيع كى تعيش ، انها تحتاج الى الاثارة لترويج التوزيع والاعلان على السواء .

ولكن الصحافة ليست أكثر من واجهة خارجية لسوق من المصالح الواسعة التى تتعامل فى بلايين الدولارات . والتى لا يمكنها ترويج بضاعتها بدون صحافة اثارة ومجتمع اباحى .

وخبراء الاعلان يعلمون يقينا أن فى الامكان أن تبيع أى شىء اذا ربطته بالجنس : أدوات التجميل ومنتجاته ، الروائح والعطور ، أدوية الشعر ، الصابون والشامبو ، منظفات الأسنان ، المعاجين والزيوت ، والاكسسوارات ، الطباق والخمور .. الخ

ولم تلبث أن فتحت صحافة الترويج لهذا التحرر المفتعل مجالا واسعا آخر أمام نوعيات جديدة من المنتجات والمشروعات : وسائل منع الحمل ، طرق التنبؤ المبكر بالحمل ، عقاقير الاجهاض والتعقيم المؤقت .

ولم يقتصر الأمر على ذلك بل خلقت دعاة التحرر المفتعل «خدمات جديدة» لم يكن لها وجود قبل هذه «الثورة المنحرفة» مثل مؤسسات العناية بالطفل غير المرغوب فيه وعيادات للعلاج ، وخدمات الأطباء النفسانيين ، ومكاتب المحامين المتخصصين فى الطلاق وجرائم الانحراف ، وطرق تهدئة الأعصاب .. الخ

فالصحافة المثيرة تروج للاباحية كى يبيع المنتجون فى هذا المجال منتجاتهم ، وهذه فى الواقع لعبة قديمة معروفة فى الانتاج الرأسمالى ، أن تخلق مجالا لنشاطك . فالشركة التى تنتج أدوية مثلا يمكنها أن تملأ الدنيا صياحا حول طبيعة الحياة الحديثة وكيف أنها تتسبب فى التوتر والصراع ثم تخرج هى بعقار «جديد ومحسن» فيه الشفاء الأكيد الأكيد !

والمجلات النسائية جزء لا يتجزأ من الهيكل التجارى القائم ولذا فمن المتوقع أن تكون داعية الى الاباحية ، والى الطلاق والاجهاض وموانع الحمل ، لأن ذلك يزيد من اتساع السوق الذى تعمل فيه .

هذا المجتمع الاباحى هو الوجه الآخر للمجتمع الاستهلاكى الذى أسفرت عنه التطورات الاقتصادية والاجتماعية بعد

«الحرب العالمية الثانية . فقبل هذه الحرب كان الإعلان محوره سد الحاجات الأساسية لدى الجمهور لأن الهيكل الاقتصادى فى تلك الوقت كان يعتمد على الادخار والرغبة فى بناء الأسرة وتأمين احتياجات الأبناء . ولكن مع تحول الاقتصاد الغربى من انتاج السلع الصناعية أساساً الى ميدان الخدمات ظهرت الحاجة الى تحول مماثل فى الرسالة «التجارية» الموجهة الى المستهلكين . بل والى تغيير مزاج المستهلكين وأحوالهم الاجتماعية .

وقد أشار الى هذه النقطة العالم النفسى الأمريكى بول فيتز فى كتابه «علم النفس كعقيدة» إذ كتب يقول : «فى الوقت الذى احتاج فيه الاقتصاد الغربى الى زيادة عدد المستهلكين أخذ على الفور يشبع ايديولوجية معادية للنظام والطاعة والقناعة ، وداعية الى الطمع والأنانية والشراهة ، وأصبح شعار صناعة الاعلان هو «الآن» فالاعلان الناجح هو الذى يقول «افعل ذلك الآن» .. «اشتر هذا الآن» .. «اقدم فوراً» .

وهنا يلعب التضخم المالى أيضا دوراً بارزاً فى ترويج الاستهلاك السريع ، فالتضخم يجعل المستهلكين يشعرون بأن عليهم «أن يشتروا ذلك الآن» لأن الأسعار فى العام القادم ستكون أعلى . ولذا فان التضخم أيضاً لعبة رأسمالية محسوبة .

هذه التطورات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية المتشابكة لم تجد محوراً لها أفضل من استغلال المرأة ، وهكذا تحولت فكرة «تحرر المرأة» من دعوة اصلاحية الى مادة فى خدمة صانعى المال ، أصبحت المرأة مجرد أداة ترويج فى سوق الانتاج الاستهلاكى المتسع ، وتحول ما أريد به أن يكون تحرراً للمرأة الى استعباد لها وتحقير لشأنها ، فالذين يبيعون الاباحية لا يفعلون أكثر من أنهم يستغلون المرأة .

والمجتمع الغربى الحديث القائم ظاهرياً على المساواة بين الجنسين ليس فى حقيقته سوى مجتمع رجالى لا يفترق – إلا تظاهراً ونفاقاً – عن أى مجتمع آخر يضطهد المرأة .

ومما له دلالة أن الدعوة الاباحية يروجها عادة بعض الرجال فى حين أن الدعوة الى عفة المرأة وتقديرها كانسان تحمل لواءها عادة النساء . ويذكر كاتب هذه السطور أنه شاهد فى نيويورك فى شهر نوفمبر ١٩٧٩ مظاهرة نسائية ضد الأفلام غير الأخلاقية قامت بتدمير بعض المحلات والمكتبات التى تروج لهذا النوع من البضائع .

ما الذى تحتاج اليه المرأة ؟

كان الفريد ادلر العالم النفسى الشهير وصاحب نظرية «عقدة النقص» أول من لاحظ أن حاجة المرأة الى تقدير الآخرين أكبر من حاجة الرجل ، فالمرأة تحتاج الى الشعور بأنها تقدر لذاتها وليس لجنسها والشواهد التاريخية والبيولوجية والسيكلوجية تدل على أن المرأة لا تزدهر فى جو الاباحية ، بل العكس تماماً هو الصحيح ، انها تزدهر فى جو الحماية والثقة والرقة والاحترام والتقدير .

والنظرة الموضوعية تبين أن المرأة الغربية لم تستفد شيئاً خلال العقود الثلاثة الأخيرة التى حصلت فيها على الحرية بالمفهوم الغربى ، بل يمكننا أن نرى بوضوح أن «مؤشر الشقاء» للمرأة المتحررة فى تزايد مستمر ابتداء من ادمان التدخين الى الاصابة بالأمراض النفسية والعصبية ، ومن استهلاك المهدئات الى استهلاك الخمور ، ومن انهيار الزوجات الى زيادة عدد الأطفال غير الشرعيين ، كما ازدادت على نحو بالغ حالات الانتحار والطلاق والمرض والضياع الاجتماعى بين النساء . فكيف يمكن بعد ذلك أن يقال ان المرأة خرجت أكثر سعادة من الاباحية ؟

إذن ما الذى تحتاج اليه المرأة الغربية للخروج من هذه الورطة ؟

على هذا السؤال تجيب المؤلفة الأمريكية مارى كينى قائلة ان العلاج يجب أن يبدأ من الرجل قبل المرأة ، إن المطلوب هو الارتفاع بالرجل الى «المستوى الملائكى» للنساء ، لا الهبوط بالنساء الى «المستوى الحيوانى» ، وليس معنى ذلك أن جميع النساء ملائكة وجميع الرجال من جنس الحيوان ، فان معظمنا رجالا ونساء خليط من الاثنين ، ولكن ذلك صحيح فى إطاره العام فالنساء من الناحية البيولوجية يملن الى الاكتفاء بالرجل الواحد ويحتجن الى العلاقة الشخصية الحميمة . أما الرجال فيميلون الى تعود الاشباع والتحرر من القيود والعلاقات .

إن المرأة كى تستعيد انسانيتها وسعادتها يجب أن تحاط بالضمانات والحب والتقدير لا أن تصبح سلعة تباع أو تستغل . لا ينبغى أن تكون المرأة جزءاً من تجارة السيارات أو أدوات التجميل أو جزءاً من صناعة العقاقير أو صناعة المطاط !

أما العلاقة بين الرجل والمرأة فينبغى النظر اليها كشىء مقدس وعلاقة ضرورية ثمينة تحتاج الى الرعاية والعناية ، وأفضل ما يحقق ذلك هو نظام الزواج .

• • •

وبعد ، ما أحرانا نحن فى مجتمعاتنا العربية الاسلامية أن نحذر الانزلاق الى هذه الهاوية التى بدأت المرأة الغربية تشعر بآلامها وشقائها وتتوق الى الخروج منها ، ولما كانت الوقاية خير من العلاج والحلول لا تفيد إلا إذا كانت جذرية لذلك يجب أن نحتاط من أن تتحول مجتمعاتنا الى النمط الاستهلاكى الذى تزحف علينا بشائره للأسف بسرعة فائقة ، إذ سوف تكون مأساتنا فيه مضاعفة لأننا لا ننتج حتى تلك السلع الاستهلاكية التى تفسد المجتمع !

محمد العزب موسى

المجلات النسائية كلها تهتم بالأزياء فى الأسواق

حوار صريح مع :

اول مديرة لتحرير جريدة سعودية

واجهت الكثير من الصعاب

ومازلت أكافح بالصبر و الأمل

أجرت الحوار : أم أكثم

اختيرت فى الشهر الماضى الأستاذة خيرية السقاف مديرة لتحرير جريدة «الرياض» اليومية التى تعتبر من أكبر الصحف ـ إن لم تكن أكبرها ـ فى المملكة العربية السعودية .. واشدها حفاظا على التقليد الصحفى واهتماما بمستوى العاملين فيها .. وقد تناقلت وكالات الانباء الخبر باعتباره حدثا تحوليا كبيرا ونشرته عنها بعض الصحف .. ولم اتصور ان فى اهتمام وسائل الاعلام مبالغة لأن «الرياض» هى اول جريدة يومية فى المنطقة وفى اغلب البلاد العربية تختار من المثقفات مديرة للتحرير .. ولان الاختيار حدث فى بيئة كانت الاتهامات التى ظلت توجه اليها دائما هى انها تقف فى وجه المرأة .. تسد عليها الطرق .. ترفض لها المساهمة .. تمنعها العطاء .. تعاملها كقاصر يوجهها الرجال ولا توجههم فى اى ميدان حتى لو نالت اعلى درجات العلم .. واثرت عقلها بثقافات شرقية وغربية .. وعاشت قضايا بلادها جمرة فى راحة اليد .. وارقا يابى للجفن إغماضة المستريح .. واختيار الاستاذة خيرية السقاف رد عملى .. هادىء .. على الاتهامات .. ودرس جسور لمن يريد أن يتعلم ان الحفاظ على التقاليد لا يعنى .. ولن يعنى الاحتفاظ بالمرأة داخل صدفة الى الأبد .. ومنعها من مشاركة شقيقها دفق النور .. ووضع حد لليل طال فى بلادنا العربية .

.. كنت اعرف ان خيرية ظلت تكتب لسنوات طويلة بلا توقف .. وان لها عمودا ثابتا فى الرياض .. ولها لقاء اسبوعى مع القراء على مساحة صفحة كاملة تكتبها بكلمة شاعرة .. تذر بها الملح على الجرح بجراة وحب كبير .. لا تكتب عن المستهلكات السمجة .. المبتذلة التى صارت فخاخا للمرأة الكاتبة ... وضعها رجل ذكى قبل عشر .. عشرين .. مائة سنة : ـ ضعى قليلا من الفلفل الابيض والاسود والاحمر والباذنجان الأرجوانى والبيض الاخضر واخفقيها وقلبيها !!. وقدميه طبقا لذيذا لضيوفك !!

كانت تكتب عن هموم المثقفة .. تحدثها بلغة تبلغ الحدة .. تصب على راسها الماء .. ولا ترشه .. لتصحو .. لتقدم شيئا لبلادها فى إطار النظام .. فى إطار التقليد الذى ظلت خيرية تحترمه .

بدايتها كصحفية لا تشبه كل البدايات .. بل فيها من الاثارة ما يدعوك الى ان تتفرس فى ملامح وجهها الطفلية الجميلة .. وابتساماتها المتواضعة لتبحث عن دلائل تبرر بها إثارة البداية .. فلا تجد إلا خجلا بدوى النقاء وتواضعا وودا ياسرك .. وهى طفلة تقفز على العتبة الرابعة فى دراستها الابتدائية .

كانت تعلق الكاميرا على كتفها وتجوب شوارع الرياض لتلتقط ما يلفت نظرها من صور وتعلق عليها بسطور وتوقعها باسم «وحيد سقاف» وترسلها الى جريدة الرائد التى رحبت بمراسلها .

وكنت اعرف أن خيرية من المبدعات الناضجات فى جميع الاجناس الادبية تقريبا .. فهى قاصة متميزة لا تعالج السطوح .. بل تنفذ الى ما تحت الجلد .. بلغة تسند ظهرها الى التراث الثرى الرائع .. وشاعرة لا يمكن ان يسقطها ناقد من حسابه .. وكاتبة خاطرة ادبية تشد قارئها شدا .

وكنت اعرف ان المثقفات فى المملكة يكدن يجمعن على احترامها .. وحبها فى نفس الوقت لانها تعطى الجميل الباهر بلا غرور .. ولانها تمد يدها لهن كبنات الام .

رغم كل تلك المؤهلات .. فوجئت .. فالحدث تحولى .. ذهبت اليها .. وانا سعيدة .. سعادة قافل من حرب منتصرة .. وادرت معها حوارا .. سبعة عشر سؤالا وفى ذهنى خيرية القاصة .. الشاعرة .. كاتبة الخاطرة الأدبية .. وخيرية الصحفية : ـ

ثمن الريادة

ـ للريادة دائما ثمن .. وانت رائدة فما هو فى نظرك الثمن الذى دفعته او تتوقعين دفعه ؟

● الثمن ان اظل قادرة على الكفاح ليس عند النقطة التى وصلت . بل الى ما يحافظ على استمرارية وهج النتيجة .. وانت تعلمين الكفاح وما يتطلبه .. فعلى الرغم من صعوبة مستلزماته .. إلا انه يظل هناك الحنين الى افياء النتيجة .. فلقد واجهت الكثير من الصعاب فى بداية طريقى من بعض الأهل ومن المجتمع .. ومازلت فى سبيل الحقيقة اكابد .. لكن يبقى الأمل والصبر .. أحدهما قاعدة للآخر .

ـ كمديرة تحرير لصحيفة يومية ما هى صلاحياتك ؟.. اعنى هل تمتد صلاحياتك الادارية لتشمل آدم ؟

● منحت الثقة .. واكتسبتها .. وبادرت بتزويد «الرياض» بمقترحاتى وملاحظاتى قبل ان اكون احد مدراء الجريدة .. والصلاحيات تؤخذ ولا تعطى .. وثمن الاخذ كان منى عطاء الاخلاص .. لذلك لا تستنكرى بصماتى بجوار بصمات زملائى على «الرياض» فى رسم سياستها العامة لانها الواجهة التى نبث من خلالها مبادىء وقضايا تشمل الانسان بجنسيه .. ولى نفس صلاحيات ما لزملائى الرجال .. اما ما افعله لزميلاتى فهو منحهن عصارة تجربة .. أجد لزاما على تقديمها عند التوجيه والاشراف .

ـ ماذا كانت نشاطاتك الصحفية عدا عمودك الثابت الذى عرفت به ؟

● بدات تعاملى مع الحرف فى «الندوة» وكنت فى الفصل الرابع الابتدائى . ولم اكن قد تخطيت العقد الأول من عمرى .. وكالطفل تعثرت كثيرا .. ولكنى صمدت اكثر .. بدات بزوايا متناثرة فى الصحف «الحان فى خاطرى» فى البلاد . «باخلاص» فى المدينة . «لمحات من الواقع» فى اليمامة . «زاويتى» فى الرياض .. وكتبت فى صحف البلاد . المدينة . الجزيرة . عكاظ الصفحات الخاصة بالمقالات المطولة وبعض القصص القصيرة والدراسات الأدبية واشرفت على صفحات وملاحق المرأة فى اليمامة . الرياض الدعوة . وكتبت برامج للاذاعة . ولقد تخصصت فى المقالة الأدبية اكثر من اى فن اخر الى جانب الشعر الذى نشرته باسماء مستعارة .

ـ يعتقد البعض أن التخصص الاكاديمى فى مجال الصحافة شرط للنجاح فى العمل الصحفى ما رايك ؟

● قد يكون من الضرورى المزج .. اى بين التخصص .. وبين الاستعداد .. يا سيدتى ليس كل مختص محترف وناجح .. كما انه لا يمكننا ان نغفل القدرات الفردية الطبيعية .. فما أروع ان تتبلور بالدراسة المختصة .

الانسان .. قضيتى الأزلية

- معروف انك متخصصة فى مناهج اللغة والأدب فما أثر ذلك فى عملك الصحفى ؟

● إذا كانت القدرة على العطاء الأدبى موهبة فشطر منها مواكبة تطور اللغة التى يقدم بها .. الخاصة من الناس يعرفون لي مزيتى الأدبية فى عطائى الفكرى الذى يميل الى الطريقة الجوانية .. أى الابتكار فى التسلسل الى بواطن الفكرة .. فقلمى سيال .. وأعنى كثيرا بأسلوبى .. والفكرة لدي تتمحور عند قضية الانسان .. فهو قضيتى الأزلية .. لذلك انهج اليه بلغة لها ميزاتها وجرسها .. إن لأسلوبى بصماته التى تميزه .. لا أدعى ذلك .. فالخاصة قالوا ذلك .. ولست من الحاكمين وإنما من الذين يبحثون عن القيمة .. وقيمتى عملى .. إننى أعنى بالفكرة وبالأسلوب .. رعايتى لهما معا تؤكد احترامى للقارىء .. سواء قدمت له فكرا وأدبا أو قدمت له مادة صحافية خالصة .. إذ أننى أستهجن الاستخفاف بالقارىء

- الصحفية السعودية محكومة بتقاليد مجتمعها .. ومن بينها الحجاب .. والصحافة انغماس فى الحياة وتفاعل مع أحداثها كما أعتقد .. الا تعتقدين أن بين هذين الواقعين تناقضا يحد من فاعلية الصحفية ؟

● حسب تجاربى .. لا أرى مثل هذا التناقض إلا بالقدر الذى يمكننا تجاوزه .

- المملكة ودول الخليج تتعرض لهجوم إعلامى مركز فى شكل مؤلفات ومقالات فى الصحف والمجلات الغربية .. فما هو الأسلوب الأمثل للتصدى لهذا الهجوم المنظم ؟

● قرات بعضها .. اتمنى أن نحسن انفسنا ونهذب من سلوكنا .. وننفتح بعد ذلك .. فلن يجدوا ما يقولون .. على الرغم من ان الكثير مما يقال مبالغ فيه .. إلا ان هناك ما يستوجب العودة الى بلورة فكرة تربية الانسان العربى من جديد .. إنه إذا ربى تربية إسلامية صحيحة فسيجد القدرة على مواجهتهم بالحجة والواقع .

- إذا أردنا أن نضع الصحف العربية فى مراتب على أساس الشكل والهموم ، ففى اية مرتبة تضعين الصحافة السعودية ؟

● اطلعت على الصحف التونسية والسودانية والمغربية والأردنية وبعض الصحف الخليجية والسورية وأجد أن صحفنا تقف بكل تجرد فى مرتبة جيدة .. فهى على الأقل تتصدى للقضايا بشكل افضل من كثير من زميلاتها مما اطلعت عليها .. والاجابة تحتاج الى دراسة ليكون القول الفصل .

مدارس الصحافة

- لكل نشاطات قيادات ، فمن هم فى نظرك الذين يشكلون قيادة أو مدارس فى الصحافة العربية ؟

● إذا كان الأوائل من الكتاب يعتبرون مدارس فيمكن اعتبار الطهطاوى ومحمد عبده واليازجى وأديب إسحق والنديم مدارس انطلق عنها ما بعدها .. كما انطلق بعد أصحاب الرسالة والمقتطف والمؤيد أصحاب المنهل وأم القرى وصوت الحجاز والمدينة واليمامة على مستوى داخلى عندنا .. وعلى المستوى العربى العام اعتبر هيكل مدرسة فى فكره السياسى حيث ترك له تلاميذه فى مصر ، وكذلك سعيد فريحة واللوزى فى لبنان وأيضا غسان توينى كما أن هناك من يعتبر الأخوين مصطفى وعلى أمين مدرسة ، إلا أننى اتحفظ فى إبداء الرأى حولهما . أما داخليا فيمكن اعتبار «الرياض» إذا لم تكن شهادتى مجروحة مدرسة بدأت على يد حمد الجاسر وتسير فى اتجاه خاص على يد تركى السديرى .. ولم اكون بعد رأيا فى دوريات الدول العربية فى المرحلة الحالية .

- إذا خيرت بين عملك فى الجامعة وبين وظيفتك الجديدة فيهما تختارين ؟ ولماذا ؟

● كلاهما عزيز على .. إننى قادرة على العطاء .. فلماذا احرم من إثبات الوفاء على الصعيدين .. إن هناك بعض واجبات المنزل يمكن أن تشغل وقتا احتاجه فى عمل الجامعة أو الجريدة ، ولا يضر أن تقوم به أخرى عنى .. أحدد مزاياها عند اختيارها .. خاصة وأن زوجى له اهتمامات مماثلة تتطلب منه نفس الوقت فلا يتعارض ذلك مع عملى .. أما ابنائى فلهما برنامج مدروس بحيث لا نفرط فى الرعاية ولا نقلل من أهمية التوجيه لهما .. ولطفلتى «إباء» تطلعات تشابه تطلعاتى عندما ما كنت فى سنها .

- فى السعودية شعراء مؤهلون لامامة الشعر إن كان للشعر امامه كغازى القصيبى مثلا ولكنهم مجهولون أو كالمجهولين فى عالمنا العربى فالى أى عامل تعزين ذلك ؟

● عدم الصلة بين المفكرين .. وعدم الرغبة عندهم للتعاون والتآلف .. وقصور وسائل النشر والاعلام .. وعدم وجود برامج ثقافية تربطهم ببعضهم .. غير أن القصيبى قد يكون من أكثر الشعراء الذين انطلقوا خارج حدودنا .

تقييم المواهب

- ما تقييمك للأديبات السعوديات ؟

● فوزية أبو خالد : من أكثرهن نضجا .
فوزية البكر : بعد سنوات سنجدها فى عطائها تتخطى الحواجز وتقدم غير العادى .
قماشة السيف : عميقة .. ومشروع قاصة على مستوى مميز .. انتقاء الكلمة عندها فن بذاته .
ساره العبيدى : «عراقية» رائعة تقتحم الى الفكرة أى سبيل .. وسبيلها إليها قالب جذاب موجى .

خيرية السقاف في سطور

● من مواليد عام ١٩٥١ م .

● وكيلة عمادة شئون الطلاب لشئون الطالبات بجامعة الرياض .

● تخرجت فى كلية الآداب جامعة الرياض - قسم اللغة العربية عام ١٩٧٤ م .

● تخصصت فى مناهج اللغة والأدب وحصلت فى مجال تخصصها على درجة الماجستير من جامعة ميسورى الأمريكية عام ١٩٧٦ م .

● زوجة الأستاذ يحيى محمود ساعاتى رئيس تحرير مجلة عالم الكتب والمحاضر فى المكتبات بجامعة الامام ، وأم لطفلين

● تؤدى عملها كمديرة للتحرير من الخامسة مساء وحتى العاشرة .. وتعمل تحت إشرافها ثمانى صحفيات منهن سبع سعوديات ومصرية واحدة وكاتبتان سعوديتان إضافة الى اربع مراسلات فى مناطق مختلفة من المملكة .

● اول كاتبة سعودية تكتب عمودا يوميا ثابتا .

● أسهمت بمحاضرات سنوية بكلية التربية وجامعة الملك فيصل بالاحساء وكليتى العلوم والآداب بالدمام وبعض مدارس البنات فى المملكة .

● افضل الروائيين العرب فى نظرها جبرا ابراهيم جبرا .. وعبد الرحمن منيف «وحنا مينه .. وعبد الرحمن الربيعى .. والطيب صالح .

● تعجبها فى غادة السمان قدرتها على التعبير الفنى الجميل وتكره مبالغتها فى التناول .

● تهوى الرسم وتمارسه .. وشعراؤها المفضلون إدجار الن بو وتقرؤه فى لغته الانجليزية .. وغازى القصيبى والسياب .. وتقول عن الأخير انه تجذر فى أعماقها .

● زارت مصر والمغرب وسويسرا وإيطاليا وانجلترا وفرنسا ومعظم الولايات الأمريكية .

● اول محاضره سعودية فى قسم اللغة العربية .

● اول وكيلة عميد بجامعة الرياض .

● اول من دعت واشرفت على أن يكون للمرأة ايام فى معارض الكتاب الدولية والمحلية داخل المملكة سواء ما كان منها تابعا لوزارة المعارف او لجامعة الرياض .

● الأثر الأدبى الذى لايزال ماثلا فى نفسها «عوليس» لجيمس جويس .





نوره السعد : تبحث عن الحقيقة .. وتعبر عنها بكلمة قوية .

جهير المساعد : صحافية تتسم بالجراة .. ارجو الا تتمحور عند جنسى الانسان !!

شريفة الشملان : ما قراته لها لم يكون لدي فكرة واضحة عن عطائها .

رقية الشبيب : تجربة عميقة لم تعبر عنها بعد .. اتوقع فى القريب ان يعكسها عطاؤها !

عهود الشبل : ليت النظرية عندها تتحول الى تطبيق .

– من خلال تحقيقاتى الصحفية وقراءاتى لاحظت أن الكاتبات اللاتى يكتبن فى صحف المنطقة الوسطى يتميزن بعمق وجدية تعوزان إخواتهن اللاتى يكتبن فى صحف المنطقة الغربية .. فما هو السبب إن كنت تتفقين معى فى الأساس ؟

● مشكلتنا اننا نعطى البادئات حجماً اكبر من الحجم الذى يحتجنه .. ربما للحاجة .. وربما لعدم المسئولية .. فالمسئولون الذين يشعرون بمسئولياتهم لا يجراون على دفع الغث للضوء .. إنه بصراحة يهمنى ان اقول ما قلته فى كثير من مقالاتى .. ووجهت بالرفض والهجوم : امنعوا الأميات عن التسلق على انهار الصحف تحجبون عنا التخلف .. وعودة الى التثقيف العام والتحفيز نحو الاجادة والالتزام بها عند اى عطاء يمكننا أن نكون مستوى افضل .

– ما هى عاصمة الثقافة فى نظرك الآن ؟

● على النطاق العربى كانت بيروت .. وجرحت بيروت .. وما التام جرحها لان الاخرين لم يمدوا إليها يدا تستقبل قطراتها على اكفهم وتعيدها الى شرايينها .. الرياض تحاول ان تستقطب .. ولكن ليس بعد .. وبغداد عاصمة كثيرة العطاء على أكثر من صعيد .

على النطاق العالمى منذ أن تساوت الاهتمامات البشرية بالفكر وتمكنت التكنولوجيا الحديثة من سرعة الانجازات الثقافية وتقديم المنشور من الفكر والمطبوعات اصبح لكل شعب مزايا .. وفقدت فى رأيى البلدان إمكانية ان تكون احداها عاصمة للثقافة ، فحيث يوجد الشعب القارىء توجد الثقافة .. وحيث يوجد الاهتمام بالعطاء الفكرى الانسانى توجد الثقافة .. وإنى أرى أن عدد المتعلمين قد كثر فيما اخذ يتناقص عدد المثقفين على مستوى واسع .

– واضح مما تنشره الصحف أن الكاتبة السعودية تتجه الى الخاطرة الأدبية والمقال الاجتماعى والقصة القصيرة اتجاها غالباً ، فيما لا يحظى الشعر بالقدر اللازم من الاهتمام ؟

● ربما لأن الشعر يتطلب موهبة خاصة .. اما هذه القوالب التى ذكرت فنحن كما تعلمين مجتمع محافظ .. لا تجد فيه المراة الفرصة ولا السبيل للتعبير او الانطلاق .. فمنذ ان احسنت الامساك بالقلم افرغت همومها فى اى شكل وجدت ان الكتب المتوفرة لديها قد زودتها بنماذج كثير منها فظهرت القاصات .. وكاتبات المقالات .. ولكن يا سيدتى هل تجدين الثمين المفيد فى كل ما تقرأين؟! إننى أؤكد لك انه بمجرد ان تجد المرأة وسيلة اخرى للتحلل من همومها ستنسى القلم !! وتبقى الصفوة من الموهوبات وارجو ان يزداد العدد .

– هناك اصوات ترتفع ضد ابتعاث الفتيات لمواصلة تعليمهن فى الخارج حفاظا على التقاليد واصوات تقول ان التطور يعنى الاقتحام والتفاعل .. فاين تقفين ؟

● إذا أردنا أن نقول ان الاقتحام والتفاعل افضل فلابد أن نحكم الطريقة كوسيلة تربط بين الحفاظ وبين الهدف .. فمادام الهدف من الابتعاث العلم والافادة فهذا لا يتنافى مع الحفاظ على المسلك والمظهر الاسلاميين .. إن الشرع قبل التقاليد .. ويمكن أن نلفظ التقاليد ولكن لا يمكن تجاهل الشرع بحال من الاحوال .. إننى اطالب بالتوازن بين الهدف من السفر وبين حق اللـــه على الانسان .

بين أزمتين : النقد والابداع

– البعض يذهب الى ان هناك ازمة نقد ويقول بعض اخر ان هناك ازمة إبداع فما هو رأيك ؟

● يقولون هناك ازمة إبداع ، فهل يودون تعطيل القدرة العقلية للانسان .. إن مثل هذا القول فيه الكثير من المغالطات .

إن حركة الابداع قد قوبلت فى كل عصر بالانكار والنفور وعدم التقبل ، ليس لأن الفكر الانسانى غير قادر على الابداع فى عطائه وإنما لأن ما يشاهده الانسان ويسمعه ويقراه من الصعوبة بمكان ان يتقبل غيره بسهولة ، إذ قد يبلغ ما الفه من مجرى الدماء والامتزاج بالأمزجة ، وتوجيه نظرته الى القيم . إن ما نشهده من حركة تطور فى فنون الأدب العديدة وما يمتزج بهذه الأنواع الأدبية من السمو والرقى فى حركة الفكر المبدع ، يبرز تطور مفاهيمه .ذلك اننا نتلمس تمثل القيم الجمالية المثالية والتى هى ليست مجموعة القيم الاجتماعية أو الانسانية ، ويخالفنى بها ما كان منها يرتبط بالمجردات من الحق والخير والجمال. وخاصة جمال الأشكال السامية ، إن حركة الابداع تعنى دحر الموروث ، فهى إذن تتطلب تبدلا جذريا لكثير من الأذواق الخاصة والعامة ، وطالما هى ثابتة فهى إذن قادرة على الاستقطاب لعناصر لها تاثيرها فى الناس . فيكون هناك كفالة لأن تعطى هذه الحركة هوية إثبات الوجود . اننا نسبق الزمن اذا حكمنا عليها بالاختناق .

اما فيما يتصل بأزمة النقد المعاصر فاخطر ما فيها هذه الجمهرة من مناهج النقد التى ينجم عنها الضياع بلا فائدة !! إن الاجابة على سؤالك تستوجب تصنيف هذه المناهج التى توجه حركة النقد فى الساحة الأدبية ، فهناك ما يسمى بالنقد الذاتى او التاثيرى وأخطر ما فى هذا المنهج انه يخضع عملية الحكم على العمل الأدبى الى الذوق الخاص للناقد ، ثم النقد الموضوعى الذى يرتكز على التطبيق لأصول مرعية وقواعد مقررة، فهو على عكس الاول إذ يحتكم الى قواعد اللغة والبلاغة ونحوهما ، ثم كان النقد الاعتقادى او العقيدى الذى سيطر لفترة من الزمن ، واعتبره كثير من الدارسين افة النقد ، إذ حين اجتاحت المعتقدات الغربية والماركسية بصفة خاصة ، وسيطرت على بيئات ادبية لها سماتها واصالتها، اخضعت عملية النقد الى ما استقر من معتقدات لدى الناقدين كان اعتقادهم دينيا او وطنيا او عنصريا الأمر الذى اثقل النقد الأدبى ببحوث السياسة والاجتماع والاقتصاد وتلاشت القيم الجمالية فى العمل الأدبى ، ثم ظهر النقد العلمى كما تعلمين فى أواخر القرن التاسع عشر فى نهاية النهضة العلمية الشاملة ، وانعكس على بعض العلوم ، فظهرت نظرية تطور الأجناس «نظرية دارون» وأعجب ما فى الأمر ان ينسحب القول فى النشوء والارتقاء عنها الى الاعمال الأدبية نفسها ، ففسد الذوق وحدث الارتباك ، لذلك نرى ان مبعث مقولة ان هناك ازمة نقد ، أن هذه المناهج جميعها لا تتصل بالأعمال الأدبية كما ارى أو كما يرى معظم الدارسين وإنما تتصل بمجموعة المؤثرات التى تهيات لها كالبيئة والعامل النفسى ونحوه ، فبحث الرواد بعد ذلك عن مناهج تعنى بالنص الأدبى نفسه فنشا النقد الجمالى الذى يعنى بالأسلوب ، ثم اخيراً نجد النقد البنائى او البنوى ، فى كل ذلك نجد أن هذه المناهج جميعها كانت العامل المسبب للارتباك والخلط الذى يقال معه هناك ازمة نقد ، إن الانسان اروع ما فيه عقله فهو المحتوى العميق الجذاب الذى يغرى لمحاولة اكتشاف أروع ما فيه وإظهاره ودفعه نحو الضوء ، فكيف ندعى عجزه بتوريطه فى ازمة لا اساس لها على صعيد العطاء إبداعا أو نقدا ؟ إننا نحتاج الى استقرار فقط ليكون الابداع قدرة تقابلها القدرة على النقد

أم أكثم

أداء الفرض وعمران الأرض

د. محمد عمارة

من القواعد التى حددها الماوردى ، ابو الحسن علي بن محمد بن حبيب (٣٦٤ ـ ٤٥٠ هـ / ٩٧٤ ـ ١٠٥٨ م) لقيام الصلاح وتحقق الاصلاح فى المجتمع : «قاعدة الدين» !

ويشترط الماوردى لفعالية الدين وتاثيره ان يكون «متبعا» ـ (بالبناء للمجهول) ـ اى ان يتدين به الناس ، بمعنى ان يمارسوه فى سلوكهم ، لا ان تكون تعاليمه ووصاياه حبيسة الكتب والشعارات ، او مادة لستر المنكرات ، وبضائع للتجارات ؟! ..

وعند الماوردى أن التدين بالدين ليس تعبدا فقط ، ولا هو بالأمر المقطوع الصلة بالغايات وأهداف الاصلاح ، وإلا لما كان له مكان بين قواعد الاصلاح الاجتماعى .. فالتدين لابد وأن يصرف أصحابه عن الشهوات ويكبح جماح الارادات أن تتعدى حدود الاعتدال ! ..

وهو لا ينسى أن ينبه ، على لسان بعض الحكماء ، على أن الآداب اللازمة لصلاح المجتمع لا ينفرد بتقريرها الدين وليست بقاصرة على شريعته ، لأن حياة الناس لها جانب «مدنى» ، اى سياسى ، وكما أن للدين أدبا يتمثل فى شريعته ، فان السياسة هى الأخرى أدبا .. وأدب الشريعة يدعو الانسان لأداء «الفروض» ، ويجعله عادلا مع نفسه ، بينما يختص الأدب السياسى بعمارة الدنيا وزينتها ، والتخلق به يجعل الانسان عادلا مع الآخرين ! ... وبعبارة الماوردى «... فان الأدب أدبان : أدب شريعة ، وأدب سياسة ، فأدب الشريعة : ما أدى الفرض وأدب السياسة : ما عمر الأرض ! .. ومن ترك الفرض فقد ظلم نفسه ، ومن خرب الأرض فقد ظلم غيره ؟! ..»

وينبه الماوردى على ان الأدبين ـ الشرعى والسياسى ـ «كلاهما يرجع الى العدل» .. لأن العدل هو الشرط لتحقق «سلامة السلطان ، وعمارة البلدان !» ..

وبعد قاعدة : «الدين المتبع» تأتى قاعدة : «السلطان القاهر !» فى تعداد القواعد التى حددها الماوردى لاصلاح المجتمعات وصلاحها .. و «السلطان القاهر» ، عنده ، يعنى السلطة القوية المهابة ، لا بمعنى المستبدة الجائرة ، إذ العدل عنده هو الأساس .. وإنما بمعنى السلطة التى توفر لأهل العمل والانتاج ، وللانسان الخير السوي فى المجتمع الفرص كى ينمى قدراته وملكاته ويزيد من ثمرات أعماله ، وذلك بتوجيه القوة والهيبة ضد الفئات والأفراد الجانحة الى الظلم والاجرام والانحراف عن قواعد العدل وأسس الاصلاح ..

فعلى السلطة أن تعمل على التأليف بين التيارات والأهواء المختلفة والقلوب المتفرقة ، وأن تأخذ على ايدى المتغلبين والمتعادين ، وأن تهذب أو تكبح الجامع من الغرائز ، كى لا تجلب الأضرار ! ..

وفى حديث الماوردى عن السلطة والسلطان ينبه الى دور العقيدة الدينية فى بناء الدول عند نشأتها ، ويتحدث عن إسهام الدين فى تأليف قلوب الجماعة التى تبنى دولتها الواحدة ، وكيف «أن السلطان إن لم يكن على دين تجتمع به القلوب ، حتى يرى أهله الطاعة فيه فرضا ، والتناصر عليه حتما ، لم يكن للسلطان دوام ولا لأيامه صفو ، وكان سلطان قهر واستبداد ! ..

وهذه لمحة ذكية من مفكر فى عمران المجتمعات وقيام دولها ، تنبىء عن المكانة العالية التى أحلها للفكـــر والنظريات والعقائد بين الأسس الضرورية لبناء السلطة والسلطان فى اى مجتمع من المجتمعات .. والماوردى بفكرته هذه يسبق ابن خلدون (٧٣٣ ـ ٨٠٩ هـ / ١٣٣٢ ـ ١٤٠٦ م) ـ الذى تحدث هو الآخر ، باستفاضة ، عن هذه القضية فى مقدمته ـ يسبقه بعدة قرون !

د. محمد عمارة

كتاب الشهر

فنان عالمي .. حياته من رسائله

أين ذهبت أسنانك أيها الذئب العجوز ؟

STEINBECK: A LIFE IN LETTERS
Edited by Elaine Steinbeck & Robert Wallsten

فى الأيام الأخيرة كتب اليه يوفتشنكو رسالة مفتوحة .. هتف به فيها .. «وانت .. اين ذهبت اسنانك أيها الذئب العجوز ؟» ولم يرد جون شتاينبك .. كان يعتقد دائما ان الرد على المسائل أصعب بكثير من كتابتها .. وكانت الأيام الأخيرة غريبة حقا .. قرر فيها أن يذهب الى فيتنام ليصف الحرب الدائرة هناك فى رسائل صحفية الى مجلة نيوزداى الأمريكية .. وهناك فى أرض الحرب القذرة اخذ يتغنى بالهدف الحضارى العادل الذى تسعى اليه امريكا .. وبالجندى الأمريكى الذى يحتضن سلاحه فى حنان .. وعن حقول الأرز وهى ترتجف .. ببساطة شديدة خلع الذئب العجوز رداءه القديم واخذ يبرر حرباً لا مبرر لها .. ويؤيد شيئاً يستنكره الجميع .. كان قد الف العشرات من الأعمال الروائية الناجحة .. وحصل على جائزة نوبل فى الآداب عام ١٩٦٢ واصبح واحداً من أهم أعمدة الأدب العالمى الحديث .. وامتلأت صوره التى كتبها عن الكادحين فى امريكا والمنبوذين والصعاليك انصاف الشعراء وعمال التراحيل . والأسرات المهاجرة . ورواد الأرض الجديدة والباحثين عن العدل ودفء الشمس . امتلأت هذه الصور بقوة أسلوبه وسحر قلمه .. فماذا حدث للذئب العجوز فى أيامه الأخيرة ؟ .

هل يعطينا هذا الكتاب الجديد الذى صدر عن حياته إجابـــة عن هذا التساؤل ؟ .. الكتاب يقع فى حوالى الف صفحة من القطع المتوسط .. تتناول كل المراحل التى امسك فيها شتاينبك بالقلم .. وبالتحديد منذ عام ١٩٢٣ تاريخ أول رسالة عثر عليها حتى عام ١٩٦٥ .. وكانما ارخ جون شتاينبك لحياته بصورة غير مباشرة وذلك من خلال تلك الكمية الهائلة التى بعثها لكل الذين يعرفهم فى مختلف اطوار حياته .. ولأن الكمية المطلوب حصرها كانت كبيرة فقد استغرق إعداد هذا الكتاب اكثر من ثلاثة اعوام قضتها ارملة الكاتب الين شتاينبك واقرب اصدقائه روبرت والستن فى جمع هذه الرسائل المتفرقة ..

التواصل من خلال الحروف

يقول جون شتاينبك «فى الستين من عمرى تركت الكثير من الآثار ...» هكذا كتب فى عام ١٩٦٢ .. وكانت هذه الآثار تشمل الكثير من الكتب التى كتبها او قراها .. والرحلات التى قام بها والأماكن التى زارها والأشخاص الذين قابلهم .. الذين أحبهم او كرههم والاعمال التى بداها ثم تخلى عنها والمشاريع التى لم تنفذ والأفكار التى ماتت فور ولادتها .. إن الآثار التى يمكن تتبعها تجسد هذه العقلية الخلاقة التى لم تهدا ابداً إلا ذلك الهدوء الذى تجده فى العمل .. وتجسد ايضاً ذلك النضال الدائب الذى بذلته كى تتعلم اكثر واكثر .

كان شتاينبك يحب كتابة الرسائل .. ويقول «انها أحد اشكال الحديث» كان يرسل رسائله الى أصدقاء يمكن رفع سماعة التليفون والتحدث معهم ولكنه لم يكن يؤمن بتلك الآلة .. «انا اكتب بالرغم من التليفون فانا لا أتصور أننى قادر على التواصل عبر هذه الآلة الغريبة» وبالطبع فنحن نشعر بالامتنان لعدم القابلية هذه لأنها ارغمته على ان يكتب كل هذا الحجم من الرسائل .

لقد اصبحت هواية كتابة الرسائل بالنسبة لشتاينبك عملا أساسيا .. إنها أحدى الطرق التى يشحذ بها ذهنه كل صباح قبل أن يبدأ أعماله الأخرى .. فاول ما يفعله بعد اليقظة هو ان يتناول بعضاً من العصير ثم يعقبها بكتابة الرسائل فوق اى شىء متاح امامه .. فى البداية كان يكتبها على أوراق أبيه . او ينتزعها من دفتر الحسابات الجارية او على قوائم حساب الفنادق أثناء الرحلات . الشىء الذى لم يكن يتغير رغم تغير نوع الورق هو القلم الرصاص الذى كان يهوى الكتابة به باستمرار . لقد اصبح شيئا مالوفا بالنسبة لأصدقائه حين يفتحون اغلفة الرسائل ويجدون خطه المنمق ذا الحروف المستديرة فوق ورق يميل الى اللون الأصفر ويدركون على الفور أنها رسالة من شتاينبك .

كان يكن ميلا عاطفيا نحو الأقلام الرصاص . نحو الطريقة التى يرقد بها كل قلم بين اصابعه . وزنه والضغط الذى يحدثه . «اننى مغرم كل صباح ببرى الأقلام .. واحيانا ابرى عشرين قلما مرة واحدة حتى تكفى اعمالى لبقية اليوم .. بالطبع لم اكن استطيع أن اتوقف عن الكتابة لكى ابرى قلماً جديداً ...» لقد تعود ان يكتب الكثير من الكلمات فى أضيق حيز ممكن حتى لقد كتب مرة أكثر من ٥٠٠ كلمة على ظهر بطاقة بريدية . لقد علمته طفولته الشاقة أن يكون شديد الاقتصاد فى استخدام



أعز الأصدقاء . المخرج إيليا كازان وهو هنا مع الممثل كيرك دوجلاس

● كان يخاف البقاء وحيداً حتى لا يصبح جزءاً من الظلام الذي يحيطه

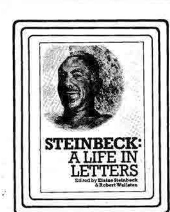
● وكان يخاف من أضواء جائزة نوبل ويتمنى العودة للكتابة من جديد



رقصة من بانكوك المدينة التى أحبها وقضى فيها أسعد أيامه



أين ذهبت أسنانك أيها الذئب العجوز؟



الورق . ولم يستطع أن يتخلص من هذه العادة بعد أن واتته الشهرة وأصبحت شركات الورق العالمية تبعث اليه بهدايا من منتجاتها . وغالباً ما كانت مخطوطاته تسبب المتاعب لعمال المطبعة .. وكانت رسائله تحتاج لعدسات مكبرة لقراءتها .

كتب شتاينبك عدة آلاف من الرسائل . كان أحياناً يكتب ست أو سبع رسائل فى نفس اليوم وكان الأمر أشبه بمعجزة أن يجد فى نفسه القدرة على انجاز التسعة وعشرين عملا أدبياً التى طبعت قبل وفاته . وكان يحتفظ ببضع نسخ نادرة من الرسائل التى أرسلها .. واذا أردنا تقسيم هذه الآلاف من الرسائل تقسيماً أولياً سوف نجد أن حوالى ٦٠٠ رسالة تغطى حياته منذ عمر الرابعة عشرة أرسلها الى اليزابث أوتيس صديقته . ومنذ العشرين وطوال الفترة التى قضاها فى الكلية أرسل مجموعة الى صديقة أخرى هى كارلتون شيفيلد ثم الى ناشره باسكال كوفيس .

كيف تجمعت الرسائل ؟

وقد اتبع المعدان ــ أى أرملته وصديقه ــ خططاً دقيقة للوصول الى مجموعة الأصدقاء التى كان يراسلها شتاينبك للحصول على ما لديهم من رسائل . فقد بحثا أولا فى قوائم كل الأصدقاء والمعارف الذين بعثوا اليه يهنئونه بعد فوزه بجائزة نوبل .. وبحثا ثانياً فى قوائم كل الذين أرسلوا يعزون فى وفاته .. كتبا اليهم جميعاً يسألونهم عن أى نوع من أنواع الرسائل .. الرسائل الجادة . المرحة . رسائل الأعمال . الحب . وكل الرسائل التى تعكس حالات المزاج المختلفة لرجل مزاجى .

وقد أجاب معظم هؤلاء الأصدقاء بالايجاب وبعثوا بما فى حوزتهم من رسائل . وكان البعض منهم قد أهدى مجموعات كبيرة لمكتبات الجامعات . والمدهش أن الكثيرين منهم كانوا يحتفظون برسائل كتبها شتاينبك عندما لم يكن اسمه قد لمع بعد .. لقد رأوا من خلال سطور هذه الرسائل صورة الموهبة التى سوف تتفق وتملأ سماء امريكا والعالم بالأدب والفن ..

بالطبع هناك العديد من الرسائل التى مزقت . والعديد منها نسى أصحابها أين احتفظوا بها ؟ . والعديد من الرسائل التى ضاعت . والبعض أصر على أن يخفى بعض الرسائل حتى لا تضر بمكانته الأدبية ، وبعض من عائلة شتاينبك أحسوا أن خصوصيتهم سوف تنتهك اذا كشفوا عن الرسائل التى فى حوزتهم .

ورغم ذلك فقد تجمعت مجموعة من الرسائل لم يكن يتخيل أحد أنها موجودة وبقى أمام المعدان ــ أى الأرملة والصديق ــ أن يتبعا النمو الفكرى والأدبى لشتاينبك ويقوما بتقسيم هذه المجموعة الضخمة زمنياً . وبدأت عملية التتبع التاريخى للرسائل التى لم يكتب شتاينبك تاريخها أو محاولة فك طلاسم التواريخ المختوم بها طوابع البريد .. ففى أغلب الأحيان لم يكن يهتم بتاريخ العام .. أو الشهر .. بل كان يكتب أحياناً فى السطر الأول .. «اليوم الاربعاء .. على ما أعتقد ..»

وبدأت الصعوبة الثانية فى محاولة تتبع الأماكن التى عاش فيها .. فى مراحل العمر المبكرة تنقل بين أكثر من مكان .. وكانت هناك رسائل متتابعة متقاربة التواريخ تحمل عناوين مختلفة ومتضاربة أحياناً .. كان يصف كل شىء يراه بشغف الأطفال .. يتحدث عن الزهور التى شاهد تفتحها .. والاحتفالات التى تقام بعد الحصاد .. ولكن كان يجب وضع كل علامات الأميال هذه التى يصفها فى إطار الزمن ..

لقد استغرق كل هذا الجهد أكثر من عامين .. لترتيب المتناقضات وملء الفراغات وإعادة اكتشاف شتاينبك من خلال رسائله ..

الخوف من الوحدة

ولد جون شتاينبك فى ٢٧ فبراير عام ١٩٠٢ فى مدينة ساليناس فى ولاية كاليفورنيا . كان أبوه يعمل مديراً لأحد المطاحن وأمه مدرسة وكان ترتيبه الثالث بين أربعة أطفال كانوا جميعاً إناثاً ما عداه بالطبع . تخرج من المدرسة عام ١٩١٩ وبدأ دراسة متقطعة فى جامعة ستانفورد .. وتركها الى نيويورك ليقوم بنشر بعض القصص القصيرة التى ألفها ولكنه لم يجد ناشراً .. وعاد الى كاليفورنيا ولكنه لم ييأس ولم يتوقف عن الكتابة وتقلب فى هذه الفترة بين مختلف الأعمال الحقيرة والمتوسطة وبدأ يكتسب مفردات عالمه على أرض الواقع .. «لقد وجدت عملا كحارس لعقار فى بحيرة تاهو يتطلب منى أن أعانى من الثلوج والتجمد لمدة ثمانية أشهر كل عام وكان أقرب جار لى يقع على بعد أربعة أميال ..» هكذا كتب فى احدى رسائله .. وكان فى هذه الفترة يعيد كتابة روايته الأولى «الكأس الذهبية» التى كانت تدور حول القرصان الشهير مورجان يصف فيها مغامراته وسط البحار ولا ينسى أن يكتب فى رسالته لصديقه فى نفس هذه الفترة .. «أكتب اليك لأننى خائف .. خائف من أن أبقى هكذا وحيداً .. أن أصبح جزءاً من الظلام الذى يحيط بى .. فى الليلة السابقة جاء حيوان ضخم وأخذ يتشمم من تحت عقب الباب لقد

رأيت ظله ولكن لم استطع الحركة» .

ولم يستطع رغم ذلك أن يبعد عن مخيلته ذكرياته الأولى الى مدينة ساليناس «كنا اناسا فقراء يعيشون فوق تل تمتد تحته الأراضى الشاسعة .. وكانت هذه الأراضى تجعلنا نشعر اننا أغنياء حتى ونحن لا نملك ثمن الطعام» .

وبعد أن تخرجت من المدرسة العليا بدأت أولى تجاربه الغرامية اكتب الى احدى الفتيات .. «لقد رقصنا سوياً مرتين .. وكان هناك صف عابس من النسوة العجائز اللاتى يحسبن أنفسهن رقيبات على الآداب العامة ...» وكتب الى فتاة أخرى «لم أعد استطيع التوقف الآن يا فلورانس .. فأنا أملك الكثير من الطموح والقليل من النقود.. أنا فقير لدرجة مزعجة .. فاننى أجد لزاما على أن أطعم شخصا آخر قبل أن أطعم نفسى .. اننى مرغم على العيش بين الأطباق القذرة .. والجرسونات .. وفى نفس الوقت هناك أشياء كثيرة أريد أن أعرفها عن علم النفس وعن علوم المنطق ...» وكان يصف فى رسالته هذه تلك الفترة التى عمل فيها فى أحد المقاهى فى مدينة بالواتك .

لقد تقلب ـ كما قلنا ـ فى العديد من الأعمال لكى يكمل تعليمه .. «كنت أعمل .. ثم أذهب للمدرسة .. ثم أعود للعمل مرة أخرى» . وأصبح كاتباً فى مخزن ثم فى محل خردوات ثم اشتغل ملاحظ عمال ومساح أراضى ثم عاملا يدويا وأصبحت كل هذه التجارب هى الأساس فى مسرحيته «عن الفئران والرجال» .

الزواج الأول

فى عام ١٩٢٦ قابل الفتاة التى أصبحت زوجته فيما بعد كارول هيننج هى وأختها وكانتا تقضيان اجازة فى مدينة هاتشرى حيث كان يعمل شتاينبك. وعلى أثر ذلك ترك المدينة وتتبعها الى سان فرنسيسكو حيث كانت تعمل بها وهناك اشترك فى السكن فى شقة مع احد اصدقائه ولم يتم المسرحية التى كان قد بدأ يؤلفها تحت عنوان «الأرض الخضراء» وتحولت هذه البداية الناقصة بعد أن أجرى عليها العديد من التحويلات والتعديلات الى احدى رواياته الهامة «نحو إله مجهول» . وفى عام ١٩٣٠ تزوج من كارول وانتقلت الأسرة للعيش فى كوخ يطل على المحيط الهادىء ..

بعد الزواج عملت كارول فى احد المختبرات البيولوجية كان يرأسه صديق لشتاينبك قدر له أن يكون له تأثير هام فى حياته وفكره .. كان فيلسوفا وعالما بالحفريات يدعى ادوار . ف . ريكتس . وكانا قد تقابلا فى عام ١٩٣٠ وقضيا معاً أوقاتاً طويلة داخل المعمل الذى يقع فى «شارع الكنارى» ويطل على المحيط حيث كان هذا العالم يدرس كائنات الساحل الغربى .. وقد أصبح هذا المعمل هو الخلفية للعديد من قصص شتاينبك .. وظهر ريكتس بنفسه كاحد شخصيات روايته «شارع الكنارى» وقد استمرت صداقتهما حتى عام ١٩٤٠ . وكتب الى صديقه جورج آلب .. «كارول تعمل الآن .. وتحب .. فهى تشرف على زوج من الثعابين وعلى حوالى ٢٠٠ فأر أبيض وكلهم يعيشون فى حالة حب . بل انهما تدخل حيوانات غريبة على أخرى مختلفة وسرعان ما يدب التعارف بينهما وتبدأ قصة حب ..»

وتدهورت صحة أم جون شتاينبك فجأة .. وبدأ هو وزوجته يقسمان وقتهما بين بيت العائلة فى ساليناس وبيتهما الصغير على المحيط .. وكتب الى جورج آلب .. «هذه أوقات حزينة .. لم أعد أستطيع أن أفهم ما يحدث لأمى العزيزة بالضبط .. فى يوم تبدو كما لو كانت صحتها تتحسن ثم فجأة تتدهور الى الأسوأ .. أبى لا يعرف درجة المرض ونحن لا نخبره فهو يملك من المتاعب ما فيه الكفاية» . وماتت الأم وكتب الى صديقه روبرت بالو .. «مات أبى بعد ستة شهور قضاها يحاول التمسك بعد موت أمى .. ودفن بجوارها فى نفس المكان .. ماذا أفعل .. أكتب رواية بعنوان «تورتيلا فلات» كنت فى حاجة لمن يعيننى ولم أجد سوى الكتابة .. لقد تهشم بيتنا بسرعة كبيرة .. وعندما جاءت الريح لم تجد ما تأخذه» .

الفئران والرجال

وفى عام ١٩٣٧ فازت مسرحية «عن الفئران والرجال» بجائزة نادى كتاب الشهر واختارها النقاد كأفضل عمل درامى وكان شتاينبك يستعد فى هذه الأثناء لكتابة رواية «معركة ديبيوس» وقام بزيارة للحصن الجنونى الذى

● أهم رواياته «عناقيد الغضب».. لم تلق النجاح فى البداية

وقف فى البداية ضد حرب فيتنام ثم تحول موقفه !





أين ذهبت أسنانك أيها الذئب العجوز؟





رواد الأرض الجديدة الذين كتب عنهم فى اعماله

● أعرف أنني أملك الكثير من الطموح.. والقليل من النقود

● طلبت منه جاكلين كنيدي كتابا عن حياة زوجها.. ولكنه رفض

حدثت فيه هذه المعركة . ووقع ايضا مع شركة برامونت للانتاج السينمائى عقدا لتحويل رواية «تورتيلا فلات» الى فيلم .

ثم قام هو وزوجته برحلة الى الاتحاد السوفيتى فى البلاد الاسكندنافية ثم عادا الى نيويورك للاعداد لاخراج «عن الفئران والرجال» فوق خشبة المسرح وقد حققت هذه المسرحية نجاحا كبيرا حيث استمر عرضها لمدة ٢٠٧ ليلة متواصلة وكتب يقول .. «لم اعد اهتم بان يستمر هذا العرض طويلا .. لقد بعثت فيه الحياة ذات ليلة رائعة وفى هذا الكفاية .. لقد أصبحت الشخصيات حقيقية واختلفت كثيرا عما تخيلتها ولكنها امتلأت بالحياة» . وتصاعد نجاح المسرحية رغم ذلك وقررت شركة وارنر تحويلها الى فيلم سينمائى يقوم ببطولته النجم جيمس كاجنى وكتب شتاينبك .. «لقد اصبح البريد الذى يصلنى كبيرا لدرجة مرعبة .. ولم اعد ادرى ماذا اقول من كثرة الأحاديث المطلوب ان ادلى بها .. واذا خرجت الى اى مكان حاصرتنى الأوتوجرافات التى تطلب توقيعى .. لست ادرى ما سر هذا الجنون .. اننى أوقع للجميع إلا اصدقائى .. والأمر يزداد سوءاً» .

مرارة النجاح

ولكن هذه الأشياء لم تكن اشد فواكه النجاح مرارة .. فقد اعلنت امراة صغيرة كان شتاينبك يعرفها وهى مازالت طفلة انها حامل منه . وقد اصابته الدعوى التى رفعتها عليه باكتئاب عميق ويبدو انها احدثت تاثيرا سيئا على زواجه وفى نفس الوقت اصيبت العلاقة بينه وبين صديقه القديم الكاتب جورج ألب بشرخ .. وكتب ريتشارد ألب اخو الكاتب يقول موضحا السبب .. «إن الغيرة الفنية هى سبب هذا الشرخ .. وانا اعلم جيداً أن جزءاً كبيراً يعود فى ذلك الى جورج .. وليس جون» . وكتب اليه شتاينبك يقول له .. «فى هذه الفترة فاننى احتاج الى العون والمساعدة والى من يقف بجانبى ولكنى أراك تحاول ان تدمر كل شىء .. وان تفتح جروحا لا تندمل وتواصل صفعى دون مبرر .. اذا اردت الخصام فلتكن خصومة شريفة فاننى لا احتمل طويلا النخس بالسهام .»

لقد سقطت الدعوة ضده وخرج منها بريئاً . ولكنه توقف سنة كاملة عن الكتابة حتى عام ١٩٣٩ عندما اخرج روايته الرائعة «عناقيد الغضب» وكتب يقول لصديقته اليزابث اوتيس «لقد كتبت رواية حطمت فيها ازمانا عديدة .. طوال عشر سنوات وانا افكر فى كتابتها ولم اكن اجرؤ على ذلك .. لقد كتبت التاريخ فى وقت حدوثه وحاولت جاهداً الا أكون مخطئاً ...»

والمدهش فى الأمر ان هذه الرواية العظيمة لم تلق نجاحا فى اول صدورها ورغم ان الناشر طبعها بكميات كبيرة فقد ظلت نسبة المبيعات منخفضة الى حد مدهش .. وكتب الى صديقته اليزابث .. «انا لست حزينا فانا اعرف انها رواية عظيمة .. غدا سوف يعرفون قيمتها ويطالبون الناشر بملايين النسخ الزائدة ...» وقد حدث هذا بالفعل . فقد كتب عنها الناقد مارشال بيست «انها اهم عمل ادبى ظهر فى القرن العشرين» وقد حصلت هذه الرواية على جائزة بوليتزر لعام ١٩٤٠ .

وفى عام ١٩٤٣ حدث تغير فى حياته حين ذهب للاشتراك فى اخراج فيلم يموله سلاح الطيران الامريكى عن الغزو اليابانى ضد القواعد الأمريكية فى الباسفيك وتعرف على الين دولين

كونجر . وطفت فجاة كل المشاكل التى كانت غارقة بينه وبين زوجته الأولى كارول وحدث الطلاق وكتب يقول .. «لم اعد اتذكر اية بهجة . كل ما اذكـــره هى الأوقات السيئة التى قضيتها فى الأعوام الأخيرة . الانهيار الأخير هذا لم يدهشنى فقد كان متوقعاً منذ الخطوة الأولى . ولكن ما يدهشنى الآن هو كيف يمكن لشخصين ان يسببا لبعضهما مثل هذا الأذى طوال احد عشر عاماً ..»

وفى مارس من نفس العام تـــزوج شتاينبك للمرة الثانية فى مدينـــة نيو اورليانز «كانت حفلة زفاف جميلة . وكان الجميع فى منتهى الرقة معنا .. لقد ضحكوا .. وغنوا .. وشربوا .. وصنعوا لنا زفافاً مرحاً ..»

شهدت سنوات ما بعد الحرب العالمية الثانية استقرارا نسبيا لحياة جون شتاينبك وانتقل للاقامة فى احـــدى الضواحى الريفية فى مسكن فاخر لينعم ببعض الهدوء وتواصلت اعماله الأدبية واتخذ مكانه وسط صف الأدبـــــاء التقدميين فى العالم .. وقام مع احد وفود الكونجرس بزيارة لليابان التى خرجت منهزمة من الحرب تعانى جراح التدمير الذرى وكتب الى الأديب الأمريكى الشهير وليم فولكز يصف زيارته لليابان «لقد حاولت أن أحتفظ طويلا بدهشتى إزاء حياتهم الاجتماعية .. كنت احس أن فى أعماق كل منهم بوذا راقدا مستكينا منتظرا .. إن علينا أن نذكر كل هذه الثقافات القديمة التى تختبىء خلف كل هذه الجلود الصفراء الرقيقة .. انهم يعطونك الاحساس بأن كونك كاتبا أو فنانا أو اديبا هذا شىء مهم جدا ..»

البحث عن الملك آرثر

فى عام ١٩٥٩ توجه شتاينبك وزوجته الين الى انجلترا وعاش فى مدينة بيرتون وبدأ فى تأليف رواية عن الملك ارثر وفرسان المائدة المستديرة .. وكتب يقول «بالأمس تسلقت التلال الى عاصمة ارثر القديمة «كاميلوت» وكانت ازهار الاوركيدا تملأ كل حوافى القنوات كائنا كان ارثر يتاملها منذ لحظات .. وعندما تاملت الأبراج القديمـــة .. والطرز المعمارية .. وقاعة الفرسان احسست انى على وشك البكاء . ولكى يستعيد ذلك الجو الارثرى القديم فقد قام هو والكاتب الانجليزى روبرت بولت والكاتبة سينيثا ولستن برحلة الى ولز عبر وادى واى .

وفى خلال هذه الفترة هاجمته اولى النوبات التى لم تستطع الين شتاينبك ان تشخصها او تعرف سببها . لقد شعر شتاينبك بوعكة وتوجه الى الفراش وتركته ليرتاح وهبطت الى الطابق السفلى للمطبخ . ولكن بعد فترة دفعها شعور غامض لأن تترك المطبخ وتتجه الى اعلى مرة اخرى حيث وجدته فاقد الوعى وقد سقطت السيجارة المشتعلة من بين اصابعه واشتبكت النار فى بيجامته وفى اغطية الفراش . وبسرعة اطفات النار وهرعت تطلب النجدة . ونقل الى المستشفى وشخصت حالته على اساس انها «ضربة شمس» حادة .. وظل فى المستشفى لمدة سبعة ايام وكتب بعد ذلك .. «اوشكت ان افقد حياتى دون ان املك اى قدرة على المقاومة او الاختيار .. الين تعتقد ان جسدى مريض ولكن المسالة اخطر من ذلك .. إن المرض يكمن فى أعماق روحى ..»



زار اليابان بعد أن خرجت مهزومة من الحرب

الرحيل مع تشارلى

وعاد الى امريكا فى عام ١٩٦٠ حيث قام برحلة طويلة عبر مختلف ولاياتها وكانت حصيلة هذه الجولة «رحلات مع تشارلى» كان قد كتب للعديد من اصدقائه حول هذه الرحلة القادمة ولكن الزمن مر قبل أن يقوم بها وكانت صديقته اليزابث اوتيس تلح عليه . وفى ذات يوم قال لزوجته الين ..

ـ اريد ان اسالك شيئا .. هل استطيع ان اخذ تشارلى ؟ ..

وكان يعنى بذلك الكلب الصغير الذى اهداه لها .. وقالت زوجته :

ـ بالطبع .. فسوف يعتنى بك ..

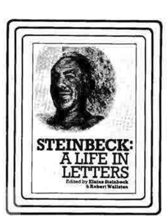
وطوال هذه الرحلة بدا شتاينبك يبعث برسائله الى الين ولم تتوقف إلا حين لحقت به فى جزء منها وعبرا معا الساحل الغربى الى تكساس ولويزيانا ثم عادا الى نيويورك .. وكتب اليه الرئيس كيندى يقول .. «سوف اكون مسرورا عندما نتقابل شخصيا وعندما نتناقش معا فى مختلف القضايا الفنية»..

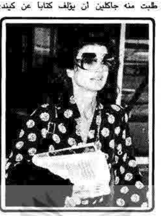
وحضر اولى الحفلات الأدبية الفنية التى تعود كيندى ان يقيمها فى البيت الأبيض وعكف بعد ذلك على الفور فى تاليف اروع اعماله الأدبية على الاطلاق .. «شتاء السخط» . وشرع ايضاً فى الاعداد للقيام برحلة حول العالم ولكن الأصدقاء المقربين اخذوا يحثون الين على عدم الموافقة خوفا على تدهور صحته .. ويبدو انه لم يعد قادرا بالفعل على تنفيذ ما اعتزمه فقد كتب يقول .. «اشعر بالخجل من احساسى بالضعف فى الأسابيع الأخيرة .. وأصبح احساسى باستعادة الحيوية امراً بعيداً» ولكنه استعاد صحته سريعاً رغم هذه النبرة الغير متفائلة وبدا رحلته الى ايطاليا واليونان وقضى وقتا طويلا يتجول بين الجزر اليونانية . ولكنه عاد الى الولايات المتحدة بسرعة عندما اشتعلت ازمة كوبا .. ووسط تلك الأنباء العاصفة والتهديدات باشعال الحرب العالمية سمع النبا فى كلمات قليلة .. لقد فاز بجائزة نوبل للآداب .. وانهمرت عليه



أين ذهبت أسنانك أيها النبيل العجوز؟

طلبت منه جاكلين أن يؤلف كتاباً عن كيندي





رسائل التهاني من كل أنحاء العالم .. ما بين أربعمائة وخمسمائة رسالة كل يوم وكتبت اليه الأديبة جون أوهارا «أهنئك .. لم أر أحداً استحق هذه الجائزة خيراً منك ..» ورد عليها .. «لقد جعلتني هذه الجائزة أحس أخيراً انني لست وحدي» .

الخوف من أضواء «نوبل»

وتسلم جائزة نوبل في حفل صاخب في استوكهولم وقضى بعضاً من الوقت في لندن قبل أن يعود الى نيويورك .. وحاول أن يستعيد هدوءه ويبعد عن عينيه وهج الجائزة اللامعة ويعود للكتابة وكتب الى صديق قديم «أحس بحنين للكتابة أكثر من أي وقت مضى .. ولكنني أتساءل .. هل هذه الجائزة حقيقية .. هل كل الذين فازوا بها حقيقيون .. الأساطير هنا تطفو على السطح .. وعندما يغرق المرء في الأسطورة لا يستطيع أن ينقذ نفسه .. والطريق الوحيدة للانقاذ هي أن تقمع جماح هذه النفس .. هوليود مغرية .. والتلفزيون مغر .. والعالم لا يكف عن الصراخ .. ولكن أريد أن أعود للكتابة من جديد ..» .

وفي عام ١٩٦٣ كتب شتاينبك .. «انني لم أعد كاتباً صغيراً واعداً بالكثير .. لقد استنفذت كل وعودي ..» كان يستعد وقتها للرحلة خلف الستار الحديدي . حيث يذهب في زيارة في إطار نوع من التبادل الثقافي بين أمريكا وروسيا .

ولكن ذات صباح في سلج هاربور استيقظ شتاينبك من النوم دون أن يستطيع الرؤية .. لقد حدث له انفصال شبكي .. وأجريت له عملية جراحية في مستشفى ساوث هامبتون وقضى فترة نقاهة طويلة كانت تزوره صديقته جون أوهارا لتقرأ عليه وتسلي وحدته .. وكتب اليها .. «لقد تحسن بصري بعض الشيء .. وكنت أتمنى أن أظل مغمض العينين حتى ننتهي من كل الأحاديث المعلقة بيننا ..» .

وكتب عن رفيق رحلاته تشارلي .. «لقد أصبح عجوزاً ولكنه لا يريد الاعتراف بذلك .. عظام الفخذ انكسرت على أثر حادث سيارة تسبب له في حادث من الآلام خاصة عندما يتغير الطقس ..

ولكنه في الصباح يتصرف برعونة شديدة كما لو كان شاباً ..» وتدهورت حالة الكلب طوال عام كامل . في أبريل كتب شتاينبك .. «الأسبوع الماضي كان حزيناً . لقد مات تشارلي .. لقد مات ممن يمكن أن نسميه «التعاسة البشرية» التي نضفيها على غيرنا من المخلوقات» .

خلف الستار الحديدي

وبدأ يستعد لتنفيذ رحلته الموعودة الى الاتحاد السوفيتي . خلف الستار الحديدي .. وكتب الى زوجته يقول عندما كانت بعيدة عنه في زيارة لتكساس «أليس هذا مدهشاً أن أضيع في براري روسيا الموحشة .. إن كلمة «سيبيريا» لها رنين جميل في أذني» وكتب الى الأديب السوفيتي الشهير شولوخوف .. «هل تذكر ذلك اليوم عندما تقابلنا بعد الظهر في ستوكهولم .. لقد وعدتني أنا وزوجتي ببعض الكافيار من نهر الدون . انني لم أنس ذلك الوعد بعد . سوف نكون في موسكو في منتصف أكتوبر وسوف تستغرق شهراً وسوف أكون مسروراً حين أتمكن من مقابلتك .. أنا آسف لا أستطيع الكتابة اليك بالروسية .. كتبت اليك باللغة الوحيدة التي أستطيعها» . وكتب أيضاً الى الأديب الروسي الكبير ايليا اهرنبورج .. «لعلك تذكر أنك كنت دليلي وملاكي الحارس في زيارتي الأولى . كابا المسكين قد مات .. مات في حرب فيتنام التي كان يرفضها .. سوف نتلاقى لنتحدث عنه» .

كيندي يموت

وكانت زيارته لموسكو حافلة بالفعل فقد أحاطه الكتاب الروس بسلسلة من الحفلات والاحتفاءات لم يستطع أن ينساها . عندما توجه من موسكو الى وارسو سمع خبر اغتيـال الرئيس الأمريكي الذي كان يحبه جون كيندي في ليلة ٢٢ نوفمبر .. «عزيزتي مسز . كيندي .. أسفنا لك .. بل لأنفسنا .. لأنفسنا .. كنت أتمنى أن تري شكل سفارتنا في وارسو .. تشاهدين صورته الكبيرة في البهو الرئيسي وهي محاطة بالزهور .. وبالدموع .. ومنذ الصباح حتى المساء تقف صفوف طويلة من الناس ليقدموا

تعازيهم الحارة .. وكل انواع الناس .. ومعظمهم من الفقراء .. يضعون زهورهم ويوقعون باسمائهم فى سجل ضخم .. لقد امتلأت سجلات عديدة ولم تنقطع أفواج الناس . إنهم يأتون ليلة بعد ليلة .. فى حزن وبطء .. لم أشاهد أبداً مثل هذا الوقار الحزين .. وعندما نبكى نراهم جميعاً يبكون .. قلوبنا معك .. ونحن نحبك .. كلنا ..»

وواصل شتاينبك رحيله من النمسا الى المجر .. وأرسلت اليه مسز كيندى تطلب أن تراه لكى تناقش معه تأليف كتاب عن الرئيس الراحل كيندى .. ولكنه اعتذر برقة فقد ازعجه حادث الاغتيال لدرجة أنه لا يستطيع أن يتمثله مرة أخرى .. وعندما الحت عليه كتب يقول .. «لقد كنت على حق عندما قلت ان الكتاب ليس اكثر من كتاب .. ولكنه يكتسب قيمته عندما يدور حول رجل مات .. لأنه يبعثه حياً .. لعلنا نستطيع الانتظار حتى تنتهى تلك الكوابيس الدامية .. لأن الحياة تعطينا دائماً المزيد من الوعود» .

لقد أرسل شتاينبك الى جاكلين كيندى التى كان يكن لها ولزوجها إعجاباً خاصاً العديد من الرسائل .. وعندما استخرجتها جاكلين لكى تشارك بها فى إعداد الكتاب كتبت الى أرملة شتاينبك .. «لقد وجدت رسائل زوجك . ولا أستطيع أن أعبر لك ماذا كانت تعنى هذه الرسائل فى ذلك الوقت .. لقد ساعدتنى على مواجهة كل المخاوف التى كانت تطاردنى .. أنت لم تعرفى حديثى مع زوجك فى هذه الأيام .. اننى أتذكر حكمته وبعد نظره .. ولا أستطيع أن أتذكر أى نوع من الكتب كنا نتناقش حوله .. ولكنى سعيدة لأن هذا الكتاب لم يكتب . إن هذه الرسائل قالت لى أكثر من عشرات الكتب ..»

فيتنام .. والسقوط الأخير

فى عام ١٩٦٦ أصدر كتابه «أمريكا والأمريكيون» ثم قام برحلته الأخيرة الى جنوب شرق آسيا .

فى ١٥ مارس كان جالساً أمــــام التلفزيون يشاهد خطاب الرئيس الأمريكى ليندون جونسون أمام الكونجرس .. وهتف جونسون «سوف ننتصر .. سوف ننقذ فيتنام من المستنقع الشيوعى الذى تغرقها فيه قوات الفيت كونج ..» وعلى الفور نهض وكتب فى نفس الليلة رسالة الى جونسون يقول له فيها .. «هناك رجل يقول الكلمة .. والكلمة كما يقول الكتاب المقدس تعنى الله . ولكنها هنا تعنى الحياة وتعنى الأمل .. وفى تاريخنا لم يكن هناك أكثر من خمس أو ست لحظات غيرت فيها الكلمة الخرائط وغيرت شكل المستقبل .. خطابك كان واحدة من هذه اللحظات . بعد الآن لن نستطيع العودة الى الوراء .. سوف يوضع اسمك وسط عظماء الرجال فى التاريخ الأمريكى ..» .. ورد عليه الرئيس الأمريكى جونسون قائلاً .. «الآف الرسائل وصلتنى بعد الخطاب ولكن لم يهزنى واحد منهم مثلما هزنى خطابك .. اشكرك يا صديقى العزيز على ثقتك .. وعلى حرارتك» .

كيف يمكن تفسير هذا التحول الغريب .. هل هذا عائد للصداقة الوطيدة التى كانت تربطه بالرئيس جونسون .. أم أن السبب هو ابنه الذى سافر الى فيتنام للاشتراك فى الحرب .. لقد بدا هذا الموقف بالنسبة للمحيطين به كتغير كبير وإنكار لكل الأشياء التى وقف طويلاً خلفها .

وبدأت رحلته الغريبة الى فيتنام .. «كنت أعتقد أن الشرق الأقصى هو أقصى ما يكون عن دائرة اهتماماتى .. لم أكن أريد أن أذهب ولكن الضرورة تدفعنى للذهاب .. »

أى ضرورة ؟ ..

لقد سافر ليس بناء على رغبة الرئيس جونسون كما قال فى احدى رسائله .. ولكن كمراسل لصحيفــــة «نيوز داى» وكان يقترب وقتها من عيد ميلاده الخامس والستين وكتب يقول .. «لن أذهب الى أى مكان بدون ألين .. الحياة قصيرة جداً بدونها ..» وكتب الى المخرج السينمائى الشهير إليا كازان الذى أخرج روايته «شرق عدن» للسينما «ماذا لو أتيت معى الى جنوب شرق آسيا .. الحرب فى فيتنام على وشك الانتهاء وهناك بقية بلدان الشرق .. أريدك أن تكون معى لعلنا نصنع شيئاً مشتركاً ..» ولم يلب كازان الدعوة بالطبع ..

وكتب من فيتنام .. «الماء يحيط بكل البيوت فى هذه المنطقة ولا أدرى كيف يعيشون فى داخلها .. ولا كيف يتعرفون على السلاح الأمريكى .. رجالنا يتحركون ببطء .. يمسكون أسلحتهم كالبراعم التى لم تتفتح بعد .. يسيرون فى بطء .. وتصميم .. لقد قضينا أمس كله فى الطيران الى بانكوك حيث شاهدنا قتالاً استخدمت فيه كل أنواع الأسلحة والمعدات . هناك وقت ضئيل للنوم هنا ولكن لم أشعر أننى أفضل فى حياتى كما أشعر الآن ؟!!» .

وكتب من بانكوك .. «نحن الآن فى جزيرة جميلة بنانج .. نحن الآن نستريح فيها . طول الجزيرة عشرة أميال تناولنا فيها العشاء وخضنا معركة كفاحة للشهية »

وانتهت الرحلة التى استغرقت خمسة شهور بجولة اضافية فى آسيا كأنما يحاول أن يؤكد لنفسه أن ما تفعله أمريكا فى المنطقة هو نشر الحضارة والحرية .. وليس نشر الموت .

لقد كان التناقض فى أعماقه هائلاً . ولم يستطع أن يتحمل أكثر من ذلك فسقط مريضاً فى هونج كونج ونقل على وجه السرعة الى مستشفى فى نيويورك وظل طوال فترة مرضه يهذى بذكريات الحرب . وعاد فى نهاية الصيف الى بيته فى لونج ايلاند ولكن حالته تدهورت واضطر الى اجراء جراحة بزل من النخاع الشوكى وظل راقداً فى فراشه لا يستطيع التجول إلا فى إطار غرفته .

وفى يوليو عام ١٩٦٨ تعرض لحالة هبوط فى القلب ودخل المستشفى مرة أخرى ولكن حالته ازدادت سوءاً وكتب رسائل قصيرة يقول فيها «انه سوف يشعر بالتحسن اذا اشترى آلة كاتبة وكتب لكل أصدقائه .. ولكن الأزمة التالية لم تعطه الفرصة ..»

وتوقف قلب شتاينبك .. وانتهت تلك الحياة الطويلة الحافلة ..

وثيقة إسلامية نادرة جداً:

مسلم أسباني أمام محاكم التفتيش

د. الطاهر أحمد مكي
ريشة: هبة عنايت

منذ عامين لقيت فى مدريد مساعد مدرس فى كلية ازهرية جاء على منحة مخصصة لكلية الآداب فى المنيا ، ليحصل على الدكتــوراه فى الأدب الأندلسى . كان مندهشاً ومذهولا : رد السلام على الناس فى المطار حين هبطت الطائرة فلم يجبه احد ، ومد سمعه الى ما يقولون فلم يفهم شيئاً ، وسأل عن أقرب مسجد يؤدي فيه الصلاة فعرف أن مدريد ليس فيها أى مسجد على الاطلاق، وتبين له انه سيدرس الأدب فى الجامعة بلغة لا يعرفها ، ويكتب رسالته فى لغة عليه أن يتعلمها ، فاخذ الحكاية من قصير ، جمع أوراقه وعاد الى بلاده ، والحصول على الدكتوراه هنا أسهل بكثير !

والحق ان ما جرى فى الأندلس شيء لا يتصوره العقل ، هذه البلاد كانت يوماً تتحدث كلها اللغة العربية ، وتدين فى جملتها بالاسلام ، ومنذ ثلاثة قرون فحسب ، كان فيها من على دينه القديم يعبد الله سراً ، ويتكلم العربية خفية ، حتى لا تمتد اليه محاكم التفتيش .

وكنت أشك فى أن القرن السابع عشر شهد شيئاً من هذا ، حتى وقعت يدى على وثيقة تعود الى مطلعه ، وقف صاحبها متهماً بانه يبطن الاسلام ويدعو اليه ، وأطبقت على الوثيقة فى الحال ، فوثائق محاكم التفتيش الخاصة بالمسلمين محفوظة فى أمكنة لا يصلها غير القليلين ، وبإذن خاص من الدوائر الدينية العليا .

وتبدو لنا هذه المحاكمة هينة الآن ، والاحتفاظ بالدين شيء عادى ، ولكن ! .. لو بدأت معى الرحلة من اولها فستجد انها كانت أياما مليئة بالرعب والقسوة والتعذيب ، وأن القابض فيها على دينه كالقابض على الجمر .

نهاية دولة الاسلام

مع نهاية القرن العاشر الميلادى كانت الدولة العربية ، أو الاسلامية إن شئت ، فهما مصطلحان لشيء واحد فى العصر الوسيط ، تشمل معظم اسبانيا ، بينما قامت جماعات صغيرة فى الشمال الغربى على شاطىء البحر ، قوامها فرسان فروا من المعارك طلباً للنجاة ، وعاشوا فيها يقطعون الطرق ، ويهاجمون الحدود ، ثم يلوذون بقمم الجبال ، ونمت هذه الجماعات ، ثم تطورت ، واتخذت شكل دويلات صغيرة ، دخلت التاريخ تحت اسم : ممالك الشمال المسيحية . ومع الزمن قويت ،واخذت تستغل ضعف الدولة العربية ، فالتهمت مدنها واحدة وراء أخرى ، حتى إذا كان القرن الثالث عشر حصرتها فى مثلث رأسه غرناطة ، وقاعدته مدينتا المرية والجزيرة الخضراء .

وظلت دولة العرب تقاوم ، ثم أدركها الهرم القاتل ، الذى يلحق الدول من جراء الجرى وراء المغانم والانتفاع بها ، وبسبب غرق الكثيرين فى الانطلاق مع كل وسائل الرفاهية والاستمتاع ، فكان ذلك بداية لأفول المجد وضياع كل ما تم من انتصارات ..

واحكم العدو حصاره حول العاصمة ، وحين بدا للقائمين على حكم اخر معاقل الاندلس ، ان المقاومة تتطلب كثيرا من الجهد والتضحيات استجابوا لاغراء العدو ، ومفاوضته سرا بعيدا عن رقابة الجماهير ، وفى غفلة منها ، وغايتهم الاولى كيف يفلتون بجواهرهم وثرواتهم وأملاكهم ، وماذا سيقدم لهم مقابل التنازل له عنها ؟ .

وصمد عامة الناس ، وكانوا على استعداد لأن يصمدوا أعواما ، ولأن يقاتلوا دون بيوتهم وأعراضهم فليس عندهم ما يخسرونه مع القتال ، ولا ما يكسبونه مع الهزيمة ، إنهم مع التسليم يفقدون كل شيء ، حتى سبب بقائهم .

وتمت الصفقة على أى حال من وراء ظهور الجميع ، وطوقها الجنود من جوانب غير معهودة ، وحين حاولت الجماهير أن تقاوم ، وهى تهتف بسقوط الخائن ، أطفئت الثورات فى قسوة . وفى الصباح الباكر من يوم الاثنين ٢ يناير ١٤٩٢ م ، تم تسليم العاصمة ، وخرج القائد المهزوم حاكم غرناطة ، فى طريقه الى ضياعه الجديدة التى قبضها ، ومعه ثرواته التى حصلها ، وحين ألقى اخر نظرة على غرناطة عاصمته احس بانه خسر مجدا ، واضاع ملكا ، وتخلى عن شعبه لحظة العسرة ، والقى به فى الهاوية لحظة المحنة ، وبدت له المدينة جميلة على نحو لم تكنه يوما ، فاجتاح اعماقه أسى حزين ، واحس انه خسر شيئا عظيما ، فبدأ يتنهد حسرة وبكى ،

وردت عليه امه ، السلطانة عائشة : «حسنا فعلت يا بنى ، أبك مثل النساء ملكا مضاعا لم تحافظ عليه كالرجال» . وحمل الطريق منذ تلك اللحظة ، وحتى يومنا ، اسم : زفرة العربى !.

تضمنت معاهدة التسليم شروطا هامة لحماية عامة الناس فى غرناطة ، كسبا لرضاهم ، وتشجيعا لهم على ترك دينهم ، ثم بدات الخطة الرهيبة حين اخذ عراف الملكة على عاتقه ، فى عام ١٤٩٩ ، ان يقوم







بحملة مكثفة لاكراه المسلمين على الكثلكة ، فحول المسجد الجامع فى المدينة الى كنيسة ، وعمد فى يوم واحد ثلاثة الاف مسلم ، وأصدر قراره بجمع كل ما عند المسلمين من كتب ، وطلب منهم تقديمها وإلا تعرضوا لأقسى العقوبات ، وجمع منها ما يتجاوز المليون مخطوطة ، احتفظ من بينها بالكتب الطبية ، وأرسلها الى جامعة القلعة ، ثم أسلم بقيتها الى النيران ، فى حفل عام أقيم فى ميدان باب الرملة على مقربة من الحمراء .

وبدأ ينتزع الأطفال من آبائهم ليربيهم فى العقيدة الكاثوليكية ، واستولى على أوقاف المساجد ، بعد أن حولها الى كنائس ، لينفق منها على هذه الأعمال . وأخذ بقية الأساقفة ، بوحى منه ، أو بدافع المنافسة ، يسابقونه فى هذه الأعمال . وأدت هذه الأعمال المخالفة لمعاهدة التسليم الى ثورة سكان غرناطة فاطفأها الاسبان بقسوة ، وانتهز الكاردينال الفرصة ليقول إن السكان بثورتهم فقدوا كل الحقوق التى نصت عليها المعاهدة ، ومن ثم فليس أمامهم إلا أمران : أن يصبحوا كاثوليكاً أو أن يرحلوا . واثرت الأغلبية أن تبقى .

الرضا ، منها : تامين الصغير والكبير فى النفس والأهل والمال ، وإبقاء الناس فى أماكنهم ودورهم وعقارهم . وأن تبقى لهم شريعتهم يتقاضون فيها ، وأن تظل لهم مساجدهم وأوقافهم ، وألا يدخل الكاثوليك دار مسلم ولا يغصبوا أحداً ، وألا يولى على المسلمين إلا مسلم ، وأن يطلق سراح جميع الأسرى المسلمين . والذين يرغبون أن يتركوا غرناطة الى أفريقية لهم ذلك ، وفى سفن يقدمها الملك الاسبانى ، مقابل أجر معين ، لمدة محددة ، بعدها يدفع من يرحل عشر ثروته للدولة .

ونصت المعاهدة على ألا يؤخذ أحد بذنب غيره ، وألا يرغم من أسلم من الكاثوليك على العودة الى دينه ، ولا يعاقب أحد على الجرائم التى وقعت ضد الكاثوليك فى زمن الحرب ، ولا يكلف المسلمون بضيافة الجنود الاسبان ، ولا ترفع عليهم الضرائب عما هو معتاد ، ولا يسمح للاسبان بالتطلع على بيوت المسلمين ، ولا يدخلون المساجد ، ويسير المسلم فى بلادهم آمناً فى نفسه وماله ، ولا يلزم المسلم بوضع علامة مميزة ، ولا يمنع مؤذن ولا مصل ولا صائم من أمور دينه ، ومن ضحك منه يعاقب ، وترفع عنهم الضرائب سنين معلومة .

المعاهدة قصاصة ورق

كان الملك الاسبانى عازماً فى البدء على احترام المعاهدة التى تحمل توقيعه وتوقيع البابا فى روما الى جواره ، ولكن الأمور سارت على غير ما تقرر ، دون أن يستطيع عليها اعتراضاً .

فقد أخذ أسقف غرناطة يعمل لحسابه ، وعلى مسئوليته ، فى حمل المسلمين على أن يصبحوا كاثوليكاً ، واستجاب له فى البدء عدد من الأسر الغنية والعريقة بمفهوم العصر ، على حين قاومت جماهير العامة هذا الاتجاه بعنف ، وفى مواجهة قوة غاشمة ، وفى ظروف بالغة السوء ، ولم يستطع أن يحقق فى حملته هذه ، على امتداد سنوات ، إلا نتائج محدودة للغاية ، مما أغضب الكاردينال خمينيث

مسلمون حقيقة وواقعاً

أصدر الكاردينال أوامره بتعميد كل المسلمين ، دون اعتداد برأيهم ، ودون حتى أن تتاح لهم الفرصة ليعرفوا شيئاً من الدين الجديد الذى يساقون اليه ، والذين رفضوا لاذوا بجبال البشرات القريبة من غرناطة ، وهى منطقة جبلية صعبة للغاية ، وعاش فيها كاتب هذه السطور شهرين كاملين دارساً ، ولاتزال أسماء القرى ، والقاب العائلات عربية حتى يومنا هذا .

وقد أطلق على المسلمين المتنصرين اسم «المسيحيون الجدد» ، تمييزاً لهم عن الكاثوليك القدامى ، ودخلوا التاريخ أيضاً تحت اسم «الموريسكوس» ، تصغير كلمة «مورو» ، أى المسلمين الصغار . ورغم قبولهم الدين الجديد ظاهراً كانوا موضع احتقار ظاهر ، ويعاملون كما لو كانوا رقيقاً ، أو مواطنين من الدرجة الثالثة فى أحسن تقدير ، كانوا — على حد تعبير مؤرخ اسبانى — كاثوليكاً فيما يتصل بالواجبات والمسئوليات ، ولكنهم ظلوا مسلمين وعرباً فيما يتصل بالمخاطر والصعوبات وعدم المساواة أمام القانون» .

وسارت حملة الكثلكة فى بقية بلاد الأندلس على نحو ما سارت عليه فى غرناطة .

وفى عام ١٥٢٦ بدا واضحاً لمحاكم التفتيش ، وكانت قد أقيمت من زمن طويل لمتابعة الالحاد واليهود والمساس بأمور الدين ، إن كثلكة هؤلاء المسلمين عمل ظاهرى بحت ، القصد منه الافلات من الملاحقة فحسب ، فقد تبين لها أنهم ازدادوا تمسكاً باتخاذ العربية وسيلة للحديث ، وأنهم يجهلون اللغة الاسبانية بل انهم علموا الاسبان فى منطقة بلنسية اللغة العربية ليتم فيها التفاهم بينهم ،

وزاد المشكلة تعقيداً أن الرهبان الموكلين بتنصيرهم لا يعرفون من اللغة العربية شيئاً ، أو يعرفون شيئاً قليلا للغاية لا يصلح لشىء ، وهكذا أصدر الكاردينال أوامره : بما أن هؤلاء الموريسكوس من رعايا الملك فان عليهم أن يتعلموا لغته فى خلال ثلاثة أعوام .

ثم تبين أن اللغة ليست إلا جانباً من المشكلة ، فتأكد أن هؤلاء المسلمين لم يتخلوا لا هم ، ولا بنوهم عن عقيدتهم ، فهم فى السر يصومون ويؤدون الصلاة ، ويتزوجون على الطريقة الاسلامية ، ويرفضون واقعاً التراجع خطوة واحدة عن شخصيتهم الحقيقية للاندماج فى المجتمع الجديد .

الى محاكم التفتيش

وإزاء هذه الظاهرة تقرر إخضاع الموريسكوس لمحاكم التفتيش ، ولم يكونوا يخضعون لها من قبل .

ومحاكم التفتيش طراز غريب من المحاكم انشىء فى القرن الخامس عشر للمحافظة على نقاء العقيدة الكاثوليكية ، وكانت هذه غايتها ، أما وسائلها وسلطاتها فغير محدودة .

وبدأت الأوامر بهدم الحمامات العربية ، أو الاستحمام على الطريقة العربية ، أو التحدث باللغة العربية ، أو ارتداء الملابس العربية ، أو الاستماع الى الموسيقى العربية ، أو السمر على الطريقة العربية ، وباختصار محظور كل شىء له صلة بالماضى ، أو يميز هؤلاء الموريسكوس عن غيرهم ، وكل مخالفة لهذه الأوامر تعد خروجاً على العقيدة ، وتحال الى محاكم التفتيش .

قد تقوم وثيقة الاتهام على إشاعة ، مجرد إشاعة ، أو يذهب الانسان بنفسه ، ليعترف رعباً ، ودليلا على حسن نيته ، بلفظ تفوه به عرضاً ، ودون أن يعنى شيئاً ، ويخشى أن يكون احد قد سمعه . ومن بين وثائقها التى نشرت نجد مثلا هذا الاعتراف : «انا إيزابيل لويث ،زوجة فرانسيسكو لويث ، قلت دون أن أتدبر ما قلت ، أو أعتقده : لا أستطيع أن أقول رأيى فى الآخرة ، لأنى لا أرى شيئاً مما يجرى هناك ، كمثل جار تعود الناس أن يتفوهوا به . ونجد شخصاً مقدماً للمحاكمة ، لأنه قال عرضاً يشير الى الآخرة : «أنا هنا بخير ، ولست أعرف ما هناك» !

وقد تكون الوثيقة شهادة الجيران عليه ، أو وجود كتابات عنده تبرر اتهامه وتقديم المسلم سابقاً ، أو ما يسمى بالمسيحى الجديد ، الى المحاكمة لا يستدعى إثباتاً أو شهوداً ، مجرد بلاغ من أى انسان بأنه يشك فى أنه يسير فى شىء من حياته ، مهما كان تافهاً ، على طريقة المسلمين . وفتح هذا الباب على مصراعيه أمام الضغائن الشخصية ، الذى يطمع فى زوجة جاره ، والمالك الذى يريد أن يهرب من اجر عامله ، والتاجر الذى يخشى منافسة زميله ، وباختصار فان الطريق واسع وعريض لكل من يريد أن يتخلص من أى انسان ، وأية تهمة صالحة لأن تدفع بمسلم سابق الى أعماق السجون .

اجراءات المحاكمة

ومع أى اتهام يصل المحكمة عن أى طريق وبأية وسيلة ، يصدر المدعى فى المحكمة أمراً باعتقال المتهم ، ويتم الاعتقال فجأة فى منتصف الليل ، يوقظ المتهم ، ويحمل الى سجن سرى فى حالة من الرعب والاضطراب ، ولا يمكن لأى متهم أن يعرف حقيقة التهمة الموجهة اليه ، ويبقى الشهود والمبلغون سراً عليه ، ولا على غيره ، لا يعرفهم أحد أبداً غير اعضاء المحكمة ، ويستولى على كل الوثائق التى توجد فى حوزته ، وإذا كانت التهمة الموجهة اليه خطيرة ، وكل التهم خطيرة ودائماً ، تصدر المحكمة قراراً بمصادرة كل ثرواته ، طول أيام المحاكمة ، وقد تاخذ سنوات ، الى أن يبرأ فترد اليه ، أويدان فتثبت المصادرة ، ولم تبرىء المحكمة شخصاً واحداً فى تاريخها الطويل .

والسجن السرى الذى سوف يلقى فيه بالمتهم مكان أشد تعاسة من أسوأ مكان يمكن أن يفكر فيه الانسان ، فهو مظلم ، ومرتع لكل الحشرات والأوبئة ، وتشارك الحيوانات المفترسة السجناء فى الاقامة به ، وعليهما أن يتفاهما ، أو يقضى أحدهما على الآخر .

ويبقى المتهم فى السجن شهوراً قبل أن يخطر بالتهمة الموجهة اليه ، وسوف تمضى شهور طويلة بين كل مرة ومرة يستدعى فيها لسؤاله ، ويسأله المدعى فى المرة الأولى عما إذا كان يعرف لماذا ألقى به فى السجن ، وما هى التهم التى يمكن أن توجه اليه ، ثم يطلب منه أن يعود الى نفسه ، وأن يتأمل واقعه ، وأن يعترف بكل الخطايا التى يمليها عليها ضميره . وخلال ذلك يسأله عن اسمه وعنوانه ، وأسرته وأقربائه ، وأصدقائه وأساتذته ، والأمكنة التى عاش فيها أو كان يتردد عليها .

ومن المألوف الا يقاطع المتهم فى إجابته ، وأن يترك له أن يتحدث كما يشاء ، وأن يسجل عليه الكاتب كل ما يقول ، وقد يطلب منه أن يؤدى الصلوات المسيحية المختلفة ، ليعرف ما إذا كان مسيحياً حقاً ، وهل هو طيب أم مهمل ، وهل متعمق فى كاثوليكيته أم يأخذها على نحو هين .

وتجرى المحاكمة بطيئة للغاية ، إلا فى الحالات النادرة التى ترى فيها محكمة التفتيش أن الأمر يتطلب الاسراع والعجلة ، حينئذ تختصر الوقت والاجراءات وتصدر قرارها فوراً .

وبعد هذه المقابلات يقدم المدعى قائمة

المساكين الذين عاشوا في هذا السجن

الاتهام ، والتى يمكن تعديلها ، وإضافة اشياء جديدة اليها فى أى وقت ، ويسأل رئيس المحكمة الشهود ، أو يترك أمرهم لكاتب الجلسة ، وسؤال الشهود يتم سراً فى كل الأحوال ، ولا يعرفهم المتهم أبداً ، وتأتى التهم مجملة والحكمة من وراء هذا ألا تتاح له البرهنة على ما بينه وبينهم ، أو بين واحد منهم من عداوة ، فيسقط شهادتهم ، فاذا ساعده الحظ ، وذكر عرضاً اسم واحد منهم دون أن يعرف ، وبرهن على عداوة بينهما ، وتبين للمحكمة انه من الشهود ، يمكن أن تراجعه فى شهادته .

تؤمن محاكم التفتيش بأن الاعتراف سيد الأدلة ، وغايتها الأولى والأخيرة أن تحصل على هذا الاعتراف ، وليس مهماً كيف تحصل عليه ، أما الأدلة الأخرى فقد انتهى دورها بمجرد اعتقال المتهم . وإذا لم يعترف فان وسائل التعذيب جاهزة ، وتشمل كل ما يخطر على قلب بشر ، وما لم يدر بالفكر المعاصر ، من الجوع والعطش ، والحرق والجلد ، وبتر الأعضاء ، ونزع الشعر ، ومواجهة الحيوانات الضارية . والشىء الوحيد الذى نعرفه على أيامنا ، ولم يستخدم يوماً ، هو الجنس ، لأن التعساء الذين انتهى بهم المطاف الى سجون محاكم التفتيش ، والنهاية التعســة التى يتوقعـونها ، لم تبق لديهم ما يغارون عليه فى أنفسهم ، أو فى أعراضهم .

يبدأ التعذيب عندما يتبين أن الاعترافات غير كافية ، أو يعترف ثم يحاول أن يظهر حسن نيتـه ، أو أن يبرىء نفسه مع الاعتراف من تهمة الالحاد . وكلما كان الاتهام تافهاً ومهزوزاً كان التعذيب مراً وقاسياً . وخلال تعذيب المتهم يجلس الكتبة حوله يسجلون اعترافاته ، وصراخه وآلامه وبكاءه ، وطلبه الرحمة أو الشفقة . ويخضع الشاهد للتعذيب نفسه إذا جاءت شهادته على غير رغبة المحكمة . ولم يكن ثمة ما يعفى الانسان من التعذيب ، الشيخ كالطفل ، والمرأة كالرجل ، ويجرى تعذيب المتهمين وهم عرايا ، ويتم فى بطء لتؤدى كل مرحلة غايتها فى الايلام ، ولا يسأل المتهم عن شىء لحظة التعذيب ولكن ما يتفوه به يقيد ، وما يرد من اعترافات أثناءه عليه أن يؤكده خلال أربعة وعشرين ساعة من وقف التعذيب ، وإلا أعيد اليه مرة أخرى .

ثم تأتى المرحلة الأخيرة ، وهى إعلان الحكم ، وتعلن الأحكام الخفيفة فى المحكمة ، وأحكام التهم الضخمة يتم إعلانها فى مهرجان عام وكبير ، ولا يعرف المتهم درجة الحكم إلا فى صباح اليوم الذى يتقرر فيه المهرجان ، ويرتدى ثياباً خاصة تعرف منها الجماهير طبيعة التهمة الموجهة اليه ، ونوع الحكم فيها . والمحكوم عليه بالموت حرقاً وحدهم يخطرون بالحكم مساء ، لتكون أمامهم ليلة كاملة يعترفون فيها أمام أنفسهم بما أخفوه عن المحكمة ، حتى يلقوا الله وضمائر مطمئنة .

وقد تحكم بالجلد ، وهى فى ذاك لا تقيم للسن وزناً ، فقد أصدرت حكمها بجلد شيخ فى السادسة والثمانين ، وفتاة فى الثالثة عشرة ، بمائتى جلدة لكل منهما . وقد تحكم على المتهم بارتداء ملابس معينة طوال حياته ، فاذا سار فى الشارع كان الناس ملزمين بسبه وإهانته ثم تأتى عقوبة السجن مدى الحياة ، وهى أهون العقوبات وأخفها ، لأن ازدحام السجون أرهق الكنيسة بنفقاتهم وإزاء عجزها عن بناء سجون جديدة ، كانت تطلق سراح القدامى منهم ، مهما أمضوا من العقوبـــة ، لتســـتقبل المستجدين .

ومع ذلك فسوف نلتقى بأسبانى مسلم ، مقدم الى محكمة التفتيش ، بعد مائة عام من تنفيذ القانون ، لا بتهمة أنه أخفى الاسلام وراء اعتناقه الكاثوليكية فحسب وإنما بتهمة أنه كان يبشر به سراً بين الآخرين حوله ، يدعوهم اليه ، ويعلمهم مبادئه ، وهذا هو الجديد فى الوثيقة التى سنقدمها مترجمة .

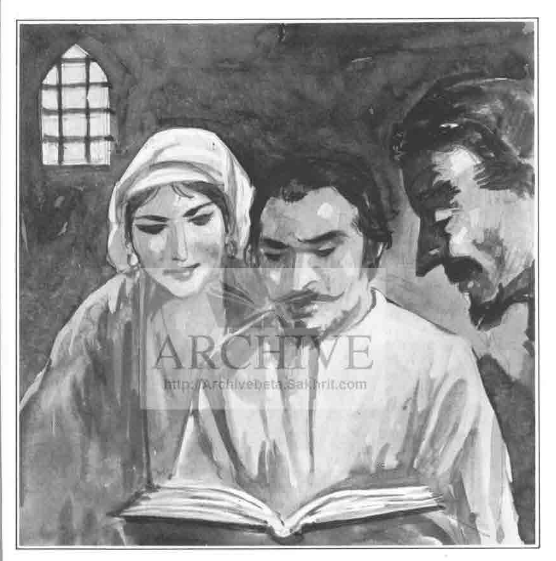
ترى كم من المسلمين الآخرين ظلوا مثله على دينهم ، يحتفظـون به فى قلوبهم ، ويعلمونه أبناءهم خفية ، ويدعون اليه الآخرين سراً ، من المؤكد أنهم يبلغون الآلاف عدداً ، وسوف تقدر روعة هذه الصلابة ، إذا عرفت أن الذين حكمت عليهم محاكم التفتيش بالاعدام حرقاً يتجاوزون الأربعين ألف عدداً ، ثم اقتنعت أخيراً بأن كل الذين اعتنقوا الكاثوليكية مكرهين ، احتفظوا سراً باسلامهم نقياً ، فصدر القرار بطردهم جميعاً عن وطنهم عام ١٦١٣ ، وكانوا قرابة المليونين ، وتخلف منهم عدة آلاف .

لقد عثرت على هذه الوثيقة صدفة ، فى دار المحفوظات التاريخية الوطنية فى مدريد ، فى القسم الخاص بوثائق محكمة التفتيش فى بلنسية ، والوصول الى مثل هذه الوثائق ليس أمراً سهلاً على الدوام ، وقد نقلتها ، وجاءت فى اللغة الاسبانية القديمة ، وهى اعتراف من فرنسى اعتنق الاسلام ، بتأثير مسلم من بلنسية ، فأصبح شاهداً ومتهماً فى الوقت نفسه ، وقد تم الاعتراف فى جلسة واحدة ، ومن المؤكد انها تكررت ، ولم أهتد اليها ، ومن المؤكد ان هناك وثائق أخرى تحمل اعترافات المتهم الأصلى ، ولم أتوصل اليها أيضاً .

والى القارىء نص الاعتراف ، وينشر للمرة الأولى فى اللغة العربية ، مترجماً







مباشرة عن لغته الاسبانية نفسها .

نص الوثيقة

اعتراف تم امام محكمة تفتيش بلنسية ، من قبل خوان بيبى ، مسيحى قديم ، فرنسى المواطنة ، وفيه يصرح باقاضة كيف أن سيده فكينت ، موريسكى من بلنسية اقنعه باعتناق الاسلام ، ودفعه الى اداء الفرائض الاسلامية .

فى جلسة لمحكمة التفتيش المقدسة لمدينة بلنسية ، فى ٢٢ اغسطس ١٦٠٥ م ، برئاسة فيدريك كورنت ، أحضر بناء على طلبه ، رجل من السجن السرى ، وحلف بأن يقول الحقيقة عن التهمة الموجهة اليه فى هذه الجلسة ، وكذلك فى الجلسات التالية حتى تنتهى المحكمة من الاتهام الموجه اليه ، وان يحتفظ بالأمر سرا .

قال : إن اسمه خوان بيبى ، راعى غنم ويعيش فى «سوت» ، فى بيت ميلون دى قمرة ، مسيحى جديد ، وإنه أصلا من مدينة روان ، فى محافظة من مملكة فرنسا ، ولا يعرف كم يبلغ من الأعوام ، ولكنه فيما يظن يجب أن يكون قد بلغ ٢٥ عاما ، غير أن مظهره يوحى بأنه قد تجاوز الثلاثين ، وإنه ألقى القبض عليه فى متسنيرة ، فى الجبل الأبيض ، حيث



يرعى أغنام سيده ، ووضعوه أمس في السجن السري لمحكمة التفتيش المقدسة وصرح بنسبه ، وأنه من طبقة وجيل مسيحي قديم ، وجنسيته فرنسي من مدينة روان .

وقد صدر الأمر بالقبض على هذا الشاهد كمتهم ، لأنه كان يأتي بأعمال كالمسلمين ، وعندما ذكر الأمر أمامه لأول مرة اعترف بالآتي عن هذا الاتهام .

قال إنه سوف يقول الحقيقة ، لأنه يود أن ينقذ نفسه ، وأنه عصى الله سيدنا ، ويطلب الرحمة ، وأنه شديد الندم ، ولن يعود الى العيش مرة أخرى بين الموريسكيين . والحقيقة أنه يقيم في مدينة شقرب كما قال ، مع فكينت هذا ، وهو مسيحي جديد ، ولأنه ظل وقتا طويلا معه ، امتد أحيانا الى ست سنوات ، ورغم أنه كان يلتقي مع مسيحيين جدد آخرين ، كان يعيش دائماً ويبيت في دار فكينت ، وبما أن هذا كان مسلماً ، ويعيش حياة اسلامية ، فقد اقنعه بأن يصبح مسلماً ، وأن يعيش حياة المسلمين ، لأنه إن صنع هذا فسوف ينجو ، أما إذا كان مسيحياً فلن ينجو ، ويقول : إنه قاوم ، وظل يعتقد في المسيح أكثر من ثلاثة أعوام ، ولكنه أخيراً ، كشخص بسيط ، اعتقد أن من الأفضل له أن يصبح مسلماً ، وأنه يستطيع أن ينجو في دين المسلمين ، وهكذا فانه قبل عيد الميلاد الماضي بثمانية أشهر على التقريب قرر أن يعتنق الاسلام ، ووعد فكينت بأن يصبح مسلماً ، وعلمه هذا كيف يغتسل ويتوضأ أمامه ، عند أحد عيون سوت ، واستجاب له خوان ، فغسل قدميه ويديه ورأسه والأعضاء المخجلة ، ولكنه لم يقل أية كلمة لأنه لا يعرف ولا يفهم العربية ، وبعد ذلك احضر فكينت حصيرة الى العين ، مخبأة تحت عباءته ، وجلس في وسطها ، وقبلها أولا ، وبعد ذلك قبلها خوان ثلاث مرات ، لأن فكينت علمه هذا ، ثم اتجه الى حيث تشرق الشمس ، ثم رفع وخفض رأسه ثلاث مرات ، وقال فكينت بعض الصلوات باللغة العربية ، التي لا يفهمها خوان ، وبعد أن انتهت الصلاة ذهب هذا ليرعى الغنم .

وفي اليوم التالي ، مع طلوع الشمس ، توضأ وصلى بنفس الطريقة ، وكان فكينت نفسه ، المشار اليه ، حاضراً ، وقال بالعربية أشياء من التي تخص المسلمين وبدأ يقوم ويقعد وخوان يصنع مثله .

وفي اليوم الثالث أيضاً ، في الساعة نفسها من طلوع الشمس ، للمرة الثالثة ، توضأ وصلى ، عند نفس العين ، وعلى نفس الصورة ، وفكينت يعلمه ما يجب عليه أن يعلمه ، وهو يصلي بالعربية كما قلنا ، وبعد أن قام خوان بالوضوء والصلاة ثلاث مرات ، لحظ أنه ارتكب معصية كبيرة ، وتألم مما فعل ، وعرض على فكينت ألا يصنع هذا أزيد مما صنع لأنه مسيحي طيب ، وأنه يعمل مع سيده لكي يقبض ما يجب ، ويذهب الى روما ، ويعترف بخطيئته ، ولكنهم لا يدفعون له .

ثم توقف عن الاعتراف .

وسئل عما إذا كان ثمة أشياء أخرى ، أو طقوس اسلامية قام بها ، وأن عليه أن يعترف كاملا ، دون أن يخفي أي شيء ، لكي يبرىء ضميره ، ولصالحه من الأوفق له كثيراً أن يعترف ، وأن يقول كل شيء كاملا وبالتفصيل ، دون أن يترك شيئاً ، ولا تغضب نفسك ، ولا شاهداً آخر مزيفاً ، وبهذه الطريقة يمكن أن نستخدم معك الرحمة على نحو أفضل .

قال : إنه يرغب في أن يبرىء ضميره تماماً ، وأنه سوف يفكر ، وسيقول كل ما يتذكر ، ولقد قلت له أن يفكر جيداً هذه الليلة ، لأن من الأوفق له كثيراً أن يعترف بالحقيقة كاملة .

وسئل : عندما وعد بأن يصير مسلماً ، وتوضأ وصلى ثلاث مرات ، على نحو ما اعترف ، هل كان يعرف أن الدين الاسلامي ، وأن الوضوء والصلوات التي قام بها ضد العقيدة الكاثوليكية المقدسة وعما إذا اعتقد أن دين المسلمين هذا يجعل منه شخصاً طيباً ، وكافياً لينقذ روحه معه ، وأن يذهب الى السماء ؟ فاعترف بأنه كان يعرف جيداً أن دين المسلمين هذا ، وأن الوضوء والصلاة ضد قانون المسيح سيدنا ، ولكن بما أن فكينت ظل يقنعه لمدة طويلة بأن يصبح مسلماً ، وأنه بالدين الاسلامي سوف ينقذ روحه ويصعد الى السماء . وبما أن خوان بسيط اعتقد أن دين المسلمين كاف لانقاذه ، وهكذا وعد فكينت بأن يعتنق الاسلام ، وقام كمسلم بالوضوء والصلاة ثلاث مرات على نحو ما ذكر . وغايته أن ينقذ روحه بهذه الصلوات . وبعد أن أداها عاد الى نفسه ، وتألم كثيراً مما فعل ، وفكر في أن يعود مسيحياً ، وأن يذهب الى روما ، وأن يعيش ويموت على العقيدة الكاثوليكية المقدسة .

وقد هددته بعظمة الله سيدنا بأن يفكر جيداً في موضوعه ، وأن يقول الحقيقة كاملة لينقذ روحه ، ثم أمرت بأن يعود الى سجنه السري .

رئيس محكمة التفتيش
الدكتور فيدريك كورنت
(توقيع)
السكرتير : الأب خوان بيدال (توقيع)

● ● ●

من فكينت هذا ؟ إنه واحد من ألوف المسلمين الطيبين في أسبانيا ، توزعتهم السجون ، وأكلتهم الطرق ، أو كانوا طعاماً شهياً للنيران ، ذهبوا ولم تبكهم عين ، ولا خط تاريخهم قلم !

د. الطاهر احمد مكى

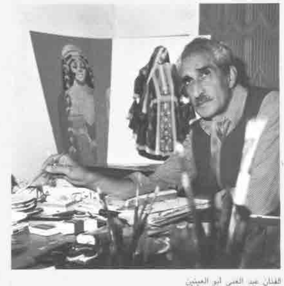
كلمات من أجل نيسابور

م. كجراي

واهاً لنيسابور
تنوء بالأحزان
فاجأها الدمار فاستلقت على قارعة الطريق
دامية العيون لا تملك أن تنفذ من دوامة الحريق
وريد ينزف ،
نبض قلبها يهتز تحت خيمة الدخان
فى ليلها يرتعش الصخر ، يجوس الذعر فى خرائب المكان
يختنق الجماد والنبات والانسان
واهاً لنيسابور ترقد كالفريسة المخدرة
تنام فى دائرة الظل كما الحقيقة المزوره
تأريخها الناصع فى امتداده
يزرح تحت ثقل الآلية المجنزره
لو مرة واحدة تنمرت عيونها
لما غدت كالساحة المهجورة المسوره
لانهد ركن الصمت ،
جاء الصحو عبر اللحظة المدمره
أبحث فى دروبها عن ومضة الرفض
فلا ألمح غير غصة الفجيعة
قضاتها يمشون فى دائرة الشيطان
يمتشقون السيف
يستثمرون مطر الحزن وغيم الصيف
يبررون الزيف
ومنطق الكارثة المريعه
يقايضون الخبز بالشريعة

* * *

الحزن رؤيا حلم تعبر لا تأبه بالجدار
حين تعرى الصمت واستلقى على أريكة النهار
تصاعد البنفسج الحزين كالبخار
وغامت العيون
تجسدت مقاطع الحروف فى شواهد القبور
عرفت ما غاب عن الذاكرة الحزينه
يا قلبى الراسف فى أزقة المدينه
لو لم يدب الذعر فى عروق نيسابور
تجمدت أطرافها
وفاتها أن تدرك اليقظة، أو تألف ما ينبض فوق رحم الجذور
فلتذبل الأوراق أو يزدهر الخابور
النهر فى هديره يجتاح كل صلف الصخور
يدمر القلاع والحصون والجسور



الفنان عبد الغني ابو العينين



ثوب المرأة القطرية .. وفوقه العباءة

لمسة فنان على الثوب الخليجي

رشاقة التعبير وجمال الألوان

رحلة مع أولى لوحات الفرقة الشعبية

كمال سعد

من ادق العبارات التى قرأتها عن وظيفة الملابس فى حياتنا ، ما قاله احد الفلاسفة ، من ان الملابس تحلق بنا الى افاق الفن الخالص ، حيث نرى معانى الرشاقة وجمال التحفز وقمة البراءة والاحساس بشىء ما يوشك ان يظهر لانه معلق عند حافة ما هو ظاهر وصريح !

ولان الرسام الفنان هو ذلك الموهوب الذى يحيل الموديل الذى امامه وتشعه لامكانياته الى لوحة فنية تعبر عن



اللابس البيضاء هى رداء الرجال وفوقها عباءة

نماذج من حلي المرأة القطرية

الجمال وتكشف عن الحقيقة وسر وجودها . فقد وجدت نفسى اقف متاملا لهذا الجهد الفنى المبذول فى اللوحات التى رسمها الفنان التشكيلى المعروف عبد الغنى ابو العينين لملابس الفرقة القومية القطرية للفنون الشعبية ، مستمدا تفاصيلها من العادات الموروثة عن الاباء والاجداد ، التى من بينها ثوب المرأة الطويل الذى يسمونه الدراعة والذى توضع فوقه عباءة سوداء تسمى الدفة تغطى كل جسم المراة مع البطولة او البرقع القماشى الأسود الذى يوضع على الوجه ولا يكشف إلا عن العينين حفاظا على العادات والتقاليد .



آلة الطنبورة الموسيقية التى تعتبر من الآلات الرئيسية المستخدمة فى كثير من الرقصات الشعبية

الربابة الخليجية بين قوس العازف وأنامله .. يفصح بها عن احاسيسه ومشاعره

رشاقة التعبير وجمال الألوان

ونظرا لشهرة الفنان «ابو العينين» فى تصميم ازياء وديكور الفرق الشعبية فى العالم العربى ، فقد التقى به فى القاهرة منذ ثلاث سنوات سامى يونس مدرب الفرقة القطرية ، واعطاه فكرة مسبقة عن الفرقة .. وتعرف فى هذا اللقاء على بعض التفاصيل عن المناسبات الوطنية والرقصات التى من اشهرها العرضة التى تؤدى فى حلقات على نغمات الطبول والدفوف ، وازياء الرجل القطرى البعيدة عن الغلو والتكلف ، وازياء المرأة التى تهتم فى وقت واحد بالجماليات والتقاليد ، وغير ذلك من الموروثات الشعبية كالخضاب (الحناء) والحلى واقراط الانف المسماة «زميم» والعطور التى تزين بها المرأة شعرها الطويل المنساب كما خلقه الله فى الطبيعة بلا زيف او قيد !

وعقب هذا اللقاء بدأ الفنان ابو العينين يتابع بحثه فى مراجع عديدة للاعداد لأزياء وديكورات الفرقة ، ثم حضر فى الشهر الماضى الى مدينة الدوحة ليرى بنفسه الرقصات بعد استكمال تدريبها ، واعجبه الأداء الحركى ومدى قدرة أعضاء الفرقة على ايصال المناسبة الاجتماعية الى الجمهور اينما كان سواء فى قطر او الخارج . وبدأ يرسم بشكل «كروكى» ازياء الفرقة من خلال رؤيته لكل رقصة على حدة ، وفى النهاية وضع امامه حصيلة الرسومات متخيلا البرنامج كله ، ثم بدأ فى تنفيذ ازياء كل رقصة على حدة حسب المجموعة المشاركة فيها ، لترى الفرقة بهذه الصورة الجذابة اثناء تقديم عروضها الفنية فى احتفالات ٢٢ فبراير امام الجمهور القطرى ..

الالوان والخطوط المتميزة

والفنان عبد الغنى ابو العينين الذى رأينا لمساته الفنية على ازياء الفرقة القومية القطرية للفنون الشعبية ، هو واحد من اوائل جيل المدرسة الفنية



لاعب السيف وعازف الايقاع وتشكيلة مختلفة من الأزياء

فى الصحافة التى وضعت بذور الاخراج الفنى من ناحية التذوق وادخال اللغة التشكيلية لتقوم بدورها فى ابراز الأسلوب الصحفى واعطاء طابع لشكل الجريدة او المجلة .. وكان دوره واضحا – مع الفنان حسن فؤاد – عند ظهور مجلة «صباح الخير» فى الخمسينات ، بحيث بدا هذا الاتجاه الجديد يبرز فى الصحافة العربية بصفة عامة !

وبعد ان ربى ابو العينين جيلا جديدا من الشبان الفنانين فى الحقل الصحفى، اتجه الى المسرح لتصميم الديكورات والملابس . وركز كل جهوده فى تطوير هذا الفن . ليصبح سمة خاصة تتميز بها فرق الفنون الشعبية والاوبريتات الغنائية فى العالم العربى ! !

واذا نظرنا الى اسلوب الفنـــان ابو العينين فى تصميم ملابس الفرق الشعبية ، لوجدنا انه يعتمد على الجزئيات الزخرفية المتوارثة من الأزياء والرسومات الشعبية البدائية والكتب القديمة وغيرها ، فهو يأخــذ هذه الموروثات ويقدمها فى ثوب جديد غير منفر . مع الحفاظ على الجذور والاصالة.

ويمكننا كذلك ان نرى فى اسلوبه الفنى ما يميزه عن غيره من الفنانين . فالوانه لها جاذبية خاصة . وخطوطه تعتمد على الانسيابية التى تجعلك تتعرف على لوحاته – بدون امضاء – لو عرضت امامك وسط لوحات مئات الفنانين !

واثناء لقائى مع الفنان عبد الغنى ابو العينين عرفت انه صمم أزياء الفيلم العراقى «القادسية» الذى جسدت احداثه إحدى المعارك الحاسمة فى التاريخ الاسلامى ، عندما امتد نور الاسلام الى الشرق ليتوغل اقاصى اسيا .. كما ان تصميماته لفرقة الفنــون الشعبية فى سلطنة عمان حازت على الجائزة الأولى فى مهرجان الفنون الشعبية الذى اقيم فى المانيا الاتحادية ، وهذا بخلاف تصميماته الاخرى للفرق العربية التى من بينها فرقة المسرح الوطنى الجزائرى . وتصميماته للفرقة القومية للفنون الشعبية بالاضافة لعمله كمدير لمركز الفنون الشعبية فى مصر !

ولكل ذلك وغيره ، كان لابد ان يتطرق حوارى مع الفنان الى اهمية الملابس فى





الاعتماد على الجزئيات الزخرفية فى تصميم الأزياء



من الأزياء التى قدمت بها الفرقة القطرية عروضها

رشاقة التعبير وجمال الألوان

الحياة العربية ، خاصة وان العرب اعتبروا الملبس من مستكملات التجميل واعطوه اهمية فى استكمال مقومات المظهر والجمال ..

والواقع ان المسلمين فى صدر الاسلام كانوا يميلون الى الخشونة فى الملبس ، حتى جاء العصر الاموى وكثرت الاموال واختلط العرب بغيرهم من الجنسيات فاقبلوا على اقتناء الملابس وشجعوا النساج على إجادتها وابتدعوا الالوان المختلفة والوشى الجيد ، لتصل الملابس فى العصر العباسى الى حد التانق واستخدام العديد من المنسوجات الحريرية والصوفية والقطنية ، وكان من اغلى المنسوجات فى ذلك العصر «الخز» وهو نسيج ناعم يصنع من الحرير وفراء الارانب ، وينافسه «الأبريسم» وهو حرير خالص و «الديباج» وهو نسيج حريرى موشى بالقصب و «البز» وهو نسيج قطنى ثمين وغير ذلك ... واستمر الاهتمام بالاناقة فى العصور التى تلت العصر العباسى .. حتى اصبحت تكاكيل البراوين والصرافين فى تلك الفترة مملوءة بالذهب والجواهر والنقد والامتعة المختلفة والملابس المذهبة والمقصبة التى لا تترك متسعا فى اى مكان لمن يريد ان يجلس !

واسال الفنان ابو العينين : هل صحيح ان نساء العرب كن يكتبن الاشعار على ملابسهن ؟

وقال لى : نعم .. كانوا يكتبون الاشعار الرقيقة والجمل الظريفة بتطريزها على الاقمشة والاكمام والعصائب والذوائب والزنانير والمناديل والجوارب .. وكان من الشائع عند النساء فى العصور العربية الاولى وضع عصابة مزركشة بالالوان ومكتوب عليها بالخيوط الذهبية او الفضية شعر .. وفى كتاب «العقد الفريد» لبشير بن عبد ربه حكايات كثيرة عن ذلك ، فقد اشار الى انه وجد على عصابة احدى جوارى هارون الرشيد بيتان من الشعر :

تمت ، وتم الحسن فى وجهها
فكل شىء ، ما سواها محال
للناس فى شهر هلال ، ولى
فى وجهها كل صبح هلال

ازياء المسرح والسينما

قلت لعبد الغنى ابو العينين : هل الازياء فى الواقع شىء وعلى المسرح شىء اخر ؟

قال : الازياء فى الواقع تختلف عنها فى المسرح .. فالمسرح يعتمد فى كل عروضه على اضاءة صناعية .. وهذه الاضاءة لها تاثير على اختيار الالوان واختيار الخامة .. وإذا اضفنا المسافة بين المتفرج والمؤدى ، اتضح لنا اهمية ابراز السمات التقليدية بصورة واضحة معبرة حتى تصل الى المتفرج وتؤثر فيه وتقنعه بما يراه امامه من احداث او مواقف تعبيرية !

● هل هذا ينطبق على الازياء فى السينما ؟

ـ بالطبع لا .. فالكاميرا تقترب جدا من المؤدى .. وهذا يحتاج الى ملابس واقعية مطابقة تماما للحقيقة ، فنحن هنا لسنا فى حاجة الى استبدال او تغيير الخامات حتى لا نشوه الواقع !

● إذن فعادة ما يحدث بعض التغيير فى ملابس الرقصات الشعبية المتوارثة ؟

ـ هذا لزوم العمل الفنى ، خاصة وانه لابد ان تتوفر مهارة من نوع خاص فى



إختيار الخامة الصالحة لحركة الراقص



نماذج من الموروثات الشعبية فى الملابس

مصمم ازياء الرقصات الشعبية .. ومطلوب من هذا المصمم الا يكرر شكل الزى او لونه اكثر من مرة فى فقرات البرنامج ، حتى يشعر المتفرج بالتجديد الدائم .. ثم اننا لو اخذنا رقصة معروفة مثل الدبكة وهى تؤدى فى بلاد عربية كثيرة ، لوجدنا ان المؤدى فى الطبيعة ليس لديه مهارة الفنان الراقص ، لان الراقص المحترف يؤدى بحركات اقوى واكثر براعة بحيث يحتاج الى ملابس اكثر متانة واكثر ملاءمة لاظهار حركته على المسرح ، وهذه حرفة تحتاج ايضا لمهارة من نوع خاص !

الربابة فى اوربا

وانتقل حوارى مع الفنان عبد الغنى ابو العينين الى عدة موضوعات مختلفة تدخل فى صميم تخصصه .. وخرجت من هذا الحوار بعدة حقائق :

● الازياء فى المناطق الحدودية للبلاد العربية المجاورة لبعضها فيها الكثير من التشابه ، واننا عند دراسة الأزياء العربية يجب الا نهمل علاقتها بازياء البلاد التى حولها وعلاقتها بما هو مستورد فى التاريخ وخاصة ما اتى الينا من ملابس عن طريق الهند ..

● السينما العربية لا تعطى وقتا لدراسة الملابس والديكور ولهذا فان معظم افلامنا التاريخية تشوه العصر الذى تقدمه فيما عدا فيلمين او ثلاثة من بينهم المومياء وصلاح الدين ، فمعظم افلامنا التاريخية تعكس صورة كاريكاتيرية فى الديكور والملابس !

● إذا كان هذا هو حال السينما ، فما بالك بالتليفزيون ؟! إن طابع العجلة فيه تجعلك تشعر بغربة التمثيليات عن الواقع التاريخى والجغرافى ايضا ، فنحن مثلا نرى فى التمثيليات التى تقدم عصور الاسلام الاولى المنسوجات المشجرة او ذات الصبغات الكيميائية ، وكلنا نعرف انهم فى هذه العصور لم يعرفوا هذه الالوان ، بل ولم يرتدوا الهيلانكا او الجرسية

وماذا غير ذلك ؟

يقول الفنان عبد الغنى ابو العينين : عندما ظهرت الفرقة الشعبية القومية للفنون الشعبية فى مصر ، اخذت اركز فى مركز الفنون الشعبية على جمع وتصنيف المادة الشعبية ووضعها فى خدمة الرقصات

● رغم اننا وضعنا خطة وبرنامج لبداية الدراسة فى المعهد العالى للفنون الشعبية وإقامة متحف لفن الشعب من اول رشيد حتى النوبة ، الا ان المشروعين مازالا حتى يومنا هذا فى ادراج المكاتب .. كما ان مجلة الفنون الشعبية المتخصصة التى كان يراس تحريرها الدكتور عبد الحميد يونس اختفت ولم تبذل محاولات جديدة لاعادتها للظهور !

● الفنانون التقليديون بداوا فى السفر الى باريس وتركوا عذوبة الغناء للاهل بعد ان بهرتهم حكاية توقيع الاوتوجرافات .. واصبح متقال واخرون يغنون على الربابة والارغول فى كباريهات اوربا ، وهكذا حال الدنيا !

● رغم ان الفرقة القومية للفنون الشعبية وفرقة رضا مستمرتان بجهود فردية ، إلا انهما يعيدان تقديم العروض القديمة ، وإن كان كفاحهما يستحق كل الاعجاب والتقدير !

والحديث مع الفنان عبد الغنى ابو العينين لا يتوقف عند حد ، فهو موسوعة فنية فى مجال تخصصه ، وهو فنان موهوب ، جعلته التجربة يقدم لنا لوحات فنية تحلق بنا الى افاق الفن الخالص ، حيث نرى رشاقة الخطوط وجمال الالوان وبساطة التعبير التى تكشف عن الحقيقة بدون لف او دوران !

كمال سعد

الصيد بالصقور .. أفضل رياضة عند العرب

الصحراء ميدانها .. والفراسة صفتها

والصائد الماهر يشبه صقره

د. محمد الغباشي ربيع

«يسالونك ماذا احل لهم قل احل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله فكلوا مما امسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه واتقوا الله إن الله سريع الحساب» .
صدق الله العظيم

عرف العرب الصيد بالصقور منذ مئات السنين قبل الاسلام ، واعتبروه رياضتهم المفضلة ، يمارسها افراد الشعب ـ تماما ـ كما يمارسها الأمراء والملوك والحكام ، وفي وقت من الاوقات أصبحت هذه الرياضة معروفة لدى جميع الاعمار ، فقد شغف بها الشيوخ الطاعنون في السن ، وولع بعشقها الشباب في مقتبل العمر !

فالعرب هم اول من قاموا بتدريب الصقور على الصيد ، وكان اول من مارس تلك الهواية من بينهم «الحارث بن معاوية بن ثور بن كندة» .. كما كان حمزة



عم الرسول الكريم من بين الذين اشتهروا بالصيد بالصقور في فجر الإسلام ، وقد أشهر اسلامه عند رجوعه من رحلة صيد وهو يحمل صقره على يده !

فوائد رحلات القنص

وقد توارث العرب جيلا بعد جيل رياضة أجدادهم .. في العصر الأموى والعصر العباسى ذاعت رياضة الصيد بالصقور ، ولم يمارسها الخلفاء وحدهم ، وانما شاركهم في الولع بها مختلف الطبقات ، وتفننوا في طرق تدريب الصقور وتباروا في اختراع ادوات الصيد التي يحتاجونها في رحلات القنص ..

ومن فوائد رحلات القنص انها تجلو الطباع على حقيقتها ، فتظهر السجايا النبيلة ، والأخلاق الحميدة ، والصفات الطيبة التى يتحلى بها رفاق الرحلة .. كما أن هذه الرحلات تظهر أيضا أى عيب في الأخلاق والعادات ، بحيث يستطيع اى انسان أن يكتشف من خلالها الخبيث من الطيب ، ويختار الصديق الوفى الذى يمكن الاعتماد عليه فى الأزمات والمحن !

وهذا بالاضافة الى ما يستفيده القانص من رياضة نفسية وبدنية ، تجعله يعود من رحلته منشرح الصدر ، مقبلا على زحمة الحياة بنفس هادئة وقلب متفتح وإحساس جميل خلاب !

وكثيرا ما تدور اثناء رحلات القنص المناقشات المفيدة فى أمور الدنيا وأمور الآخرة ، حيث يتم التباحث حول حلول المشاكل الخاصة والعامة فى امور الحياة الى جانب التأمل فى خلق الله سبحانه وتعالى ونعمه الباطنة والظاهرة ، وما احل الله للناس من طيبات ، وما وضع سبحانه من حدود وقوانين ، بما فى ذلك من آداب الصيد وتحليله .

كما وان الصيد يغرس فى النفس معنى الفروسية والشجاعة ، ويعلمنا الصبر والجلد وفنون المراوغة ومتى يكون الاقبال ومتى يكون الادبار ، وهذه الدروس تفيد فى الحرب مع الاعداد للذود عن الوطن .

ولقد نقل الغربيون والفارسيون هذه الرياضة عن العرب ومارسوها ، إلا انهم لم يتفننوا فيها كما تفنن العرب واهل البادية ، ويرجع ذلك الى ان طبيعة البادية من اخصب ما يكون لهذه الرياضة الشيقة ، بالاضافة لما للعرب من غريزة طبيعية في الشجاعة والفروسية تعودوا عليها منذ القدم وتوارثوها جيلا بعد جيل .

ولقد تفنن العرب فى الخليج والجزيرة العربية فى هذه الرياضة وابدعوا فيها ايما ابداع وتفوقوا على كل بلاد الشرق والغرب ، حتى انه اصبح للصقر شان كبير ، حيث تتوج به بعض أعلام الدول العربية «صقر قريش» ..

وتعتمد هذه الرياضة اساسا على



مجموعة من اللقطات النادرة فى رحلات القنص التى يعود منها القانص مع صقوره مستفيدا من الرياضة النفسية والبدنية

الصيد بالصقور..
أفضل رياضة عند العرب



تصوير: أمين بدوى

الصقر المدرب التدريب الجيد ، وعلى الرجل المحنك ذى الخبرة والشجاعة والاقدام فى ساحة القنص !

اصطياد الصقور

ولكن كيف يتم اصطياد الصقور ؟ ..

هناك عدة طرق لصيد الصقور من اشهرها طريقة الشباك . وفيها تربط حمامة من قدمها بخيط طويل من النايلون ويغطى جسمها بشبكة من نفس هذه الخيوط تصنع بطريقة خاصة . ويمسك بطرف الخيط من الجهة الاخرى صائد الصقر الذى يختبىء فى كهف صغير أعد لذلك خصيصا وذلك فى المنطقة التى تؤكد الدلائل وجود الصقور بها ، فيأتى الصقر منقضا على هذه الحمامة ليأكلها فتعلق مخالبه بالشبكة المنسوجة حول جسمها ، وعندئذ يستطيع الصياد ان يقبض على الصقر بكل سهولة ولكن بمهارة وفن حتى لا يؤذيه ، وقد تستغرق عملية صيد الصقر الواحد يوما كاملا أو عدة أيام ، ويستدل على اماكن وجود الصقور فى المنطقة التى تعيش فيها بآثار أقدامه على الرمال او فضلاته او بعض ما يقذفه من فمه من فضلات الطعام «الربابة» على الصخور !

وبعد أن يمسك الصياد بالصقر يقوم بوضع «القفا» على جسمه ، «والقفا» مصنوع من القماش خصيصا لاحكام القبض على الصقر والسيطرة عليه ، ثم يقوم بعد ذلك باغلاق عينه من أعلى الجفون بالخيط لكى لا يرى شيئا يزعجه ثم يقوم بربطه بخيوط خاصة من أرجله فوق المخلب . ثم تبدأ بعد ذلك مرحلة التدريب وهى مرحلة شاقة لا يستطيع القيام بها إلا المدرب المحنك ذو الخبرة الطويلة .

ويستطيع المدرب الماهر تدريب صقر او اثنين فى الموسم الواحد ، وتستغرق فترة التدريب من شهر الى شهرين ، يستطيع الصقر بعدها أن يتعرف على صاحبه ومجالسيه وسماع ندائهم وتلبية الأوامر ، وبعد ذلك يستطيع أن يذهب به الى ساحة القنص واثقا من



فى بداية التدريب على مطاردة الفريسة

صقره ، واثقا بنفسه ، ليعود غانما من رحلته ظافرا بالصيد الثمين !

صفات الصقور وانواعها

والصقور تصطاد الحبارى والأرانب البرية والغزلان والكروان ، ويختلف الصيد من ناحية النوع والكم باختلاف مهارة الصقر المدرب ومساعدة مدربه له .

وللصقور أنواع مختلفة ، فمنها الحر والشاهين والباشق والباز ، وافضل هذه الأنواع هو الحر لما لديه من قوة تحمل وطاقة خارقة فى المطاردة والصبر على تحمل مراوغة الطريدة والسرعة فى ملاحقتها .

والصقر الحر يعيش فى الصحراء حيث تتوافر الطيور والأرانب البرية والفئران ، وهو من الصقور التى تتحمل الجوع والعطش لفترات طويلة وهو قصير الذيل عريض المنكبين والرأس ، أصفر المنقار والرجلين ، ومن الوانه الأبيض والأحمر والأصفر المائل الى الاحمرار أو الاخضرار وكذلك اللون الأسود . وهو دائما يسكن الكهوف والمغارات فى سفوح الجبال . ومن فصائل الصقر الحر المعروفة : وكر الحرار والحرموشه . إلا أنها تختلف وتتباين من حيث الحجم والشكل والكفاءة تباينا نسبيا .

أما الصقر شاهين فهو من الأنواع الجيدة ايضا ويستخدم فى الصيد ، وهو حاد الطبع ، متقلب المزاج ، وأسرع من الحر على ملاحقة الفريسة فى المسافات القصيرة ، ولكنه اقل فى طول النفس واصغر حجما من الحر .

وكلمة شاهين كلمة فارسية معناها الميزان وترجع تسمية هذا النوع من الصقور بالشاهين إلى مقدرته الفائقة على التوازن أثناء الطيران والكر والفر . وكذلك لمقدرته على التوازن فى الجوع والشبع .

والشاهين من الطيور التى تعيش على الشواطىء ويتغذى على طيور الماء وهو يتواجد بكثرة فى بلاد فارس ثم البلاد العربية .

ومن الوانه الأسود الخالص والأسود الممتزج بالأبيض فى منطقة الراس والصدر والبطن ، ومنه المائـــل الى الحمرة .

ومن انواع الشـــاهين : وكرى الشواهين . وتبع الشواهين .

وتختلف هذه الأنواع من الشواهين اختلافا بسيطا من حيث الشكل والحجم ولون المخالب والعينين والطباع .

ومن الصقور ما يطلق عليه الباشق ، وتتعدد الوانه كالأخضر والأحمر والأصفر او خليط بين هذا وذاك ، ولكن من عيوبه انه كثيرا ما يهرب من صاحبه اثناء مطاردة الفريسة .

ومن أبرع الصقور فى صيد الأرانب صقر الباز ، وهو محبوب فى أوربا وأمريكا أكثر من الأنواع الأخرى ، وذلك لمهارته فى مطاردة الفريسة فى الغابات وبين الأشجار ، وكثيرا ما يستعان بكلاب الصيد معه لاستدلاله على الفريسة !

والباز من الصقور التى تتوافر فيه الشجاعة والجراة ومن أشهر أنواعه الأشهب والأبيض الناصع البياض .

ويعيش الباز بين الأشجار حيث تتوافر الفريسة والماء اللازم له . ومن عادات الصقور أن (تقرنص) وذلك بأن يلقى الصقر معظم ريش جناحيه ويبدأ فى ظهور ريش جديد . فى هذه الحالة يعكف صاحبه على اعطائه الراحة التامة والامتناع عن الخروج به للصيد ويضعه فى مكان نظيف ويقدم اليه الطعام الجيد من لحوم الطيور والأرانب البرية الى جانب الماء النظيف ولا مانع من إضافة بعض الفيتامينات والأملاح المعدنية اللازمة لذلك وتستغرق هذه




الصقور المتحفزة للصيد فى الرحلة التى تستغرق اياما طويلة

الصيد بالصقور
أفضل رياضة
عند العرب

العملية – فترة إنبات الريش الجديد – من خمسة الى ستة أسابيع تقريبا .

النوادي الخاصة

ومن صفات الصقر الجيد : أن يكون واسع العينين ، قوى البصر ، طويل العنق ممتلىء الرقبة والفخذين ، قوى الصدر ، قصير الساقين ، قصير الذنب ، طويل الجناحين ، قوى المخلبين ، غليظ الأصابع ، واسع المنخر ، متوازن الجناحين كطرفى المقص .

ولقد انتقل الاهتمام بالصقور الى الغرب ، وحرصوا على تقليد العرب فى ذلك ، بحيث نجد نواد خاصة لهذه الصقور

ويراعى فى غذاء الصقور أن يكون الطعام من الطيور المذبوحة الطازجة ، وخاصة فروخ الحمام الخالية من الاصابة بالتريكومونياسيس ، وكذا الأرانب البرية . كما يراعى إعطاء الصقور كبد هذه الطيور وبعض الدهون وذلك لاحتوائها على فيتامين «أ» اللازم

للصقور والذى يقيها بعض الأمراض ويرفع من مقاومتها . ويستحسن عدم إعطاء الصقور اللحوم المحفوظة لفترات طويلة او المذبوحة بالسلخانات .

وبالاضافة الى ذلك تراعى الفيتامينات المركبة وفيتامين «أ» وذلك باضافتها الى الغذاء من وقت لآخر .

وأكثر الفترات التى يحتاج فيها الصقر لعناية فى الطعام هى فترة تغيير الريش (القرنصة) فكلما لقى الصقر من رعاية وعناية كلما تغير الريش بسرعة وبدون تعرض لأي امراض !

امراض الصقور

ومن أشهر امراض الصقور :

● انتفاخ أسفل القدم ويطلق عليه باللغة الدارجة «المسمار» ، وينتج ذلك عن عدم حركة الصقر لفترات طويلة على الوكر وهو الحامل المعد خصيصا للوقوف عليه ويجب ان يكون لينا ناعما جافا واحيانا يكون السبب فى هذه الانتفاخات ايضا خلل فى الكليتين وترسيب أملاح اليوريت فى بعض هذه الأماكن . وللجروح البسيطة فى منطقة القدم دور أساسي فى ذلك حيث يتسرب من خلالها مسببات هذا الالتهاب من البكتريا واحيانا تحدث انتفاخات جانبية فى أماكن متفرقة من ارجله حول المخالب وتشبه فى ذلك الخراريج التى تصل الى الأوتار والمفاصل وفيها تكمن الخطورة ، وتعالج هذه الحالة حديثا وبنجاح فائق بالجراحة الحديثة ثم يوضع الصقر بعدها على وكر نظيف مغطى بقطعة من القماش او المخمل الناعم او نسيج خاص من الحشائش الصناعية التى تشبه الى حد كبير الحشائش الطبيعية فى ليونتها ومرونتها ويمنع من ملامسة المياه طوال فترة العلاج .

ولتفادى هذا المرض الخطير لابد من اعطاء الحركة اللازمة والتمرين اليومى للصقر مع مراعاة اعطائه الوجبات المحتوية على الفيتامينات خاصة فيتامين «أ» .

● إلتهاب الرئتين (الرداد) ويحدث التهاب الرئتين غالبا نتيجة اصابة الصقور بنزلات البرد الحادة او التعرض لبعض انواع البكتريا المسببة لذلك واحيانا تكون الاصابة نتيجة انتقال الطفيليات الداخلية الى الرئتين لتسبب

● من صفات الصقر الجيد أن يكون واسع العينين قوي البصر

● اتخذ العرب من الصقور رمزا للقوة والبطولة وعزة النفس العربية



مكافأة القناص عقب القيام بمهمته فى الرحلة

تهتكا بانسجتها مما يؤدى الى الوفاة .

● الاسبرو جللوسس : وهو يسبب إلتهابا مميتا بالرئتين وتحدث الاصابة للطيور التى توضع فى اماكن رطبة عديمة التهوية مظلمة حيث ينمو فيها مسببات هذا المرض .

● الترايكوموبناسس : وتنتقل الاصابة الى الصقور عن طريق تناول لحوم افراخ الحمام المصابة بهذا المرض وللتغلب على ذلك يراعى التاكد من خلو فروخ الحمام من هذا المرض وتعطى فروخ الحمام بعد ذبحها بمدة لا تقل عن ساعة او وضعها لمدة ساعة على الأقل فى الثلاجة لكى تقضى على هذا الميكروب بتغير درجات الحرارة عليه ثم تعاد تدفئتها واعطاؤها له .

● نوبات الصرع : وفيها تحدث تقلصات بكل جسم الصقر ويبدو متصلبا تماما والسبب غير معروف حتى الان إلا ان هناك بعض الحالات التى عولجت بالمضادات الحيوية والكالسيوم مع وضع الصقر فى مكان دافىء هادىء بعيدا عن الضوء .

والحالات التى تشفى من هذا المرض تظل مجهدة وغير قادرة على الصيد لفترات طويلة وبعض السموم (الكيميائية) التى يتناولها الصقر بطريقة الخطأ تحدث مثل هذه الأعراض

● الجدرى : وهو من الأمراض الخطيرة التى تصيب الصقور وتقلل من مقاومتها وترفع درجة حرارته وتصل به الى درجة امتناعه عن تناول الطعام والشراب .

والجدرى مرض معد للصقور الاخرى . وإن لم يعتنى بالصقر فى تلك الفترة ويقدم له العلاج المناسب يؤدى به الى النفوق .

● الطفيليات الخارجية : ومنها انواع خاصة من القمل الذى يعيش على جسم الصقر من الخارج ويتغذى على دمه وينقل اليه الأمراض وينهك مقاومته

● الطفيليات الداخلية : وهى ديدان داخلية تعيش بامعاء الصقور وتسبب له ضعف شديد لتغذيتها على طعامه المهضوم

منع المضادات الحيوية

والصقور من الطيور الحساسة والثمينة فى نفس الوقت ، وعلى صاحب الصقر ان يعهد بها الى الطبيب المتمرن الخبير بامورها عند ملاحظة اى تغير عليها .

ويستحسن تفادى حقن الصقور بالمضادات الحيوية او المركبات الدوائية وذلك لشدة حساسية الصقور لذلك ، ويستعاض عن الحقن باعطاء العلاج عن طريق الفم او الغذاء او مياه الشرب وذلك بالكميات المناسبة والمحسوبة بدقة !

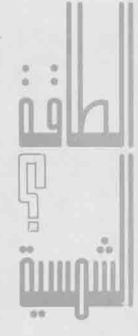
● ● ●

تلك نبذة عن الصقور ورياضة الصيد بها . عرفها العرب قبل غيرهم من شعوب الدنيا ومارسوها بكل دقة وفن ، ونظموا فيها الشعر والنثر ، واستفادوا منها فى حروبهم مع الأعداء ، واتخذوا من الصقور رمزا للقوة والبطولة وعزة النفس ، وهى رياضة تذكرنا دائما بتقاليدنا العربية الأصيلة نتعلم منها كرم الأخلاق وحسن الفضيلة . وهى تاريخ حى لأجدادنا العرب ورمز القوة والشجاعة والفروسية والانتصارات فى الحروب ورمز للمحبة والاخاء والشهامة والرجولة مع كل الأصدقاء .

د. محمد الغباشى ربيع

عبدالله السعدي

هل اقترب عصر



اقرب صورة للشمس التى يحاولون تسخير أشعتها فى توفير الطاقة

الى متى يستطيع العالم ان يستولد الطاقة من الفحم والغاز والنفط ... ؟

بعضهم يعتقد ان هذا ممكن لمدة نصف قرن . والمتفائلون يؤكدون ان مصادر الطاقة هذه تكفى العالم مدة مئة سنة اخرى ، خاصة وان العلوم التقنية لم تستنفد حتى الآن جميع الامكانيات ، والدليل على ذلك ان حفر الأرض لم يبلغ حتى اليوم سوى عمق ثلاثة الاف متر ، وهذا بالنسبة لقشرة الكرة الارضية لا يعد سوى «خدش» ، وإذا استطاع الانسان ان يحفر قشرة الارض حتى الأعماق ، فربما استخرج منها طاقات غزيرة تسد حاجات الانسانية لمئات السنين !

وإذا بحثنا وراء التيار الكهربى المستخرج من الطاقة الشمسية فاننا سنتعرف على مصدر من مصادر الطاقة ايضا ، إلا ان مجال هذه الطاقة الجديدة لن يتوفر إلا فى البلدان ذات المناخ الحار ، فضلا عن ان سعر الكيلواط المستخرج من طاقة الشمس يفوق فى الوقت الحاضر اسعار سائر انواع الطاقة بنسبة عشرة اضعاف !

وبخلاف ذلك فقد اصبحت الدول الصناعية تسعى وراء الطاقة الذرية باعتبارها طاقة المستقبل رغم ما تحمله من اضرار بالغة ممثلة فى الاشعاع الذرى ، فلابد من تخزين النفايات الذرية الحاصلة عن استعمال المفاعلات الذرية

فى المصانع ، ولهذا لم يجد العلماء امامهم غير طريقة التخزين فى صناديق فولاذية محكمة الاغلاق ، ثم إغراق هذه الصناديق فى اعماق البحر بعيداً عن المدن .. إلا انه رغم جميع الأخطار لا تستطيع الدول المصنعة ان تستغنى عن الطاقة الذرية !

واسطع دليل على ذلك هو ان الطاقة الذرية اصبحت فى الولايات المتحدة تنتج من الكهرباء ما يعادل مجموع ما تنتجه فرنسا بالاساليب التقليدية !

انتاج الضروريات

وقد كثر الحديث عن مضادر النفط الخام فى السنوات الأخيرة على اساس ان مخزون هذه الثروة يتضاءل باستمرار وانه من الضرورى الملح الابقاء على كمية كافية منه ، ليس لانتاج المحروقات ، بل لانتاج الأدوية والمضادات والاسمدة والسوائل الكيماوية المستخدمة فى القضاء على الحشرات !

وهذا لا يعنى ان نحرم البشرية من انتاج البلاستيك والألمونيوم ومن صنع انبوبة «انغستمنتس» التى تتحمل قدرا كبيرا من الحرارة يصل الى ٤٥٠ درجة مئوية ، ولكن المطلوب هو ضمان قدر كاف لانتاج الضروريات !

تسخير الطاقة الشمسية

وفى الاونة الاخيرة اتجه العلماء الى تسخير الأشعة الشمسية عوضا عن البترول .

ويؤكد هؤلاء العلماء ان الطاقة الشمسية متوفرة بشكل كاف ، وهى تمثل اكثر من احتياجات العالم ، بالاضافة الى نظافتها ، اى عدم تلويث الهواء نتيجة عملية الاحتراق ، كما هى الحال فى الزيت والفحم الحجرى وغيرهما من المواد الملتهبة !

وقد حرصت بعض الشركات البريطانية المختصة على جمع المعلومات عن اشعة الشمس ، واساليب الاستفادة منها ، وقد تم بالفعل تدشين محطة للأشعة الشمسية فى كلية كير كالدى الفنية على الشاطىء الغربى من اسكتلندا ، وتعمل المحطة عن طريق مجموعة من الالواح والانابيب الشمسية مساحتها ٧٢ مترا مربعا ، توفر ٧٥ كيلواط من الطاقة ، كافية لتسخين كمية كبيرة من المياه فى الكلية ، وتتالف المجموعة الشمسية من ٤٠ لوحا ، تختزن وتوزع الطاقة الشمسية ، ويبلغ طول اللوح ١,٨ مترا بعرض متر واحد .

وهذه الألواح مجمعة من عشرة إطارات ــ كل اربعة منها فى إطار ، واللوح عبارة عن انبوب متعرج من الفولاذ الذى لا يصدا فوق صفحة من السوبرال ــ .

وتنتج شركة «دولتون هيتنغ سيستمز» التى تنتمى الى شركة دولتون لانتاج الزجاج ، نوعين من الالواح الشمسية مؤلفة من الانابيب الفولاذية والالومنيوم والنحاس ، وهى متوفرة بالمادة التى يطلبها الشارى المشترى وحسب رغبته .

وهناك جهاز دائرى لجمع اشعة الشمس ، واثبتت التجارب انه خلال يوم مشمس عادى فى بريطانيا يمكن رفع درجة حرارة ١٣٦ ليتر من الماء من ١٥ درجة مئوية الى ٥٣ درجة ، خلال ساعتين او ثلاث ساعات ، وان الجهاز هذا متوفر بانابيب يبلغ طولها حتى ٧٥ مترا مع جميع ما تحتاجه من الزوائد ، وهناك شركة توصلت الى اختراع جهاز اطلقت عليه اسم «صن دوال» يجمع حرارة الشمس عن طريق الواح خاصة من مادة النحاس ، ومطلية بالدهان الاسود .

ومن اجل تامين افضل وسيلة للحصول على الحرارة وتحويلها ، فان الأنبوب النحاسى ملتصق باللوحة النحاسية لولبيا ، وبطريقة مائلة قليلا كى يتم ضغط الأنبوب بشدة على اللوحة بقصد عدم إهدار أى مقدار من الطاقة الشمسية ، وان جميع كمية الماء تكون عرضة لاشعة الشمس ، وقد صنعت اللوحة النحاسية باسلوب يجعلها تقاوم بعناد كبير العواصف والرياح العنيفة ، وتصنع الالواح من مواد غير قابلة للصدأ ومن البلاستيك المقوى بالألياف الزجاجية داخلها اسفنج صناعى ، وذلك من اجل تحقيق غرضين ، الاول عدم تسرب الحرارة بسبب طبيعة الاسفنج العازلة ومن اجل تقوية جوانب الخزانات .

مضخات الطاقة

وتدور الابحاث الآن حول امكانية تطوير مضخات بسيطة التركيب وزهيدة الثمن ، تستمد قوتها من الطاقة الشمسية بدلا من الوقود المكلف ، وتكون فى متناول صغار الفلاحين ، وتقوم مجموعة بريطانية بتطوير هذه المضخة لكى تعتمد على الطاقة الشمسية لاسعاد الانسان من خلال أسلوبين هما :

جمع الماء فى خزان صغير يضخ الى سخانات شمسية ، تحول السوائل مثل الفريون الى غاز يدير بدوره المضخة الزراعية ، ويدور الماء والغاز دورة تامة ، اى ان الماء يدخل السخانات ويتحول الى غاز يدير المضخة ويتحول الى سائل ، ويعود الى السخانات وهكذا ...

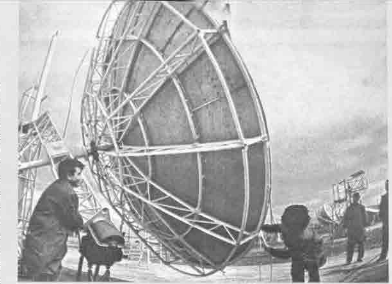
ويعتمد الأسلوب الآخر على التقاط اشعة الشمس بواسطة الواح وتحويلها الى طاقة كهربائية تدير المضخة بالطريقة التقليدية المعروفة ...

ولكل من الأسلوبين حسناته وسيئاته ومن واجب الفريق الهندسى البحث فى اى من الأسلوبين اجدى وانفع وارخص ثمنا ، خاصة وان التفكير يتجه الى صنع ٥٠,٠٠٠ مضخة فى العام الواحد ...

ومما لا شك فيه مطلقا ان التمكن من إخضاع الطاقة الشمسية وتسخيرها فى اعمال الرى الزراعية ، سيكون مصدر ترحيب من قبل المزارعين الصغار فى العالم الثالث ، الذين يعانون نقصا فى المجالين الزراعى والمائى ...

هكذا يتخيلون الأجهزة التى ستنتج الطاقة من الشمس فى المستقبل





أحدث الأجهزة المستخدمة فى تسخين المياه عن طريق الطاقة الشمسية

هل اقترب عصر الطاقة الشمسية؟

الأسماك والتدفئة

وفى محيط الأسماك ثبت أن التدفئة الشمسية زادت معدل نمو صغار سمك الشبوط ، ففى بداية عام ١٩٨٠ ، استعملت خمس برك ، كل منها بطول ٣٤ متراً ، وعرض ٣ أمتار ، وهى على شكل ٧ مع عمق أقصاه متر واحد . وتركت ثلاث منها مكشوفة ، وغطيت الاثنتان الأخريان بسقوف من البلاستيك «الى س . ف» ، وقد دفئت إحداهما ، وبطنت بركتان مكشوفتان ، والبركتان المسقوفتان ، بالواح البوتل السوداء ، كما أن البركتين المسقوفتين ، وبركة مكشوفة واحدة ، زودتا بالأوكسجين .. وعندما تصل درجة حرارة المياه المارة عبر الواح جمع أشعة الشمس الى أكثر من درجتين مئويتين أعلى من درجة الحرارة فى البركة المغطاة ، والمراد تدفئتها ، تقوم مضخة بتدوير المياه حول أنبوب نحاسى لتحويل الحرارة يمتد على طول البركة .. ووضعت فى كل من البرك الخمس ٢٠٠٠ سمكة شبوط صغيرة ، وغذيت الأسماك بغذاء فيه ٥٠ ٪ بروتين وقد قدرت الكمية بناء على رقم تقديرى لبقاء الأسماك ، ولكن تبين فيما بعد أنه منخفض كثيراً فى البرك المغطاة وعال جداً فى البرك الخارجية المكشوفة ...

وقد صمم الآن اول جهاز تلفزيون فى العالم ، يعمل بالطاقة الشمسية اطلق عليه اسم «سان سيت» أى «غروب الشمس» ، إذ صمم للعمل اثناء الليل فى المناطق الريفية النائية فى البلدان النامية ، حيث لا تتوفر خدمات الكهرباء العامة ، وفى أثناء النهار يوضع هذا الجهاز خارج البيت لتعبئة بطارياته بالكهرباء التى تولدها الخلايا الشمسية القائمة على سطحه ، ويترك فى الشمس لنحو ٨ ساعات لتجميع مقدار من الطاقة يكفى لمشاهدة التلفزيون فى المساء لمدة لا تقل عن ٤ ساعات .

الأقمار الصناعية

وفى دنيا النباتات يسعى العلماء الآن لتطوير طريقة تقليد النباتات فى عمليتها الكيميائية ، التى تتم بفعل الطاقة المستمدة من اشعة الشمس ، وذلك من اجل انتاج الوقود فقط وكفاءة عالية ، لذا يستخدمون فى ذلك اصبغة مختلفة على غرار طريقة النباتات القائمة على صبغة الكلور وقبل الخضراء مع مواد وحفازات كيميائية اخرى .

ويهدف العلماء الى استحداث وسيلة تعمل بالطاقة الشمسية لشطر الماء الى عنصرين فى تيارين منفصلين واحد من الغاز الهيدروجين ، والآخر من الأوكسجين ...

وحاليا تخطط هيئة الطيران والفضاء الوطنية الأميركية لاطلاق محطات قوى شمسية فى الفضاء ، فى وقت ليس بالبعيد ، حيث ستقوم الأقمار الصناعية بتجميع اشعة الشمس وترسل الطاقة المجمعة الى الأرض على متن اشعة متناهية فى القصر .. وسيكون لكل قمر صناعى «جناحان» هائلان مغموران بالملايين من الخلايا الشمسية ، وتعمل هذه الخلايا على تحويل اشعة الشمس الى كهرباء .. إن محطة مدارية واحدة من هذا الحجم كفيلة بتوليد ١٠,٠٠٠ ميغاواط من الطاقة الكهربائية ، وهى كافية لتلبية احتياجات مدينة ضخمة مثل نيويورك فى عام ٢٠٠٠ ..

القرية الشمسية

وخلال العام الماضى تم فى المملكة العربية السعودية اختيار قريتى الجبلية والعيينة لتكونا مكانا لمشروع القرية الشمسية ، وهو تطوير استخدام الطاقة الشمسية عن طريق التطبيق العملى للوصول الى انسب اسلوب لتطبيق تكنولوجيا توليد الكهرباء من الطاقة الشمسية ، وقد روعى فى اختيار القريتين ان تكونا قريبتين من الرياض ، لتسهيل ادارة المشروع من ناحية ، ولتيسير زيارات المسئولين والمتخصصين حتى لا يتحملوا مشقة السفر لمسافات بعيدة ، وتضم القريتان حوالى ثلاث آلاف نسمة ، وتبعد احداهما عن الربوة التى اختيرت موقعاً لبناء المحطة عشرة كيلو مترات ، وستضاء القريتان بطاقة الكهرباء المستمدة من الشمس ، وفكرة استغلال مساحات الشمس فى القريتين سيتم من خلال وضع مرايا عاكسة ذات مساحات كبيرة ، تعكس أشعتها بشكل مركز على خلية فلطائية ضوئية ، والخلية مصنوعة من مواد تتأثر بحرارة الشمس ، لتدير توربينة صغيرة تولد الكهرباء .

والفكرة من استخدام المرايا هى استغلال مسطحها المتسع فى استقبال اكبر كمية ممكنة من أشعة الشمس لتركيزها على بؤرة صغيرة هى (الخلايا) الشمسية التى تحول الشمس الى تيار كهربى قوى يقدر بميجاوات .

عبد الله السعدي

محمد علي الطاهر

عاشق الحرية

نبيل خالد الأغا

المجاهد محمد على الطاهر مع جلالة الملك فيصل بن عبد العزيز

عندما بلغته اخبار الوفاة تاثر الرئيس التونسى الحبيب بورقيبة تاثرا شديدا لغياب صديق نضاله القديم المجاهد الفلسطينى الكبير محمد على الطاهر صاحب جريدة «الشورى» ، وبعث الى اسرته الكريمة فى بيروت ببرقية تعزية مؤثرة وصف الفقيد فيها بانه (صديق الكفاح المخلص الوفى المجاهد العربى الصادق الذى قضى حياته مكافحـا ومناصراً لسائر القضايا العربية بقلمه ولسانه وماله) .

وقال معترفا بجميله : (ولن انسى تلك الفترة التى توطدت فيها بينى وبينه الاخوة فى الجهاد ، وقد كان اول من عرفت من المجاهدين العرب الصادقين ، فكان لي خير الأنيس فى دار الغربة ، ونعم المعين فى التعريف بالقضية التونسية لدى المحافل الدولية ، وبقى على حسن عهده ، وجميل وفائه ، وخالص صداقته التى لم تزد على مر الأيام إلا رسوخا وتوطدا) .

مدرسة ومنهاج

لم يكن الطاهر زعيما من الزعماء ، ولا رئيساً من الرؤساء ، ولا وزيرا من الوزراء ، بل كان مدرسة ومنهاجاً فى وقت واحد ، اما المدرسة فهى العروبة والحرية والاستقلال ، واما المنهاج فهو الكفاح والنضال بالرصاصة والكلمة والمحراث والسنبلة ، والمساهمون هم الوطنيون المخلصون لقضايا اوطانهـم ، اما المتخرجون فهم الأبطال والزعمـاء والمجاهدون . ولقد التحق بمدرسته الكثيرون من عشاق الحرية والاستقلال ، وحقق ـ بوطنيته الصادقة ـ وحدة العرب قبيل انشاء الجامعة العربية باكثر من عشرين عاما ! لهذا لم يكن مستغربا ان يصفه مكرم عبيد بانه «سفير الأقطار العربية فى مصر» ، ويصفه مصطفى النحاس بانه «سفير مصر فى الأقطار العربية» !



مع الرئيس الحبيب بورقيبة

وهنا تلزمنا وقفة استعادة لحياة «السفير» محمد علي الطاهـــر الذى استنشق عبير الحياة فى عام ١٨٩٤ م فى مدينة نابلس الفلسطينية المناضلة ، وتلقى تعليمه الابتدائى والاعدادى فى مدارسها الاميرية ، ثم عمل فى مكتب البريد والتلغراف لفترة وجيزة ، لكنها افادته كثيرا حيث استطاع من خلالها ان يطلع على بعض الواقع الاليم الذى يهدد وطنه من جراء المؤامرات الاستعمارية التى تستهدف خلع الوجود العربى فى فلسطين ، وغرس الوطن القومى الصهيونى فيها .

وكما كان يفعل الكثيرون من احرار العرب فى تلك الأيام هاجر الطاهر اثناء الحرب العالمية الأولى الى مصر شان بعض ادباء الشام الذين سكنوا دار العروبة الكبرى واتخذوها مركــزا

لنشاطاتهم المختلفة من مثل : جورجي زيدان ، واسعاف النشاشيبي ، ورشيد رضا ، ويعقوب صروف ، وبشارة تقلا ، وانطون الجميل ، وفارس نمر ، وايليا ابي ماضي ، ومي زيادة وغيرهم .

وقد عمل انذاك في جريدة «الكوكب» التي كانت الحكومة الحجازية الهاشمية تصدرها في مصر ، ويرأس تحريرها الشيخ محمد القلقيلي .

وفي عام ١٩٢٠ نجح الطاهر في تشكيل «اللجنة الفلسطينية العربية» بصورة قانونية لتسهيل الأمور المتعلقة بالشئون الفلسطينية .

وحتى يتمكن من مناجزة خصمه بصورة استقلالية نال امتيازا لاصدار جريدة «الشورى» الاسبوعية ، وقد صدر العدد الأول منها في القاهرة بتاريخ ٢٢ من اكتوبر عام ١٩٢٤ م ، وكان شعارها الذي اختاره انها «جريدة تدافع عن سوريا ولبنان وفلسطين وشرقي الأردن» ، ثم اتسعت دائرة هذا الشعار فيما بعد ، فصارت الجريدة تبحث في شئون «البلاد العربية الاسيوية والافريقية والاقطار المستعبدة» .

لقد كانت الشورى جريدة رأي وتعليق اولا واخيرا «وكانت الجريدة الوحيدة في العالم ذات الارادة الواضحة ، والغاية الصلبة ، والرسالة القويمة الواضحة ، فلم تكن تقبل اعلانات قط ، ولم تكن ترتهن نفسها لسفارات اجنبية ابدا ، وكان الجميع يهابونها ويحترمونها كما يقول الاستاذ محمد الفرحاني .

وكان قراء الشورى يتلهفون على وصولها اسبوعيا عن طريق البريد واستطاعت ان تجذب اليها اقلام كبار الكتاب والادباء والصحفيين ، وفي مقدمتهم امير البيان شكيب ارسلان الذي اعتلى قلمه الرصين منبر الشورى فترة طويلة ، ويرى استاذنا الكبير عجاج نويهض أن الاقلام والألسنة صارت تقول «امير البيان» للأمير شكيب ارسلان عندما صار يكتب في الشورى ، ثم طار اللقب في الدنيا الى اليوم والغد ؛ ولكن بسبب اتجاهاتها التحررية ، ومهاجمتها للمستعمرين واذنابهم كانت الصحيفة تتعرض للتعطيل والالغاء والتوقيف مرارا ، ولم يكن الطاهر ليستكين او

عاشق الحرية

يباس او يهادن ، بل عمد الى اصدار صحف بديلة في فترات التعطيل مثل : المنهاج ، العلم المصري ، الرقيب ، الناس ، الجديد والشباب» ولكنها جميعا كانت تحمل اسم صاحبها ، وكانت الرقابة الانجليزية في فلسطين تصادرها في اغلب الأحايين ، وفي النهاية اصدرت الحكومة امرا بمنع اية جريدة تصدر في القاهرة باللغة العربية وعليها اسم محمد علي الطاهر !

الشورى .. ندوة ثقافية

ولقد نجح الطاهر في جعل مكتب الشورى ندوة ثقافية حية يرتادها الاحرار الذين كانت تكتظ بهم قاهرة المعز من كافة ارجاء العالمين العربي والإسلامي ، وبسبب دماثة خلقه ، وحسن معشره ، وكريم خصاله استحوذ ابو الحسن على شغاف القلوب ، وطار ذكره خارج الحدود الجغرافية المصرية



ابو الحسن يعانق مصطفى النحاس

كواحد من اشد انصار القضايا العربية والاسلامية ، ولا عجب إذن ان يأتي البعض الى القاهرة وليس معه إلا جواز سفر وحقيبة وعنوان الشورى ، حيث يستقبله الرجل ويقوم بواجب الضيافة نحوه ، ويحيطه بالرعاية ، ويسهل له الاقامة ، ويزوده بكل ما يحتاج اليه .

وهكذا صار له في كل بلد أصدقاء واحباب وخلان ، وعاد اكثرهم فيما بعد ليتولوا مناصب الزعامة والريادة فيها ، وحسبنا ان نذكر بعضا من هؤلاء الكرام الذين كانت تربطهم بأبي الحسن اوثق الصلات في مصر : الحبيب بورقيبة ، شكري القوتلي ، عبد الكريم الخطابي ، ادريس السنوسي ، محمد أمين الحسيني ، رياض الصلح ، مصطفى النحاس ، علال الفاسي ، شيخ العروبة احمد زكي باشا ، صبري العسلي ، احمد نعمان ، سيف الاسلام محمد البدر ، وغيرهم .

ويذكر التاريخ لأبي الحسن انه كان خلف كفاح الشهيد البطل عمر المختار في حشد الانصار والأموال ، كما كان له دور بارز في التوسط لدى الحكومة المصرية من اجل قبول الأمير عبد الكريم الخطابي لاجئا سياسيا في مصر ، ومعروف ان البطل المغربي ثار على اسبانيا ثم على فرنسا في الريف ، وحكم عليه بالنفي لمدة واحد وعشرين عاما في جزيرة «رينيون» (١٩٢٦ - ١٩٤٧) .

كل هذه المواقف والخصال وجدت لها صدى معطاء لدى من عرفوا صاحب الشورى وعاشروه عن قرب ، وقد كان شاعر القطرين خليل مطران واحدا من هؤلاء ، وقد قال فيه قصيدة عام ١٩٢٨ جاء فيها :

(ابو الحسن) أصفى الرفاق سريرة
وأوفاهم عهدا على القرب والنأي
وأبسلهم ذودا عن العرض والحمى
وأثبتهم رأيا على صالح الرأي
يكافح عن اوطانه وحقوقها
بلا وهن في عزمه وبلا وهي
فما ينتهي عن قصده لعوائق
تعوق ، ولا يلوي بأمر ولا نهي
ولا برحت «شوراه» انقى صحيفة
يبث الهدى فيها على النشر والطي
تمج بها تلك البراعة نورها
لكشف ظلامات الكرام وللهدي



اثناء اشتراكه فى المؤتمر الاسلامى العام فى القدس (١٩٣١ ـ ١٩٣٢) ممثلا عن مسلمى اوغندا وعدن

بريطانيا .. ام الاستعمار

قبيل فترة وجيزة من نشوب الثورة الفلسطينية الكبرى عام ١٩٣٦ م عاد الطاهر الى فلسطين بعد ان اخذ إذنا بالاقامة هناك مدة عام واحد ، لكن السلطات البريطانية المنتدبة انذرته بضرورة مغادرة فلسطين بحجة انه «اجنبى» (!) ولا تحق له الاقامة الطويلة فيها . فدهش لذلك التعليل الواهى فقال معلقا : «بأى حق تعتبرنى لندن اجنبيا ، وكل شىء يشهد باننى ابن هذه البلاد ، بينما قانون لندن يعتبر اليهـودى البولونى المهاجر فلسطينيا ؟!» .

لم يكن غريبا هذا السلوك على دولة استعمارية ضليعة فى معاداتها لأحد خصومها الضليعين ايضا فى كراهيتها .. فلقد كان محمد الطاهر لا ينفك عن مهاجمتها ، وفضح نواياها ، وكشف عورة عملائها . فلا توجد لديه «ذقن ممشطة» تستوجب الاحترام اذا انحرفت عن جادة الوطنية الحقة ، لقد كان دائم التردد لعدة مقولات كمثل قوله : «ان بريطانيا هى ام الاستعمار ، وهى التى علمت فرنسا وايطاليا فن الاستعمار بعد ان تعلمته من هولندا ، وورثت مستعمرات المانيا» . وقوله : «المستعمرون هم ، هم تبطرهم النعمة ، وتصلحهم النقمة ، ولا ينفع معهم إلا سحقهم ومحقهم الى ابد الآبدين» . وكذلك قوله : «إن كل شىء فى نظرنا يهون إلا بقاء الانجليز» .

وكان الطاهر يسعى لإقامة صلات قوية مع اخوانه احرار مصر ، ونجح فى مسعاه بصورة واضحة ، وقد كان مصطفى النحاس باشا اول رئيس حكومة مصرية (١٩٣٧) دافعت عن فلسطين رسميا فى عصبة الأمم بجنيف ، وعندما عاد بعض احرار فلسطين من منفاهم بجزيرة سيشل نجح الطاهر ايضا فى مد جسور الصلة مع حزب «الوفد» ومع النحاس شخصيا «على اعتبار ان ابطال مصر فى سيشل (١٩٢٢ م) اولى بالصداقة مع ابطال فلسطين الذين كانوا بعد ذلك فى سيشل (١٩٣٧ ـ ١٩٣٩) . وهو تأييد عربى للجانب الوفدى له معناه فى تلك الايام كما يقول الطاهر .

ومن ارائه عدم الايمان بجمعية الأمم «لأن قواعد ولسون الخيالية اوهمت الناس ان جمعية الأمم ستكون لخدمة الأمم الضعيفة ، فاذا هى عصابة لا عمل لها إلا تسويغ اعتداءات الأقوياء على الضعفاء» .

ثمن الحرية

وكان لابد لصاحب الشورى ان يدفع ثمن مغالاته فى طلب الحرية والاستقلال فقد اوعزت السلطات البريطانية فى مصر بالقبض عليه ، واودع فى احد المعتقلات سنة ١٩٤٠ م ، فلم تهـن

عزيمته ، بل تقبل الامر بفخر واعتزاز ، وعلق على ذلك بقوله : «الآن اصبحت منكوبا مثل اخوانى واقاربى أهل فلسطين الذين نكبوا جميعا ، لم يبق من المنسوبين لفلسطين احد بدون حبس إلا انا ، فأستطيع الآن ان ارفع رأسي أمامهم شامخا» .

وقد ندد بعض رجالات مصر والوطن العربى بحادث الاعتقال التعسفى ، فقال بعض كبار الموظفين الانجليـز : ان مشكلتنا مع محمد علي الطاهر مشكلة لا علاج لها ، فهو اذا حبسناه هاج أصحابه علينا ، وان تركناه هيج الرأى العام علينا !» .

وأثناء وجوده فى المعتقـل مرض ابو الحسن مرضا استوجب نقله الى احد المستشفيات للعلاج ، وأثناء وجوده فيه استطاع ان ينفذ خطة للهرب بعد أن لبس لباس «ابن البلد» ، واختفى قرابة عام كامل متنقلا بين محافظات مصر المختلفة ، وعندما تم تكليف صديقه مصطفى النحاس بتأليف حكومة جديدة - بعد اقالة حكومة حسين سري - استطاع الطاهر بطريقة ذكية ان يدخل عليه مرتديا زى امير عربى أثناء اجتماعه بالصحفيين فى مارس عام ١٩٤٢ م ، فاصدر النحاس امرا بالعفو عنه واطلق سراحه . وخلال فترة اختفائه سطر الخطوط الرئيسية لكتابه الذى اسماه «ظلام السجن» والذى دون فيه ملاحظاته وخواطره وأشجانه وطبع عام ١٩٥١ م ، وفى الصفحة الأخيرة قال معلقا عليه : «... هو مذكرات ومفكرات عن حوادث وقعت ، وحالة وجدت فصورتها ، ولا أزعم أننى أصنع كتابا فى الهندسة أو فى علم الفلسفة ، فالكتاب يرسم صفحة لحياة شخص مر على مسرح الدنيا فترك آثار أقدام على رمال الزمان ثم مضى ، بعد أن دون بعض مشاهداته وأخباره ، وشيئا من الخواطر التى كرت فى خاطره .» .

وبعد تلك الحادثة بسبع سنوات حن أبو الحسن الى المعتقل ، أو بالاحرى حن المعتقل اليه ، فعاد الى غياهبه بأمر من ابراهيم عبد الهادى بوصفه رئيس الوزراء والحاكم العسكرى العام وأودع معتقل «هاكستب» البريطانى فى صحراء السويس ، لكنه لم يمكث به طويلا ، فمن حسن حظه ان تولى حسين سرى رئاسة الوزارة حيث امر بالافراج عنه فى العاشر من اغسطس عام ١٩٤٩ .

كانت جريدة الشورى قد تعطلت منذ الحرب العالمية الثانية ، وتوقفت نهائيا عن الصدور ، وبعد أن عاش صاحبها فى مصر اربعين عاما انتقل كلية الى لبنان فى شهر نيسان عام ١٩٥٥ بعد ان ملأ الدنيا العربية جهادا ونضالا وجلادا .

وفى بيروت تابع رسالته الوطنية ، ولبث ينمى صلاته وصداقاته ، وحفل بيته مساء كل يوم «اثنين» بالعديد من الشخصيات اللبنانية والعربية حيث تدور المناقشات فى شتى مناحى الحياة وبخاصة السياسية منها .

وبرغم ان أستاذنا كان يحمل على منكبيه اعباء سبعين عاما الا انه كان يتمتع بذاكرة حديدية نادرة ، فهو يسرد



أبو الحسن يقف إلى جانب دار الشورى فى القاهرة

لك ادق جزئيات الحدث الذى وقع منذ نصف قرن ، كما لو انه حدث منذ نصف شهر !

بين الطاهر وبورقيبة

لقد وقف الطاهر واوقف «شوراه» الى جانب الشعب التونسى البطل والى جانب ممثله المجاهد الحبيب بورقيبه الذي قصد مكتب الشورى فى أول مرة وصل فيها الى مصر مهاجرا اليها من تونس عام ١٩٤٥ م ، وقد عرفـــه بالشخصيات العربية المرموقة ، وقدمه للصحافة وللأندية المصرية بصورة تتلاءم مع مكانته . واقام له حفلة تكريم دعا اليها صفوة رجالات الدولة ، وكبار الوافدين اليها ، وسخر قلمه للتعريف بالقضية التونسية . وعندما كان بورقيبة يضطر الى السفر خارج مصر يقوم بمراسلة ابي الحسن بانتظام ، حيث كان الزعيم التونسى يطلعـــه على سير نشاطاته وتحركاته الوطنية ، ويستشيره فى بعض الامور السياسية ، ولقد تيسر لكاتب هذه السطور ان يطلع على احدى تلك الرسائل التى كانت أسطرها الأخيرة تدلل على عمق الرابطة بين المجاهدين الكريمين حيث جاء فيها حرفيا : قبلاتى الى ابنى حسن ، وفائق احتراماتى الى ام الحسن ، ولك محبتى الخالصة وتقديرى العظيم ، مع اعترافى بفضلك الجزيل : أخوك فى الدين والوطن والجهاد ، الداعى لك بالصحة والعافية والتوفيق - الحبيب بورقيبة .

وتشاء إرادة الله أن تنتصر تونس على محتليها ، وتنال استقلالها ، ويتولى الحبيب بورقيبة رئاسة جمهوريتها ، ولم ينس المجاهد الوفى صديقه ، فقد دعاه لزيارة تونس مرات عديدة ، وفى كل مرة كان يرحب به ترحيبا عظيما ، وفى زيارته الأولى دعاه ليلقى كلمة فى البرلمان التونسى كما يفعل رؤساء الدول الضيوف على دول صديقة ، وانعم عليه بوسام الاستقلال ، ولقبه بـ «بطل الاستقلال التونسى» .

وعندما زار الرئيس الحبيب بورقيبة لبنان عام ١٩٦٥ قصد الى دار المجاهد الطاهر فى موكب رسمى خارقا بذلك الاصول المتبعة فى «البروتوكول» ، وذلك

وثمانين عاما قضاها فى الكفاح من أجل القضايا العربية والاسلامية ، وشيع الى مثواه الأخير بموكب رسمى مهيب تقدمته فصائل من رجال الثورة الفلسطينية ، وعدد كبيـــر من ســـفراء الدول والشخصيات اللبنانية والعربية ، ودفن جثمانه «الطاهر» فى مقبرة شهداء فلسطين ببيروت .

ومن غريب الصدف انه مات قبيل مرور اربعين يوماً على وفاة صديقه ورفيق دربه سماحة مفتى فلسطين الحاج محمد امين الحسينى ، وبعد اشهر قليلة من وفاة صديقه المناضل علال الفاسى ، عليهم جميعاً رحمات الله وبركاته .

من الاثار القلمية

- نظرات الشورى (١٩٣٢) ويقع فى ٢٧٠ صفحة ، وهو عبارة عن فصول وملاحظات وخواطر عن العالم الاسلامى والوضع فى فلسطين آنذاك .
- ذكرى الامير شكيب ارسلان (١٩٤٧) ويقع فى ٥٠٠ صفحة
- ظلام السجن (١٩٥١) .
- رسائل بورقيبة ، وهو مجلد يحتوى على الرسائل التى تبادلها الحبيب بورقيبة مع الطاهر أيام الكفاح اليونسى .
- خمسون عاما فى القضايا العربية

وحسبنا ان نردد مع الشاعر الكبير محمود ابو الوفا وهو يرثى صديقه محمد على الطاهر إذ يقول :

يا طاهـــر الروح بل يا طاهـــر البدن
تعيش ذكـــراك طيبا يا أبا الحسـن
يا أعظم الناس جودا بعد حاتمـــه
إن لم تكن خاتـم الأجواد فى الزمـن
مجاهداً عشت مثل السيف منصلتـاً
دون العروبـة لم ترهب ولم تلـــن
حياك بياك فى الدارين يا رجـــلا
لله عاش وللاســـلام والوطـــن

... واخيراً فلعلنا استطعنا ان نقرأ «صفحة من حياة مناضل مر على مسرح الدنيا فترك اثار اقدام على رمال الزمان ثم مضى بعد ان دون بعض مشاهداته واخباره ، وشيئا من الخواطر التى كرت فى خاطره» .

نبيل خالد الآغا



الحاج امين الحسينى مفتى فلسطين ومحمد على الطاهر ، حياتهما قصة جهاد طويل

وفاء منه لصديقـــه الذى انهكتـــه الشيخوخة ، وإشعارا له بان المعتقلات ليست هى الثمرة الوحيدة للوطنية .

الوفاة :

أصيب ابو الحسن بمرض خطير ادخل على اثره مستشفى الجامعة الامريكية ببيروت ، ومكث فيه فترة من الزمن يصارع تضخم القلب ، وثقب الرئة ومضاعفات الزلال صراعاً غير متكافىء ، واخيرا نفذت ارادة الله وفاضت روحه الى بارئها يوم الثالث والعشرين من اغسطس عام ١٩٧٤ م بعد اربعـــة

يوسف الشاروني

قصة القصة عند العرب

تنقسم آراء المعترضين على وجود الفن القصصي عند العرب الى ثلاثة آراء غالباً : رأى يرى أن العرب لم يعرفوا القصة إلا فى العصر الحديث عند نهضتهم ابتداء من القرن التاسع عشر ، ورأى يرى أن العرب لم يعرفوا القصة إلا منذ ترجم ابن المقفع كتاب «كليلة ودمنة» فى العصر العباسى ، أما الرأى الثالث فيرى أن العرب عرفوا القصة قبل ذلك كما عرفتها بقية الشعوب ، لكنها منقولة من حولهم ، فهى من أصول هندية أو فارسية أو يونانية .. الخ .

المهم أن العرب لم يبدعوا القصة – كما يقول ارنست رينان – لسببين رئيسيين : أولهما أن العقل السامى يميل الى التجريد ولا ينزع الى التجسيم ، وثانيهما أن البيئة الصحراوية التى عاش فيها العرب لم تكن غنية بالمناظر المتنوعة ، فلم تمنحهم المخيلة المبتكرة التى تتوافر للغربيين .

وقد ردد مثل هذا الكلام أو قريبا منه جوقة أخرى من المستشرقين مثل : أوليرى ، ومرجوليوث ، وفون جرونباوم وغيرهم ، بل ردده بعض كتاب العربية ، ولعلهم متأثرون برأى هؤلاء المستشرقين مثل ميخائيل نعيمة فى «الغربال» ، وعبد العزيز البشرى فى «المختار» ، وأحمد أمين فى «فجر الاسلام» ، وعباس العقاد فى «الفصول» ، وتوفيق الحكيم فى «زهرة العمر» . فهؤلاء اتفقوا – ولتعليلات مختلفة – على أن العرب لم يعرفوا القصة إلا فى عصور متأخرة كالعصر العباسى .

القصة الحديثة فى الأدب العربى :

أما أن العرب لم يعرفوا القصة إلا فى العصر الحديث ، فان القائلين بهذا يقصدون القصة بالمعنى الفنى الحديث الذى لم يعرفه الغربيون انفسهم إلا قبل ذلك بقليل وبعد ظهور المطبعة . فالقصة الحديثة ارتبط ظهورها بتطورات حضارية كان فى مقدمتها ظهور المطبعة ، وبروز الطبقة الوسطى والنظم الديمقراطية وحصول المرأة على قدر أكبر من الحرية وخروجها الى ميدان العمل ومشاركتها الرجل فيه ، وانتشار التعليم . وتطور الطباعة أدى الى ظهور الصحافة التى احتلت فيها القصة القصيرة أو الرواية التى تنشر على حلقات مكانا هاما لجذب جمهور القراء . كما ظهرت علوم كانت جنينا ضمن علوم أخرى ، ثم أخذت تستقل شيئا فشيئا ، لعل أهمها بالنسبة للأدب «علم النفس» . وكانت أهمية هذا العلم انه جعل نظرة الانسان للانسان لا تقف عند ظاهره ، بل حاول أن يستكشف عالمه الداخلى .

كل هذه العوامل أدخلت تغييرات جوهرية على القص بجميع أنواعه . ولعل أهم التغييرات التى حدثت يمكن تلخيصها فى أن القصة أخذت تبتعد شيئاً فشيئاً عن التعريف الافلاطونى بأن الفن تقليد للتقليد . (كصورة المقعد التى يرسمها فنان هى تقليد للمقعد الذى يصنعه النجار الذى هو بدوره تقليد للمقعد فى عالم المثل) ، إذ أصبح لها وجودها المستقل وتركت مهمة النقل عن التاريخ أو الواقع للصحافة . فالصحافة تنقل ماوقع من حوادث الى قرائها بعد أن تحذف منها وتضيف اليها لاثارة القراء وجذب انتباههم . وأصبح على القصاص أن يبحث عن مجال جديد يجرب فيه قلمه وكان هذا البحث فى الوقت الذى بدأ يظهر فيه الاهتمام بعلم النفس . هذا المجال كان هو العالم الداخلى للانسان ، وكانت هذه أول خطوة لابتعاد القصة عن عالم الواقع ، حتى انتهت الرواية والقصة الى ما يعرف بضد الرواية حيناً وباللاقصة حينا آخر ، وهى الرواية أو القصة التى تلغى الحدث تقريباً أو لا تعتمد عليه أساسا . كما ظهرت قبل ذلك القصة النفسية وما يعرف بروايات المونولوج الداخلى مثل روايات بروست وجيمس وفرجينيا وولف . وكل هذه قوالب وأساليب ما كان يمكن لها أن تظهر لولا الكلمة المطبوعة .

فالحدث الذى كان أساسياً وجوهرياً فى القصة الشفاهية حتى يمكن جذب أذن المستمع اليها توارى بتطور القصة المطبوعة ، حتى أن كثيراً مما يكتب من قصص لا يمكن تلخيصه لسامع فى أكثر من كلمات قلائل ، فهو مرتبط بكلماته المكتوبة اكثر بكثير مما يتبقى منه من كلمات تروى .

ونتيجة لظهور المطبعة امكن التخلى عن أساليب السجع وتضمين القصة أبياتا من الشعر ذلك «أن هذا الشعر أولا يدخل هذه القصص عبثاً .. فهو أولا يكون عموداً فقرياً فى كل قصة .. والشعر كتعبير قولى منغوم أسهل حفظاً وأقرب الى اللصوق بالنفس من الحديث النثرى المرسل . ولهذا فالقطع الشعرية تبدو كالتكئة التى يستند اليها الرواة فى حفظ القصة كلها . ويؤيد هذا أن معظم ما ورد من شعر إنما يروي الأحداث مرة أخرى على لسان بطل من أبطال هذه الأحداث» . فتضمين الشعر فى القصة العربية القديمة تجعل منه وثيقة منغومة تحفظ الحدث من الزوال بما تتيحه من يسر فى

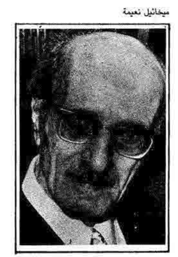
● هـل صحيـح أن العـرب لم يعرفـوا القصـة قبل بدايـة القرن التاسع عشـر ؟
● القصـة بمعنـاها الحديث ـ لم يعرفـها الغربيـون قبـل ظـهور المطبعـة
● متى أمكن التـخلي عن أساليب السـجع وأبيـات الشـعر في القصـة ؟

الحفظ والرواية .

كذلك أصبح البطل فى القصة العادية هو الرجل العادى فى حضارتنا نتيجة لانتشار النظم الديمقراطية ونمو الطبقة الوسطى بحيث أصبح معظم الكتاب والقراء منها ، بينما كان النبلاء أو الابطال الشعبيون وأنصاف الآلهة هم أبطال الأعمال الأدبية قبل عصر المطبعة .

فخصائص القصة بالمعنى الفنى الحديث هى خصائص القصة المطبوعة ، وقد سبقنا الغرب اليها لأنه سبقنا فى استخدام المطبعة . أما ما قبل عصر المطبعة فلا الغرب ولا الشرق العربى كان يعرف ـ ولم يكن يمكن أن يعرف ـ القصة الحديثة . بل ان القصة الأوربية الحديثة كان من روافدها الفن القصصى كما عرف عند العرب قبل عصر النهضة . ويقول المستشرق الانجليزى «جب» فى كتابه «تراث الاسلام» أن

ميخائيل نعيمة



«قصص الغرب وآدابهم كانت بدء انقلاب هام فى تاريخ الأدب الأوروبى فى مطلع القرن السابع عشر ، فيومئذ كان ميلاد القصة الحديثـــة ، وهذا «سرفانتس» نفسه كان مديناً للثقافة الاندلسيه . وقصته : دون كيشوت ـ كما صرح بذلك بريسكوت ـ أندلسية بحتة فيما ظهر فيها من لباقة وفطنة» . فالقصة الغربية المعاصرة ـ والتى تأثرنا بها فى قصصنا المعاصر الى جانب مؤثرات أخرى من تاريخنا الأدبى ـ ليست إلا مرحلة من مراحل هذه القصة سبقتها مراحل وستتلوها مراحل .

القصة فى التراث العربى :

أما أن العرب لم يعرفوا القصة إلا فى العصر العباسى عندما ترجم ابن المقفع كتاب كليلة ودمنة . فهذا القول يتجاهل تراثاً قصصياً ضخماً عرفه العرب قبل

محمد فريد أبو حديد



ذلك ، ويريد أن يقول أن كل ما أنتجه العرب من قصص منذ ذلك التاريخ ـ مثلما يقال اليوم عن القصة العربية الحديثة ـ ليس إلا نتيجة الترجمة عن شعوب أخرى . والواقع أن العرب عرفوا القصة قبل ذلك التاريخ مثل القصص الدينى وقصص الحب العذرى والنوادر بل قصص الحيوان التى يضم مثلها كتاب كليلة ودمنة على نحو ما نجد فى أمثالهم ، بل ان هناك من يقول أن قصص كليلة ودمنة ليس مترجماً بل ان ابن المقفع شارك فى تاليفه .

أما ان التراث القصصى العربى ـ منذ عصر الجاهلية ـ منقول عن شعوب اخرى ، فهذه حجة يمكن لأى عالم من علماء الفنون الشعبية أن يفندها ، فكما اختلطت الأجناس البشرية ببعضها فى منطقة حـوض البحر الأبيض ، كذلك اختلطت آدابها فاخـــذ كل من الآخر وأعطاه ، كما اختلطت آداب الشعوب السامية . فالأدب اليونانى الذى تفخر به أوربا فيه عناصر من مختلف آداب الشعوب التى سبقته حضارياً مثل مصر الفرعونية حيث تتردد فيه اسماء مدن وآلهة فرعونية على نحو ما نرى فى اسطورة أوديب التى نقرأ فيها عن مدينة طيبة وأبى الهول ، وقصة حصان طرواده لها شبيه فى القصص الفرعونى . وتتلخص القصة فى أن المدعو تحوتى

أحد قواد تحتمس خدع حاكم مدينة يافا فأدخل جنده على تلك البلدة مختبئين فى سلال محمولة على حمير . ومع ذلك لم يقل أحد أن الأدب اليونانى منقول عن غيره . أو أن اليونان لم يوهبوا عبقرية الابداع الفنى . المهم أن كل شعب يصهر فى بوتقته ويتمثل هذا

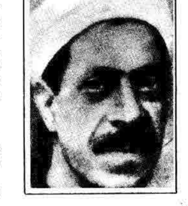
قصة القصة عند العرب

التراث المشترك ليفرزه لنا عملا أدبياً متميزاً بخصائص متفردة .

فالعرب عرفوا قصة ما قبل المطبعة كما عرفها الأوربيون ، وكما أن المطبعة هى وسيلة نشر القصة فى عصرنا كذلك كانت الرواية الشفاهية هى الوسيلة الرئيسية لاذاعة قصص ما قبل عصر المطبعة . وقد كان لوسيلة الاذاعة هذه اثرها فى شكل ما يروى من قصص . ولم يكن استخدام الرواية الشفاهية قاصراً على الأدب الشعبى فقط ، بل حتى القصص المكتوب باللغة الفصحى والمعروف مؤلفه بل والذى تفنن مؤلفوه فى الصنعة كانت وسيلة ذيوعه بين الجماهير العريضة هى الرواية الشفاهية . «لأن القاص الذى يلقى قصة على جماعةمن الناس يميل الى التزويق ، واستغلال الفنون الأدبية يجعلها معتمداً له فى التأثير على أسماع الناس وانفسهم» .

فشروط البلاغة فى النقد العربى القديم مأخوذة من الخطابة ، «فالنثر العربى فن إلقائى يقوم على المواجهة المباشرة. وقد استغل القصاص هذه القابلية عند السامعين فى أكثر الأحيان وحلت القصص فى المساجد محل الخطب والمواعظ فى العصور المتأخرة .. واختلطت مقاصد القصاص دون تمييز . لكن الاستعانة بوسيلة الاجتذاب المباشر كانت عامة يفهمها الناس ويتأثرون بها . ولذلك حين جاء «الحريرى» بمقاماته فى القرن الخامس الهجرى ، أثارت تلك المقامات ريبة معاصريه ، فنفوا نسبتها اليه ... لأنه جاء بفنون غريبة على الذوق الأدبى العام . ومن أهم هذه الفنون اعتماده على الصنعة الكتابية . وأعنى بذلك ان جزءاً كبيراً من صنعته التى تعتمد على الاعجام والاهمال للحروف لا تدركها الأذن عند سماعها لأول وهلة ، بل تلتفت اليها حين تراها العين مكتوبة امامها . وأظن أن الأمر الذى دعا الحريرى الى هذا — فضلا عن غاية تعليمية واضحة — هو شيوع فن الكتابة بين الناس» . ورغم معرفة كثير من رواة القصة فى تراثنا العربى القراءة والكتابة ، وانهم استعانوا بهما لتدوين الأحاديث والأقوال ، وان بعضهم خلف مقداراً كبيراً من الصحف المكتوبة . ومع ذلك يغلب على الرواية المنقولة عنهم طابع النقل الشفوى ، وذلك للأهمية التى تتمتع بها الرواية الشفوية فى المجتمع الاسلامى فى نقل ودراسة جميع العلوم الاسلامية ، حتى بعد عصر التدوين ونشاطه إذ بقيت الرواية الشفوية هى الغالبة على مناهج البحث والتأليف عند العلماء المسلمين ، وهى الطريقة الغالبة على علماء الحديث خاصة . ولذلك فتوثيق الرواية يتأتى من اسنادها الى المتقدمين من أوائل المسلمين . وهذا الأمر يفسر ظاهرة استعانة القصاص المتأخرين بالأسانيد الاسلامية المعروفة فى العلم الحديث لتوثيق رواياتهم فى نظر المجتمع الاسلامى ، وهذا ما قام به قصاصون مشهورون ، كمقاتل بن سليمان والكلبى وابنه وغيرهم .

على ضوء هذا الفهم وفى حدوده عرف العرب القصة ابتداء من «القصة — التاريخ» أو «القصة — الواقع» ، وهو القصص الذى قد يكون له أصل تاريخى ثم حذف الراوى منه وأضاف اليه بحيث نقله مما وقع الى ما يحتمل أن يقع أى من التاريخ الى الفن ، وذلك على نحو ما نجد فيما يعرف فى أدبنا العربى بقصص الحب العذرى ، حتى «القصة — الفانتازيا» التى تتجاوز الحدود الزمنية والمكانية وتذوب الفواصل بين العالم المرئى واللامرئى وتزدحم بعالم الجن والسحر والأماكن الموصودة والطلسمات ، وقضية حدوثها أو عدم حدوثها خارجة عن اهتمام السامع أو القارىء .



الشيخ عبد العزيز البشرى

وهكذا عرف تراثنا شتى أنواع القصص التى اختلفت سواء فى موضوعها أو شكلها ، كالقصة الدينية وقصص الحيوان والأمثال النوادر والمقامات والقصة الفلسفية والقصص والسير الشعبية .

بل لقد عرف تراثنا المجموعات القصصية التى تبتاز عن مجموعاتنا المعاصرة بانها كانت تندرج تحت موضوع واحد مثل كتاب «البخلاء» للجاحظ (المولود عام ١٦٠ هجرية والمتوفى عام ٢٥٥ هـ) والمكافاة وحسن العقبى لأحمد بن يوسف (المتوفى عام ٣٣٩ هـ) والفرج بعد الشدة للتنوخى (المولود عام ٣٢٧ هـ . والمتوفى عام ٣٨٤ هـ) ومصارع العشاق لابن السراج (المولود عام ٤١٧ هـ . والمتوفى عام ٥٠٠ هـ) بل ان بعض هذه الكتب مبوب يجمع فى كل باب مجموعة قصصية تحت موضوع واحد أكثر تحديداً . فأحمد بن يوسف الذى كان كاتباً فى خدمة الطولونيين بمصر ينقسم كتابه الى ثلاثة أبواب : المكافاة على الحسن ، فالمكافاة على القبيح ، وأخيراً حسن العقبى .

فان لم تكن القصص تندرج تحت موضوع واحد فقد حرص مؤلفوها أو جامعوها على أن يربطوا بينها برباط فنى فيما عرف بلسم : القصة الاطار ، على نحو ما نجد فى قصص ألف ليلة وليلة التى كانت ترويها شهرزاد للملك شهريار تأجيلا لموتها ، وعلى نحو قصة دبشليم الملك وبيدبا الفيلسوف التى انبثقت منها قصص كليلة ودمنة .

وهناك طريقة ثالثة للجمع بين مجموعة من القصص نجدها فى ألف ليلة وليلة أيضاً ، تلك هى طريقة القصص المتداخلة اى رواية قصة من داخل قصة .

وهكذا نجد أن العرب لم يعرفوا القصة فحسب ، بل عرفوا المجموعات






الجاحظ


احمد امين

■ عند ما تمكن الوجدان العربي من تمثل الأشكال وصهرها في بوتقته الحضارية

القصصية وحرصوا على ان يبرروا وجودها معاً ، مرة عن طريق الموضوع الواحد ، ومرة عن طريق القصة الاطار ، ومرة ثالثة عن طريق التداخل .

التفاعل بين الشرق والغرب

وليست اهمية هذا التراث أن نعترف فحسب بوجوده وتنوعه وخصوبته ، بل أيضاً فيما تركه من أثر فى كل من القصص الأوربى والقصص العربى الحديث . اما عن تأثر الأدب الاوربى بالقصة العربية القديمة فقد اعترف به المستشرقون قبل ان يخوض فيه باحثونا ، فتأثرهم بالف ليلة وليلة وبالمقامات وبقصة حى بن يقظان أصبح من تكرار القول الخوض فيه .

أما فيما يتصل بمدى أثر هذا القصص فى القصة العربية الحديثة ، فان المتتبع لبداياتنا القصصية فى نهايات القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين يلاحظ وجود تيارين : تيار اتصل بهذا التراث وتأثر به ، وآخر لم يلتفت الى هذا التراث لأن أصحابه لم يدرسوا الأدب العربى ، وحتى الذين ألموا بهذا الأدب كان اكثرهم لا علم له بالقصة العربية فى عصورها الماضية لأنها كانت مستبعدة فى الدراسة التقليدية . ويمكن القول ان التيار الأول يمثله فى مصر المويلحى والمنفلوطى ، وهما يتفقان فى الشكل والمضمون من جانب ويختلفان فيهما ايضاً من جانب آخر . فقد كان كلاهما معتزاً بالشكل اللغوى والأسلوب العربى كما كانا متأثرين بدعوة الاصلاح التى أثارها جمال الدين الأفغانى وحمل رسالتها تلاميذه من بعده . وهما يختلفان بعد ذلك . فالمويلحى يأخذ شكل المقامة ، والمنفلوطى يسترسل متحرراً من قيود السجع . وسلك المويلحى الدعوة الاصلاحية بنقد المجتمع مغلباً جانب العقل على جانب العاطفة ، فكان أقرب الى الواقعية من حيث المضمون ، اما المنفلوطى فقد اخذ الجانب العاطفى المفرط واوغل فى رومانسية العصر الآتية من الغرب . اما التيار الآخر المتأثر بالغرب فقد انتظم فيه صف طويل يبدأ بمحمد تيمور وأخيه محمود تيمور . وكان تأثر هؤلاء بالآداب الأجنبية .

ومع أن التيار الأول قد بدا انه توقف ، إلا أنه فى الواقع قد أخذ يتسرب بحيث اننا نجد فى النهاية كتاباً مثل توفيق الحكيم وعلي احمد باكثير ومحمد فريد أبو حديد وفاروق خورشيد وعباس خضر .. الخ يستلهمون تراثنا القصصى ليصيغوه فى قالب القصة المعاصرة .

فالعرب عرفوا القصة فى مرحلة ما قبل عصر المطبعة ، شأنهم فى ذلك شأن غيرهم من الشعوب . وقد تفاوتت هذه الأشكال ما بين القصر الذى لا يتجاوز روايته دقائق كما فى النادرة والطول الذى قد تستغرق روايته أمسيات تمتد شهوراً كما فى السير الشعبية . كما تفاوتت هذه الأشكال ما بين ابداع عربى خالص على نحو ما نجد فى المقامات ، وتأثر بما أبدعته شعوب أخرى ، وإن كان الوجدان العربى قد تمكن من تمثل هذه الأشكال المنقولة وصهرها فى بوتقته الحضارية بحيث يصبح بدوره ابداعاً أو ما هو أقرب الى الإبداع . فالفكر العربى فكر خصب متنوع ، وليس الابداع القصصى ــ على المستويين الفردى والجماعى ، الفصيح والعامى ــ إلا رافد من روافده المتعددة .

يوسف الشارونى

أعرابية على قبر زوجها

قال الأصمعي : دخلت على بعض مقابر الاعراب ، ومعى صاحب لى ، فاذا جارية على قبر كأنها تمثال ، وعليها من الحلى والحلل ما لم أر مثله ، وهى تبكى بعين غزيرة ، وصوت شجى ، فالتفت إلى صاحبى ، فقلت : هل رأيت أعجب من هذه ؟ قال : لا والله ، ولا أحسبنى أراه .

ثم قلت : يا هذه ، إنى أراك حزينة وما عليك زى الحزن ، فانشدت تقول :

فان تسألانى فيم حزنى ؟ فاننى
رهينة هذا القبر يا فتيان
وإنى لأستحييه والتراب بيننا
كما كنت استحييه حيث يرانى

ثم اندفعت فى البكاء وجعلت تقول :

يا صاحب القبر ، يا من كان ينعم بى
بالا ، ويكثر فى الدنيا مواساتى
قد زرت قبرك فى حليى وفى حللى
كأننى لست من أهل المصيبات
أردت آتيك فيما كنت أعرفه
أن قد تسر به من بعض هيئاتى
فمن رآنى رأى عبرى مولهة
عجيبة الزى تبكى بين أموات

من قصص العرب

أجرى الحوار:
بابكر عيسى

حوار مع: جمال محمد أحمد

هل هناك صراع بين العروبة والنزعة الإفريقية؟

«اللقاء العربي الأفريقي عودة لمسار التاريخ في القارة في معنى من المعاني، عودة لصراع العبقرية العربية ضد الفتوه الأوربية والعلوم الجديدة فيها، والطموح الذى عم أوربا بعد أن جلست على قمة الدنيا بعد الثورة الصناعية، واستطاعت أن تفصم العرى بين العرب والأفريقيين بالسيف والنار تارة، والحيلة الواسعة تارة. خلا لها الجو في الأندلس الأفريقية كما خلا لها في الأندلس الأوربية.. بين أوربا المعاصرة في الغرب وبين العرب المعاصرين ثارات في القارة الأفريقية، وقلة قليلة من العرب والأفريقيين تلك التى تعرف كيف اقحمت أوروبا نفسها على العرب والأفريقيين وكانوا جماعة متآلفة اكثر الأحيان، انتفعت أوروبا وابنتها أمريكا بقطع الذى كان بين العرب والأفريقيين، من تزاوج وتراحم وتجارة، حلت أوروبا وابنتها أمريكا محل العرب بالنار والدهاء على خلاف بين العلائق الأوربية الأفريقية، والعلائق العربية الأفريقية».

وكان الوقت مساء، حملت أوراقي وحزمة أشواق قديمة، وجلست إليه في منزله بامتداد الخرطوم، كان على موعد مع رحلة جديدة وهي امتداد لحالة التجوال الدائم التى يعيشها والتى أورثه إياها عمله الدبلوماسي لسنوات وتبوؤه لمنصب وزير للخارجية لمدة من الزمن، جاب خلالها العالم شرقاً وغرباً، عربياً وأفريقيا.. وخلال ذلك ازداد اهتمامه بالقضايا الانسانية والقضايا العربية الأفريقية على وجه التحديد.

استعرت بعض كلماته وانا اقول: استاذ جمال محمد أحمد: الحس والاقتدار شقا مقص لا يغنيك شق عن الاخر. معا يقطعان الطريق، على انفراد يعجزان.. ولقد اخذت انت هذا السبيل وهو أقرب لسبيل الروائي يختار شخوصه ومواقفهم وأحزانهم وأفراحهم في فترة في التاريخ أو فترات، أقرب لسبيل نجيب محفوظ في بعض آثاره، وسبيل ركس وارنر في كل آثاره.. احترمت الحقائق والقرارات والحوار والمذاهب السياسية ولكنك لم تعدها العنصر الأول في الذى نعمل والذى لا نعمل، في الذى نحب والذى لا نحب، أخذتها أغطية قبلها الناس على مر السنين، كيلا تبين شهواتهم عارية لقاء بعضها البعض، حين تصطدم، وجنب بعضها البعض حين تلتقى.

وما سعيت به إليك أن تحدثني عن جرح أفريقيا، وعن الحوار الذى بدأ وانقطع بين العالمين العربي والأفريقي،

ودور الاعلام المطلوب لتعميق الروابط.. وعدم الانحياز، والفكرة البديلة عن عدم الانحياز، واخفاقات منظمة الوحدة الأفريقية.. فتماسك القارة الأفريقية يعنينا في المنطقة العربية، وسلامتها بضع من سلامة القارة.. امن أفريقيا بضع من أمن العرب.. وهكذا بدأ الحوار


جمال محمد أحمد

الإســـــلام انــتشــر في إفريقيـــا بقــوتـــه الخاصــة رغـم تقصيـر المسلميـن
الأقــــرب إلى طبـــيــعــة الأشـــياء أن يفكــــر هذا الـجـيـــل في شيء آخــر

الحوار العربى الافريقى

رغم أن العربى اليوم مرهوب لقدرته على حجب الأعانة او ما يملك من خيرات إلا أن التفكك فى الجسم العربى الكبير لا يدعو إلى التوقير سواء فى افريقيا او فى محيط الأسرة الدولية .. واخشى ان يكون هذا سببا إضافيا للاسباب الأخرى إلتى تجعل التعامل مع العربى عسيرا .

هناك تعاون مستمر وثابت مثلما فى المصرف العربى للتنمية فى افريقيا كما ان الصناديق العربية تقوم بانجازات كبيرة .. ورغم ذلك لا تجد كلمة ثناء واحدة على هذا العمل للعربى الكبير ، بينما نجد كلمات الثناء تنهال على اقل ما يعمل فى مواكب اخرى .. لماذا ؟ لأن البلاد الأخرى لها صلات اعمق ، والتفكك العربى يدعو إلى الحذر ، فالأفريقى الذى يريد ان يثنى على من أحسن إليه يخاف ان يغضب الآخرين .. ومن كان يظن رجلا عامر القلب طيب الاحساس نحو المواقف العربية مثل كنث كاوندا حينما يقدم كتاباً لأحد اعماله عن التعاون العربى الأفريقى يتكلم بغاية الحذر عن المقدار الذى أنجز حاليـــا ، ولا يستطيع ان ينطلق ، فهو يخشى إن اثنى على هذه الدولة ان يغضب الأخرى .. فالتفكك العربى لايدعو إلى التوقير .

وأشير هنا لماذا تعثر اللقاء فى القاهرة ، ولماذا خرجت تلك المنظمات والمنشآت المرتابة ، هذا لم يكن منه مفر ، ففى النفس الأفريقية اشياء كثيرة لاتحبب إليها الانسان العربى ، وذلك من كثرة ما كتب عن تجارة الرقيق .. واظنك تذكر القصة التى جرت وقائعها فى الجمعية التشريعية فى السودان أيام الانجليز ، فقد وقف أحد الاخوة



كنث كاوندا

الجنوبيين وكان قوى العاطفة بالوضع الموجود ، كارها للوضع القادم وهو الاستقلال .. فكان يرى الاستقلال فيما يخص الجنوبى هو استبدال سيد بسيد وقد وصفه البعض فى حينها بانه انسان مبالغ ومسرف كما قيل عنه الكثير ..

وانا رايت فى ذلك الخشية التى فى نفسه من الاستقلال ، فهو لم يكن رجلا غير امين ولا غير صادق .. فقد كان صادقا لأنه قال ما فى داخله ، ومثل هذا كان يمثل للعلاقه بين العرب والأفارقة .

فلو تيسر الوقت ـ والتاريخ لا يعطى كل هذه التجربة ـ للعربى أن يعرض نفسه اكثر عن الطريق الثقافى لتأسست علاقة أمتن ، والأفريقى يفهم عقلية العربى ، ففى ندوة الشارقة دار حديث حول أحد الافارقة من الأصول العربية ، وكان يعمل بالتجارة فى زنجبار .. وبعد الاجتماع التقيت باحد السفراء الأفارقة فوجدته عاتباً على أشد العتب لأننى أثنيت على هذا العربى الذى كانت محطته زنجبار والذى كان يعمل فى المنطقة الشرقية بالتجارة ويتعاون فى الأمور الادارية والحكم مع سلطان زنجبار .. وتحدث السفير الأفريقى عن هذه الشخصية الأفريقية المنحدرة من أصول عربية كما لو كان يخلو من أى صفة إلا صفة تجارة الرقيق .. فالرجل ما كان بعيدا عن هذه التجارة لكنها كانت تجارة مالوفة ، والدور العربى فى الاقليم الأفريقى ما كان اقسى ولا أعنف من الدور الاوروبى .. ولكن ليس هناك من أوضح القضية العربية للأفريقى بشكل يفهمه الأفريقى .. وقد كان الدور العربى قريباً جدا من الدور الافريقى ذاته ، وكانوا جميعاً وسطاء بين مالك الرق وبائع الرق ، فبعض الأفارقة اشتركوا بقدر غير قليل فى تجارة الرقيق .

ورغم أن المقادير لا يمكن أن تتساوى ، حيث لا يوجد مقياس ، إلا أن الوصمة علقت فى العنق العربى .. واتمنى هنا أن لا نكتفى بالجسور المادية لربط الاقليم العربى الأفريقى ، وانما ينبغى أن نعزز هذه الروابط بالروابط غير المادية ، مثل الروابط الثقافية والروحية .

دور الاعلام

.. الاعلام فى المنطقة العربية اعلام رسمى ... وقليل المتروك للعمل الفردى ، والاعلام الحكومى يعبر فى العادة عن وجهة نظر الحكومة سواء أكانت مصيبة أم مخطئة .. وحتى ما يقال فى المحافل الدولية مثل الأمم المتحدة ومنظمة الوحدةالأفريقية لا يعدو كونه كلاماً رسمياً .. ولا ابالغ قط إن قلت أن قصة عربية واحدة متقنة الكتابة تقرأ على النطاق الافريقى او مقالة تحدث أثرا لا تستطيع الأجهزة الرسمية أن تحدثه مهما اتقنت عملها .

ثم ان المنشآت الأوربية والأمريكية يقظـة ومســـنودة بأموال وتيســـر البحث والعمل لكل افريقى .

والذين يظنون أن المعاهد الاسلامية انجاز معاصر ، يضللون انفسهم لأن



حوار مع:
جمال محمد أحمد

الأزهر مثلا والمعاهد الاسلامية الحاضرة كانت موجودة قبل العربي المعاصر ، فالأزهر عمره الف سنة وكان يؤمه الأفارقة من دار شنقيط ومن سنار ... الخ ولقد أطلعت من كتاب قديم اسمه مطالعات افريقية أن طلاباً من ممبسا واوغندا كانوا يأتون إلى «كريم» داخل الصحراء قرب الربع الخالي يدرسون الاسلام والعلوم الاسلامية في المعاهد الاسلامية القائمة ... واذا ظن العربي المعاصر انها من انجازه يكون غافلا ، فالعبور الافريقي إلى داخل الصحراء المسلمة كان يتم بالقوارب عبر المحيط الهندي إلى عدن وبالاقدام إلى حضرموت وإلى داخل الصحراء إلى دار كريم ..

الاسلام في أفريقيا

الاسلام انتشر في القارة الأفريقية بقدرته هو وليس بعون المسلمين ، بمعنى قدرته على الحياة .. فالأفريقي وجد في الاسلام ما نعرفه نحن من أن الاسلام دين الفطرة . كما أن الاسلام لم يغير حياة الافريقي راساً على عقب كما أرادت المسيحية .. الاسلام هيأ نفسه بطبيعة روحه فاقبل عليه الأفريقيون بعد ذلك ، وإن كنا هنا لا ننكر دور الاخوان في الطريقة الأحمدية وانتشارهم في غرب أفريقيا وشرقها إلى أن جاء العهد المعاصر وهو يساعد الآن بمقدار .

وما عنيته بقوة الاسلام وقدرته .. أنه في الوقت الذي بدأ فيه التبشير الأوربي بالاته ومعداته وثقافاته على الاغراء والاستمالة كان الاقبال على الاسلام اكثر .. ولولا قوة الاسلام لا محى من القارة الأفريقية لأنه ظل مضطهداً لمدة ستة قرون غاية الاضطهاد من القوى المسيحية وقد كان بعض المتشددين من المبشرين المسيحيين يكتبون لأهلهم في أوربا قائلين : صحيح أن أفريقيا تقبل على الاسلام لأنه دين المتوحشين مثلهم .. ولقد كان هؤلاء يقاومون الاسلام مقاومة عنيفة ، ولكن الاسلام بقوته الذاتية استطاع أن يبقى ويكبر ويشاع .

عدم الانحياز

عدم الانحياز سيفقد كثيراً من مزاياه ، لا لشيء في جوهر عدم الانحياز ، انما الزمن لا يقف ، الزمن يمضي .. فكرة عدم الانحياز – لو تذكر – بدأت في مؤتمر باندونج بطريقة الرسم ، وهي أن – يتحدث الأشخاص رسمياً في فكرة من الأفكار ، رغم أن فكرة الحياد الايجابي كانت قائمة ، ومضى الزمن والتقت أفكار مجموعة من القادة كان لها دور بارز في توحيد فكرة عدم الانحياز ، وهذه الأفكار ما كان يمكن أن يكون لهـا هذا الدور لولا دور القادة الذين طرحوها في بلادهم المفردة ، فنهرو مثلا ما كان يمكن أن يكون ذا بال في عدم الانحياز لو لم يكن في بلده ذا مكان وكذلك ناصر لو لم تكن له مكانة في وطنه العربي كما ان شواين لاي من صناع ربع الدنيا (الصين) .

وقد جاءت الفكرة في فترة تاريخية كان لابد أن تكون ، وأعطت العالم الثالث الكثير من الحماية ضد التغول السياسي وقدراً مقبولا من التغول الاقتصادي – ما استطاعت الكثير في هذا المجال – وبعد مضي ما يقرب من ثلاثين سنة تغير الحال والذي نراه الآن من عدم الانحياز هو فقط حرص الأجيال ، فثلاثين سنة هي عمر جيل حرص على أن يبقي منشاته السابقة على قيد الحياة .

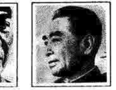
والأقرب إلى طبيعة الأشياء أن يفكر هذا الجيل في شيء آخر غير عدم الانحياز ، فريح الوفاق بين روسيا وأمريكا أصابت الناس بذعر . فقد بدأ الوفاق كحكم ثنائي على الدنيا .. لكن هذا الخوف اتضح انه لا أساس له ، ميـزان القوى بين أمريكا والاتحاد السوفيتي إلى جانب دخول أوربا الغربية يلعب دوراً بارزاً في السلام وبعد جيل كامل سيفكر الجيل الحالي في شيء آخر غير عدم الانحياز .. فهل كان يخطر في ذهن نهرو أو ناصر أو سوكارنو أن يرأس عدم الانحياز ماركسي ؟ ومن يعرف قد يقود عدم الانحياز المرة القادمة شخص من الطرف الآخر ، يميني بمقدار ما القيادة الحالية في شخص ماركسي .

ملامح البديل

الفكرة التي نشأت ليعالجها عدم الانحياز عولجت ، لكن بعض آثارها لازالت معنا ، بعض الأسس ستظل كما هي ، انما الفكرة القادمة ستعالج الأشياء التي استحدثت – ربما اكون ممعناً في الخيال – إن المسائل السياسية تاتي في المقام الثاني بينما المسائل الاقتصادية تاتي في المقام الأول .

بالنسبة للجيل الماضي كان الاستقلال الوطني في المقام الأول أما الجيل الحالي فيريد أن يعطي الاستقلال الوطني المحتوى الاقتصادي .. فالمذاهب السياسية ما عاد لها المكان الكبير ، فقد التقت المذاهب الآن حول المنفعة الاقتصادية .. ومن عبث التاريخ بالناس أن المذاهب ما عادت تحتل المكان الأول . لو تذكر في السودان بعض ذوي البصر والحكمة وحتى في عز العراك كانوا يقولون «التعمير قبل التحرير» – كانوا قلة – واذا استرجعنا الذاكرة الذين عملوا مظاهرات كانوا وطنيين ذوي عاطفة حسنة أما الآخرون فقد كانوا ذوي حكمة .

فالفكرة التي تعالج قضايا معينة تبدأ





نهرو — جمال عبد الناصر — شواين لاي — سوكارنو

لا أدري ماذا أصاب روح التطلع والبحث العلمي والثقافي عند العرب

في الذبول مع علاج القضايا .

التحدي الحضاري

الكلام في هذه النقطة يستوجب الحرص والحذر .. واتساءل بدوري «لماذا تحد حضاري للعرب» .. افهم أن يكون هناك تحد حضاري لأمة ليس لها حضارة أما تحد حضاري للعرب فانه شيء يدعو للتساؤل .. وان عنى أحدهم الحضارة الميكانيكية المعاصرة وان العرب لم يشاركوا فيها ، قد يكون هذا صحيحا ، واذا قبلنا هذه الفرضية رغم اتصال أوربا بالعالم العربي وعلى مدى مائتي سنة متصلة .

وفي هذه النقطة أنا لا أمشي معك كل الطريق ، وإن كنت أقبل بالسير فيه بعض الطريق .. فالحضارة الميكانيكية الأوربية وراءها حضارة روحية قوية ، ولو لم تكن هي لما كانت تلك ، بمعنى أنه بمقدار الأثرالذى تركهنيوتن وبمقدار الأثر الذى تركه الطب في التقدم الآلي الميكانيكي الأوربي .. بمقدار الأثر الذي تركه لوثر في نفوس الناس ، والذى تركه داروين لا يقل أثرا عن الذي تركه ليوناردافنشي .. ولا يمكن القول بهذا التقسيم أن تلك حضارة ميكانيكية ونحن أهل الروح فقط ، والحضارة العربية مسنودة بفكرة الروح والامكانات .. وهناك ارث حضاري موجود — ليس منكورا بأن العرب لهم دور مؤثر .

وإن كان ثمة حديث عن أن المجتمعات العربية ، مجتمعات استهلاكية عجزت أن تعطى الانسانية شيئا جديدا .. فأراه في أن الصلة بين أوروبا المعاصرة وبين

نيوتن

محمد علي

المنطقة العربية تعود لزمن بعيد .. التواصل الحضاري كان قائماً عبر الارساليات التي كانت منتشرة في لبنان وبعض بلاد الشام من أمريكا ، والبعثات التي بدأت في عهد محمد علي .. ولكن ماذا حدث ؟ لماذا لم يأخذ العربي هذه الفنون والعلوم على نحو يعينه وان يكون على مقدار حضارته ، التي أقعدتها فترات الضعف العربي الذي كان موجودًا ، ليتواصل الضعف ، لماذا ؟ ..

والآن هل يعمل شيء لتدارك هذا ؟ الجامعات الأوروبية والأمريكية ملئ بالشباب العربي ، والمنطقة العربية فيها جامعات ليست قليلة ويتخرج منها الكثير .. ولكن اخاف أحيانا ان المحصول النهائي ليس بمقدار الجهد المبذول ، الحصيلة قليلة .

هذه الأيام فرغت من ترجمة كتاب عن التغيير الأفريقي والعنصر الانساني ودوره في التغيير الأفريقي .. وبصدد كتابة مقدمة ، ومن الأشياء التي ادبرها الآن في ذهني ان اجد الكلمات المناسبة لتعبر عما لمسته في الكاتب «ميلفون هيرسكوفتش» مؤلف الكتاب وهو بروفسير كان يدرس في جامعتي شيكاغو وكولمبيا .. هذا الكاتب لم يكتب هذا الكتاب وهو جالس في مكتبه ، طوف القارة الأفريقية أربعين سنة .. وعندنا قليل الذي يذهب ويرى ويكتشف .. وأنا متأثر بهذه الفكرة ، فالشخص لا يمكن أن يحدث اى اثر فكري وثقافي وهو جالس في مكتبه .. والفكرة قديمة فالمسعودي ما كتب «مروج الذهب» وهو قابع في بغداد أو البصرة .. فروح التطلع والطموح العلمي والثقافي كانت في العرب ، ولا ادري ماذا أصابها ؟

منظمة الوحدة الأفريقية

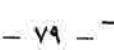
هذه المنظمة واجهت عقبات كثيرة ، وعجزت في ايجاد اجوبة لكثير من الأسئلة الأفريقية المطروحة .. والشيء الذي لا يغيب عن ذهني كلما فكرت في المنظمة هو أن عمرها صغير ، خمسة عشر عاماً .. والقضايا التي عجزت المنظمة عنها ليست قضايا سهلة وانما هي شديدة التعقيد ، والمشاكل التي تواجهها المنظمة مثل ما حدث بين اوغندا وتنزانيا والصحراء الغربية وغيرها .

ولا أعتقد ان في ميثاق منظمة الوحدة الأفريقية ما يستدعي العجلة في التغيير .. الشيء الوحيد الذي يتمناه المرء على المنظمة هو ان تعطى وكالات المنظمة روحا اقوى ، فالوكالات المتخصصة للمنظمة ، الأفريقية في القارة يمكن أن تحدث أبلغ الأثر .. خذ الأمم المتحدة التي تجمع مواهب العالم باسره تجد أن انجازات اليونسكو والصحة العالمية اقوى واكبر من انجازات الجمعية العامة ، ولو قيل لي اليوم أن امنح كل الأموال للمنظمات المتخصصة وأن أبقى على مكتب صغير في نيويورك لوافقت .. صحيح أن منظمة الأغذية والزراعة الدولية في روما لا تستطيع أن تقاوم كل هذا الجوع الموجود في العالم ، ولكن جهد المنظمة وطواف العاملين في اماكن الجوع يطلعك على الجهد المبذول .

وأنا أسألك بدوري هل سمعت أن منظمة الوحدة الأفريقية معنية بالجوع في أفريقيا ؟ هل سمعت وكالات الصحة معنية بصحة اللاجئين في أفريقيا ؟ علماً بأن لأفريقيا اكبر نصيب من اللاجئين .

واعتقد أن الوكالات المتخصصة في المنظمة الأفريقية هي التي تحتاج لرعاية في هذا الوقت ، أما الأسس السياسية الموضوعة في ميثاق المنظمة فانها تبدو لي على مقدار عجز الانسان المعاصر أو قدرته .

● وكان على موعد مع الطائرة التي تقله إلى باريس ، وانقطع الحوار على أمل أن يستكمل في جلسة قادمة ..



بابكر عيسى



حتى لا تسقط مريضا من العمل

د. عبد المنعم عاشور

ادمان العمل هو أن تظل تعمل وتعمل، وتعجز عن الراحة حتى تسقط مريضا او ميتا .

وادمان العمل ظاهرة مرضية فى غاية الخطورة على الفرد وعلى المجتمع . لأن مدمن العمل يقل انتاجه . ويكثر شقاؤه ، ويقصر عمره .

وكما يعيب اى مجتمع ارتفاع نسبة البطالة فيه ، يعيبه ارتفاع نسبة مدمنى العمل . ولذلك فان الذى يصلح للفرد وللمجتمع ، هو العمل المخطط الذى يراعى الاحتياجات والامكانيات ، ويقوم العمل فيه على اسس علمية ..

والخط الفاصل بين العمل الجاد ، وادمان العمل واضح ودقيق . فالعمل الجاد الصحى ينتهي بحالة من الاشباع النفسى ، يعقبها القدرة على الاسترخاء ، والاستمتاع بالفراغ او اللعب ، أما مدمن العمل فلا يشبع ، وتزداد حاجته الى مزيد من العمل يوما بعد يوم ، ويعجز عن الاستمتاع بالفراغ والراحة ، وتظهر عليه علامات الحرمان من تعاطى العمل إذا اجبرته الظروف على الانقطاع عن العمل .



حتى لا تسقط مريضاً من العمل

د. عبد المنعم عاشـور

ادمان العمل هو أن تظل تعمل وتعمل، وتعجز عن الراحة حتى تسقط مريضا او ميتا .

وادمان العمل ظاهرة مرضية فى غاية الخطورة على الفرد وعلى المجتمع . لأن مدمن العمل يقل انتاجه ، ويكثر شقاؤه ، ويقصر عمره .

وكما يعيب اى مجتمع ارتفاع نسبة البطالة فيه ، يعيبه ارتفاع نسبة مدمنى العمل . ولذلك فان الذى يصلح للفرد وللمجتمع ، هو العمل المخطط الذى يراعى الاحتياجات والامكانيات ، ويقوم العمل فيه على اسس علمية ..

والخط الفاصل بين العمل الجاد ، وادمان العمل واضح ودقيق . فالعمل الجاد الصحى ينتهى بحالة من الاشباع النفسى ، يعقبها القدرة على الاسترخاء ، والاستمتاع بالفراغ او اللعب ، اما مدمن العمل فلا يشبع ، وتزداد حاجته الى مزيد من العمل يوما بعد يوم ، ويعجز عن الاستمتاع بالفراغ والراحة ، وتظهر عليه علامات الحرمان من تعاطى العمل إذا اجبرته الظروف على الانقطاع عن العمل .

هل يشبه الادمان على العمل الادمان على الكحول او المخدر او التدخين ؟ .. نعم الى حد كبير !

ففى جميع حالات الادمان نجد الاستعداد البيولوجى الموروث ، ونجد العوامل النفسية والاجتماعية المكتسبة على حد سواء ..

دوافع العمل

العمل هو الوسيلة الاساسية لاشباع الدوافع المختلفة ، ولذلك يعمل جميع الناس مهما اختلفت دوافعهم .

والمفروض ان العمل ينتهى باشباع الدافع ، فاذا كنت تعمل لكى تاكل وتلبس وتتزوج ، فانك ستعمل حتى تشبع وتكتسى وتقر عينك ..

واذا كنت تعمل لكى ترد عـــدوا فسينتهى عملك بشعورك بالأمان . وهذه امثلة للعمل ، اشباعا للدوافع المخفضة للتوتر ، اى انك تظل متوترا حتى تلبى حاجتك ، فينخفض توترك ويقف سعيك .

وهناك نوع آخر من الدوافع يتلو ذلك، فبعد ان تاكل وتشرب وتامن وتحب ، وينخفض توترك ، تصحو فى نفسك دوافع اخرى تتطلب رفع التوتر ، مثل الدوافع الى الاستكشاف والاستطلاع والعبث بما حولك ..

وهذه الدوافع يشبعها العمل فى مجالات السفر والاختراع والابتكار ، ولا يتوقف العمل هنا حتى تصبح فى حالة عالية من التوتر ..

وهناك نوع ثالث من الدوافع حار العلماء فى فهمه ، فلا هو يخفض التوتر ، ولا هو يرفعه !

فقد لوحظ ان الانسان والحيوان يمارسان نوعا من تنبيه الذات بلا حاجة ظاهرة ، حيث يظل الانسان الكائن يعمل لينبه نفسه ويظل منتبها منتشيا حتى يسقط صريعا او مغشيا عليه .

فهل يمكن ان نفسر سلوك إدمان العمل من هذا المنطلق ؟

وهل يبدا الادمان كسلوك مقصود به تلبية حاجة من الحاجات الثلاث المشار اليها ، وهى تخفيض التوتر ، ورفع التوتر وتنبيه الذات ؟

والاجابة على ذلك صعبة للغاية ، فان مدمن العمل يستمر فى العمل بعد اشباع حاجاته ، تماما وزيادة ، ومدمن العمل يستمر فى العمل حتى ضد حاجاته الأساسية ، فقد يلهيه العمل عن تناول الطعام او ممارسة الحـب ، او حتـى النوم .

تفسير إدمان العمل

ولابد من وجود عامل آخر لتفسير إدمان العمل ..

ففى بعض حالات ادمان العمل يبدو اثر الشخصية المرضية واضحا .

فهناك الشخصية القهرية التى تتسم بالجمود والتصلب والتردد والتكرار ، ويكون التوتر النفسى عاليا بصورة مرضية . ويحتاج الشخص لعمل شيء ما لتخفيض هذا التوتر المتجدد . فيظل يغسل يديه او يراجع حساباته . او يعد نقوده بلا قدرة على التوقف حتى يجهد تماما . وهو غالبا ما يعرف ســـخف ما يفعل ، ولكنه عاجز عن السيطرة على افكاره المريضة .

ومن اصحاب هذه الشخصية القهرية بعض مدمنى العمل ، وهم مدفوعون من الداخل الى العمل لتخفيض نوع من التوتر المرضى لا ينخفض إلا بالعمل وحده .

فتجدهم اشقياء يعانون لانهم يودون لو يستطيعون الراحة ، ويرفضون اى بديل عن العمل لتخفيض التوتر ، ويعانى من يعمل معهم زميلا ، او رئيسا او مرءوسا ، فانهم يحاولون دفع عجلة العمل حولهم لتسير مع معدلهم العالى . ويختلف مستوى الجودة فى ادائهم بطريقة متناقضة ، فهم احيانا ينتجون انتاجا فى قمة الجودة لاهتمامهم بالكمال واحيانا يتعثر انتاجهم لغرقهم فى التفاصيل !

واصحاب هذه الشخصية اكثر من غيرهم تعرضا للاكتئاب ، وهم فى حالات الاكتئاب يكونون اكثر توترا ، ويكونون عاجزين عن العمل ، ولكنهم لا يعترفون ، فلا يلجاو الى الطبيب ولا ياوون الى فراشهم إلا بصعوبة ، ويستعجلون الشفاء حتى يعودوا الى اعمالهم !

وهناك مدمنو عمل هم فى الحقيقة ضحايا لظروف اجتماعية خبيثة ، مثلهم مثل اولئك الذين يعيشون تحت ظروف اجتماعية قاسية لا مهرب منها إلا بالغيبوبة !

العمل حتى الموت

وهناك نوع من اضطراب الشخصية يؤدى الى ادمان العمل ، وهو ما يطلق عليه اجرائيا الشـخصية (الف) ، ولتفسير ذلك اقول :

راقب نفسك او من حولك ، فاذا وجدت شخصا يعمل عملين او ثلاثة فى وقت واحد ، كان ياكل ويقرا ويتحدث فى نفس الوقت ويسير فى الطريق هرولة ، بينما يسير الناس مشيا ، ويدخل فى تنافس مع نفسه بحيث لا يرضى عن اى شيء انجزه ، فهذا هو الشخصية (الف) ..

وهو اكثر الناس تعرضا لمرض شرايين القلب ، وغالبا ما ينقطع ادمانه على العمل بانتقاله الى المستشفى او الموت فجاة وهو على مكتبه !

وهذا النوع من الشخصية منتشر بين المديرين والوزراء وكبار الاطبـــاء والصحفيين .. وهذه الشخصيات مفيدة للمجتمع لو احسنت رعايتها ، ولكنها لو

هل يشبه الادمان على العمل الادمان على الكحول او المخدر او التدخين ؟ .. نعم الى حد كبير !

ففى جميع حالات الادمان نجد الاستعداد البيولوجى الموروث ، ونجد العوامل النفسية والاجتماعية المكتسبة على حد سواء ..

دوافع العمل

العمل هو الوسيلة الأساسية لاشباع الدوافع المختلفة ، ولذلك يعمل جميع الناس مهما اختلفت دوافعهم .

والمفروض ان العمل ينتهى باشباع الدافع ، فاذا كنت تعمل لكى تأكل وتلبس وتتزوج ، فانك ستعمل حتى تشبع وتكتسى وتقر عينك ..

واذا كنت تعمل لكى ترد عـــدوا فسينتهى عملك بشعورك بالأمان . وهذه امثلة للعمل ، اشباعا للدوافع المخفضة للتوتر ، اى انك تظل متوترا حتى تلبى حاجتك ، فينخفض توترك ويقف سعيك .

وهناك نوع اخر من الدوافع يتلو ذلك، فبعد ان تأكل وتشرب وتأمن وتحب ، وينخفض توترك ، تصحو فى نفسك دوافع اخرى تتطلب رفع التوتر ، مثل الدوافع الى الاستكشاف والاستطلاع والعبث بما حولك ..

وهذه الدوافع يشبعها العمل فى مجالات السفر والاختراع والابتكار ، ولا يتوقف العمل هنا حتى تصبح فى حالة عالية من التوتر ..

وهناك نوع ثالث من الدوافع حار العلماء فى فهمه . فلا هو يخفض التوتر . ولا هو يرفعه !

فقد لوحظ ان الانسان والحيوان يمارسان نوعا من تنبيه الذات بلا حاجة ظاهرة ، حيث يظل الانسان الكائن يعمل لينبه نفسه ويظل منتبها منتشيا حتى يسقط صريعا او مغشيا عليه .

فهل يمكن ان نفسر سلوك إدمان العمل من هذا المنطلق ؟

وهل يبدا الادمان كسلوك مقصود به تلبية حاجة من الحاجات الثلاث المشار اليها ، وهى تخفيض التوتر ، ورفع التوتر وتنبيه الذات ؟

والاجابة على ذلك صعبة للغاية ، فان مدمن العمل يستمر فى العمل بعد اشباع حاجاته . تماما وزيادة ، ومدمن العمل يستمر فى العمل حتى ضد حاجاته الأساسية ، فقد يلهيه العمل عن تناول الطعام او ممارسة الحـــب ، او حتـــى النوم .

تفسير ادمان العمل

ولابد من وجود عامل اخر لتفسير إدمان العمل ..

ففى بعض حالات ادمان العمل يبدو اثر الشخصية المرضية واضحا .

فهناك الشخصية القهرية التى تتسم بالجمود والتصلب والتردد والتكرار ، ويكون التوتر النفسى عاليا بصورة مرضية . ويحتاج الشخص لعمل شىء ما لتخفيض هذا التوتر المتجدد ، فيظل يغسل يديه او يراجع حساباته . او يعد نقوده بلا قدرة على التوقف حتى يجهد تماما . وهو غالبا ما يعرف ســـخف ما يفعل ، ولكنه عاجز عن السيطرة على افكاره المريضة .

ومن اصحاب هذه الشخصية القهرية بعض مدمنى العمل ، وهم مدفوعون من الداخل الى العمل لتخفيض نوع من التوتر المرضى لا ينخفض إلا بالعمل وحده .

فتجدهم اشقياء يعانون لانهم يودون لو يستطيعون الراحة ، ويرفضون اى بديل عن العمل لتخفيض التوتر ، ويعانى من يعمل معهم زميلا ، او رئيسا او مرءوسا ، فانهم يحاولون دفع عجلة العمل حولهم لتسير مع معدلهم العالى . ويختلف مستوى الجودة فى ادائهم بطريقة متناقضة ، فهم احيانا ينتجون انتاجا فى قمة الجودة لاهتمامهم بالكمال واحيانا يتعثر انتاجهم لغرقهم فى التفاصيل !

واصحاب هذه الشخصية اكثر من غيرهم تعرضا للاكتئاب ، وهم فى حالات الاكتئاب يكونون اكثر توترا ، ويكونون عاجزين عن العمل ، ولكنهم لا يعترفون ، فلا يلجاو الى الطبيب ولا يأوون الى فراشهم الا بصعوبة ، ويستعجلون الشفاء حتى يعودوا الى أعمالهم !

وهناك مدمنو عمل هم فى الحقيقة ضحايا لظروف اجتماعية خبيثة ، مثلهم مثل اولئك الذين يعيشون تحت ظروف اجتماعية قاسية لا مهرب منها إلا بالغيبوبة !

العمل حتى الموت

وهناك نوع من اضطراب الشخصية يؤدى الى ادمان العمل ، وهو ما يطلق عليه اجرائيا الشـــخصية (الف) ، ولتفسير ذلك أقول :

راقب نفسك او من حولك ، فاذا وجدت شخصا يعمل عملين او ثلاثة فى وقت واحد ، كان يأكل ويقرأ ويتحدث فى نفس الوقت ويسير فى الطريق هرولة ، بينما يسير الناس مشيا ، ويدخل فى تنافس مع نفسه بحيث لا يرضى عن اى شىء انجزه ، فهذا هو الشخصية (الف) .. وهو اكثر الناس تعرضا لمرض شرايين القلب ، وغالبا ما ينقطع ادمانه على العمل بانتقاله الى المستشفى او الموت فجاة وهو على مكتبه !

وهذا النوع من الشخصية منتشر بين المديرين والوزراء وكبار الاطبــــاء والصحفيين .. وهذه الشخصيات مفيدة للمجتمع لو احسنت رعايتها ، ولكنها لو



حتى لا تسقط
مريضا من العمل

تركت لادمانها للعمل تقطف زهورها قبل الأوان ، ويقل اسهامها فى خدمة المجتمع.

وقد بدأت المؤسسات فى الدول المتقدمة تنتبه الى هذه المشكلة ، وقامت بعمل برامج لمواجهتها ، فهم يدرسون شخصية العاملين ويفرزون أصحاب الشخصية «أ» ويخضعونهم لبرامج رعاية صحية وترويحية منظمة باعتبارهم ثروة قومية .

نماذج لادمان العمل

ومنها الرجل الذى يعمل باستمرار حتى لا يعود الى المنزل إلا وقد نامت زوجته المشاكسة ، فضا للاشتباك !

ومن امثلة ذلك المرأة ذات العجز العاطفى ، التى تعمل باستمرار هربا من عواطفها .

وهناك أنواع من الأعمال خائنة ومخادعة ، توهمك بانها تشبع حاجاتك ، وهى فى الحقيقة تطعمك وهما ، وتسقيك سرابا ، فتظل تعمل وتعمل ، ولا خيار لك ، وقد لا تكتشف ذلك قبل أن تصبح مدمنا . ومن أمثلتها الفن والأدب .

وهناك مجتمعات يختل فيها ميزان الأخذ والعطاء ، فنجد اناسا بلا عمل ، ويظل أناس يعملون ، وكأن حظهم فى الحياة هو العمل فقط ، ويصبح ادمانهم للعمل هو الغيبوبة التى يهربون اليها .

حول العلاج الناجح

وإذا تساءلنا .. وماذا عن العلاج ؟ وللاجابة على ذلك نقول ، إن كل حالة ادمان عمل تحتاج الى دراسة كاملة لبيان العوامل المختلفة لبداية حالة الادمان ، والتى دفعت بالادمان الى الاستمرار ، وقد تحتاج بعض الحالات الى علاج نفسى واجتماعى متخصص .

ولكننا ندعو الى زيادة الوعى بالمشكلة ، فقد تكتشف فى نفسك اصابة بادمان العمل ، أو تكتشفها فيمن حولك .

وكما سبق أن اشرنا فان مدمن العمل قد يكون على دراية وبصيرة بحالته ، فيطلب العلاج ، أو على الاقل يتعاون إذا قدم اليه النصح . وقد يكون فاقد البصيرة تماما ، عاجزا عن تقدير خطورة حالته ، ولا يقبل المساعدة .

وفى جميع الأحوال يتحتم على الطبيب المعالج أن يراقب الحالة جيدا ، فقد يكون ادمان العمل مقترنا بأمراض نفسية أخرى ، أو يخفى تحته أمراضا أخرى !

ونظرا لتلك النهضة التى يشهدها عالمنا العربى فى علم الادارة فاننا نطمح أن يدرج ادمان العمل ضمن مشاكل العاملين الصحية ، ونحن فى حاجة الى مزيد من البحث العلمى للوقوف على أسرار هذه المشكلة الخطيرة ، فان كثيرا من علمائنا ووزرائنا ومفكرينا يسقطون صرعى لادمانهم العمل ، ونحن لازلنا أمة فقيرة ، نحتاج الى هذا النوع من الرجال، والذين يحتاج الأمر لسنوات طويلة لاعدادهم وتجهيزهم لكى يعطوا لأمتهم من فكرهم وعملهم .

إن عدم اهتمامنا بمشاكلهم الصحية والنفسية ، ومن ضمنها ادمان العمل ، هو من أسباب هجرة البعض منهم الى البلاد المتقدمة ، حيث يعتنى بالانسان قبل الآلة !

أما عزائى لمدمنى العمل فى العالم العربى المعاصر ، فهو اننى واحد منهم ، ولكننى نجحت فى أن استرخى اليوم بلا عمل ، لأكتب هذا المقال !

د. عبد المنعم عاشور

دعانى من هو خير منك !

حج الحجاج فنزل ببعض المياه ودعا بالغداء ، فقال لحاجبه : انظر من يتغدى معى واساله عن بعض الأمر ، فنظر الحاجب فاذا هو باعرابى نائم فضربه برجله وقال : ائت الأمير ، فاتاه فقال له الحجاج : اغسل يدك وتغد معى . قال إنه دعانى من هو خير منك فاجبته ، فقال الحجاج من الذى دعاك ! قال : الله تعالى دعانى للصوم فصمت قال : فى هذا اليوم الحار . قال : نعم ، صمت ليوم احر منه ، قال : فافطر وتصوم غدا ، قال : إن ضمنت لى البقاء إلى الغد ! قال : ليس ذلك إلى . قال : فكيف تسالنى عاجلا باجل لاتقدر عليه ؟ قال : إنه طعام طيب . قال : إنك لم تطيبه ولا الخباز ، ولكن طيبته العافية !

من قصص العرب



حتى لا تسقط

مريضا من العمل

تركت لادمانها للعمل تقطف زهورها قبل الأوان ، ويقل اسهامها فى خدمة المجتمع.

وقد بدأت المؤسسات فى الدول المتقدمة تنتبه الى هذه المشكلة ، وقامت بعمل برامج لمواجهتها ، فهم يدرسون شخصية العاملين ويفرزون أصحاب الشخصية «أ» ويخضعونهم لبرامج رعاية صحية وترويحية منظمة باعتبارهم ثروة قومية .

نماذج لادمان العمل

ومنها الرجل الذى يعمل باستمرار حتى لا يعود الى المنزل إلا وقد نامت زوجته المشاكسة ، فضاً للاشتباك !

ومن أمثلة ذلك المرأة ذات العجز العاطفى ، التى تعمل باستمرار هرباً من عواطفها .

وهناك أنواع من الأعمال خائنة ومخادعة ، توهمك بانها تشبع حاجاتك ، وهى فى الحقيقة تطعمك وهماً ، وتسقيك سراباً ، فتظل تعمل وتعمل ، ولا خيار لك ، وقد لا تكتشف ذلك قبل أن تصبح مدمناً ، ومن أمثلتها الفن والأدب .

وهناك مجتمعات يختل فيها ميزان الأخذ والعطاء ، فنجد أناساً بلا عمل ، ويظل أناس يعملون ، وكأن حظهم فى الحياة هو العمل فقط ، ويصبح ادمانهم للعمل هو الغيبوبة التى يهربون اليها .

حول العلاج الناجح

وإذا تساءلنا .. وماذا عن العلاج ؟ وللاجابة على ذلك نقول ، إن كل حالة ادمان عمل تحتاج الى دراسة كاملة لبيان العوامل المختلفة لبداية حالة الادمان ، والتى دفعت بالادمان الى الاستمرار ، وقد تحتاج بعض الحالات الى علاج نفسى واجتماعى متخصص .

ولكننا ندعو الى زيادة الوعى بالمشكلة ، فقد تكتشف فى نفسك اصابة بادمان العمل ، أو تكتشفها فيمن حولك .

وكما سبق أن أشرنا فان مدمن العمل قد يكون على دراية وبصيرة بحالته ، فيطلب العلاج ، أو على الاقل يتعاون إذا قدم اليه النصح . وقد يكون فاقد البصيرة تماما ، عاجزا عن تقدير خطورة حالته ، ولا يقبل المساعدة .

وفى جميع الاحوال يتحتم على الطبيب المعالج ان يراقب الحالة جيداً ، فقد يكون ادمان العمل مقترناً بأمراض نفسية أخرى ، أو يخفى تحته أمراضاً أخرى !

ونظراً لتلك النهضة التى يشهدها عالمنا العربى فى علم الادارة فاننا نطمح أن يدرج ادمان العمل ضمن مشاكل العاملين الصحية ، ونحن فى حاجة الى مزيد من البحث العلمى للوقوف على أسرار هذه المشكلة الخطيرة ، فان كثيراً من علمائنا ووزرائنا ومفكرينا يسقطون صرعى لادمانهم العمل ، ونحن لازلنا أمة فقيرة ، نحتاج الى هذا النوع من الرجال ، والذين يحتاج الأمر لسنوات طويلة لاعدادهم وتجهيزهم لكى يعطوا لأمتهم من فكرهم وعملهم .

إن عدم اهتمامنا بمشاكلهم الصحية والنفسية ، ومن ضمنها ادمان العمل ، هو من أسباب هجرة البعض منهم الى البلاد المتقدمة ، حيث يعتنى بالانسان قبل الآلة !

أما عزائى لمدمنى العمل فى العالم العربى المعاصر ، فهو اننى واحد منهم ، ولكننى نجحت فى أن استرخى اليوم بلا عمل ، لأكتب هذا المقال !

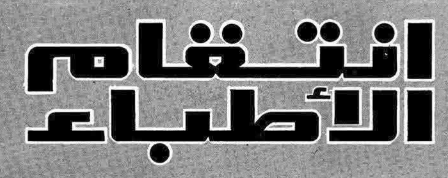
د. عبد المنعم عاشور

دعانى من هو خير منك !

حج الحجاج فنزل ببعض المياه ودعا بالغداء ، فقال لحاجبه : انظر من يتغدى معى واسأله عن بعض الأمر ، فنظر الحاجب فاذا هو باعرابى نائم فضربه برجله وقال : ائت الأمير . فاتاه فقال له الحجاج : اغسل يدك وتغد معى . قال إنه دعانى من هو خير منك فاجبته ، فقال الحجاج من الذى دعاك ! قال : الله تعالى دعانى للصوم فصمت قال : فى هذا اليوم الحار . قال : نعم ، صمت ليوم احر منه ، قال : فافطر وتصوم غداً ، قال : إن ضمنت لى البقاء إلى الغد ! قال : ليس ذلك إلى . قال : فكيف تسألنى عاجلا باجل لاتقدر عليه ؟ قال : إنه طعام طيب . قال : إنك لم تطيبه ولا الخباز ، ولكن طيبته العافية !

من قصص العرب

د. عبد السلام العجيلي



كانا صديقين للطبيب ، ومدعوين الى الغداء على مائدته . إلا أن هذا وذاك لم يمنعاهما من أن يجعلا حديثهما المتبادل مع مضيفهما ، فى انتظار تهيئة مائدة الطعام ، تهكماً لاذعاً على الطب ، مهنة هذا المضيف ، ونقداً ساخراً على الأطباء زملائه . سأله أولهما ، وهو مدير لاحدى مؤسسات القطاع العام ، دأبه التنقل بين العاصمة وبلدان أوروبا المختلفة فى شئون مؤسسته :

ـ هل تعرف اكسيل مونتى ؟

أجاب الطبيب : ليس هذا الاسم غريباً علي . هل هو مغن ؟

فضحك المدير ، وقال : بل هو زميل لك يا دكتور . أنا كذلك لم أكن أعرفه ، ولكن لا احد يلومنى على هذا . عرفته فقط منذ أسابيع قليلة حين اشتريت أحد كتبه من محطة سان لازار فى باريس وأنا فى طريقى من تلك المدينة الى المانيا . نعم أحد كتبه ... فهو طبيب حقاً ولكنه فى الوقت نفسه كاتب .

قال الطبيب : الآن تذكرت . أكسيل مونتى ... طبيب سويدى عاش فى فرنسا فى أوائل هذا القرن ...

قال المدير : صحيح . عاش فى فرنسا وفى انكلترا وفى السويد ، وفى جزيرة كابرى فى ايطاليا بصورة خاصة . ليس المهم هذا . المهم ان كتابه أعجبنى حتى انى لم أشعر بطول المسافة التى قطعها بى القطار بين باريس وبون . وأعجبنى هو حين صدق حكمى على الأطباء فاعترف بانهم ليسوا كما يتظاهرون تجرداً ونزاهة ، وسمواً على الشهوات ، فى ممارسة مهنتهم .. فهم لا يتورعون عن تسخير ما تتيحه لهم هذه المهنة من مميزات فى قضاء مآربهم التى هى ليست دوماً فوق الشبهات .

قال الطبيب : وهل يقـــول زميلى السويدى كل هذا فى كتابه ؟

قال المدير : خذ منى ، مختصرة ، هذه الحكاية التى يرويها هو بنفسه عن نفسه . احدى المترددات على عيادته فى باريس كونتيس جميلة وشابة زوجة كونت ثرى وكهل . كانت تلك الكونتيس مريضة بالوهم ، فكسب رضاها بان صدق لها أوهامها وقال لها بانه على خلاف الأطباء الآخرين الذين كانوا يصفون شكاويها بأنها شكاوى متخيلة ، قال لها انها مريضة حقاً وانها مصابة بالكوليت . والكوليت ، أو التهاب الكولون ، كان الداء الموضة فى تلك الأيام . أصبح اكسيل مونتى بهذا موضع ثقة الكونتيس ثم صديقاً للكونت ، حتى انهما دعواه الى قضاء اجازته الصيفية فى قصرهما الريفى خارج باريس . ومما أورده ذلك الطبيب الأديب فى صفحات كتابه ندرك أن ما أغراه بقبول تلك الدعوة لم يكن غرامه بريف فرنسا بل تعلقه بمريضته الفاتنة الحسن ، التى غرست فيها كهولة زوجها وانشغاله بادارة أملاكه الواسعة تلك الأمراض الوهمية . ربما وجدت يا عزيزى لزميلك عذراً فى ايهامـــــه الكونتيس بأنها مصابة بالكوليت ، بأن تقول ان هذه طريقة ناجعة لمداواة المرضى بالوهم . وربما وجدت له عذره كذلك فى افتتانه بجمال تلك الامرأة بأن تقول ان الاطباء بشر لهم عيونهم التى ترى وقلوبهم التى تخفق . ولكن ماذا تقول فى تصرفات زميلك فى أثناء اقامته فى قصر الكونت خلال تلك الاجازة ؟

فتساءل الطبيب : وما هى تلك التصرفات ؟ أنا لم اقرأ كتاب أكسيل مونتى الذى تتحدث عنه ...

قال المدير : إذن فأنا اخبرك . بينما كان صاحبنا مستمتعاً بنزهاته المسائية تحت ضياء القمر فى حدائق القصر وفى صحبة الكونتيس الجميلة ، جاء من يفسد عليه نزهاته وخلواته . كان القادم ضابط شاب ، يختال فى بزته العسكرية ويتشدق مفتخراً بمهارته فى الرماية وبأنه قادر على اصابة عين عصفور بمسدسه من بعد خمسين متراً . ذلك هو الفيكونت موريس احد أقرباء الكونتيس وأحد المتيمين بجمالها والطامعين بنيل

انتقام الأطباء

الحظوة منها . افسد هذا الضابط النبيل الوسيم بمجيئه اجازة طبيبنا العاشق واثار غيرته ، فماذا تراه يفعل ؟ هداه تفكيره الى ان يستغل حرص الفيكونت على صحته فيوهمه ، كذلك ، بانه مصاب بهذا الداء الارستقراطى .. الكوليت ! وكان زميلك من الذكاء بانه لم يتول بنفسه ايهام غريمه بهذا ، بل انه اوحى بذلك الى طبيب العائلة الريفى الذى سره ان يكتشف فى ريفه النائى إصابة بهذا الداء الذى لايصيب إلا عليه القوم فى باريس العاصمة ...

ابتسم الطبيب لما سمعه من المدير وقال : زميل ماكر ولا شك .. انى احيى ذكراه بكل تقدير ...

تابع المدير قائلا : ولو تعرف اية معالجة فرضها الطبيب الريفى ، باشارة من اكسيل مونتى بالطبع ، على الضابط المسكين ! كان هذا المسكين يتهيا لدخول مباراة فى الرماية واثقا من انه سيخرج منها بلقب الرامى فى الجيش ذلك العام . إلا ان الطبيبين فرضا عليه ملازمة الفراش لثلاثة ايام متتالية ، وعلى راسه كيس ثلج وعلى بطنه لصقة خردل ملتهبة . وحين اراد الفيكونت ان ينهض من فراشه بعد انتهاء الأيام الثلاثة ، وفى يوم المباراة ، اوحى اكسيل مونتى الى الطبيب الريفى ان يمنعه بشدة من ذلك ، وان يلزمه سريره اياما ثلاثة اخرى يبدل فيها المعالجة بان يضع لصقة الخردل الملتهبة على الراس وكيس الثلج على البطن ...

وهنا لم يملك الطبيب نفسه عن الضحك ، متصورا الفيكونت المسكين تطبق عليه هذه المعالجة التى لم ترد فى اى مرجع طبى . واضاف المدير :

ـ بالطبع انت تضحك ، احسبنى دللتك الى طريقة جديدة للانتقام من غرمائك ، او من العذال الذين يحاولون التلصص على مشاكلك العاطفية ، وتقولون انكم اقسمتم قسم ابقراط على انكم لا تمدون ابصاركم الى نساء البيوت التى تدخلونها كمعالجين ، ولا تستخدمون فنكم فى تحقيق غاياتكم المادية ومصالحكم الشخصية ! ... كلكم فى الهوا سوا يا معاشر الدكاترة ...

وهنا تدخل فى الحديث الصديق الاخر ، وهو مدرس ادب متقاعد ، انصرف منذ تركه وظيفته الى قراءة الكتب العربية القديمة ، الكتب الصفر كما يسمونها ، مشتركا فى تحقيق بعض مخطوطاتها . قال مخاطبا المدير :

ـ انا معك فى ان كل سادتنا الدكاترة فى الهوا ، او فى الهوى سوا . عندى مصداق على ذلك حكاية طبيب اخر ، هو جبرائيل بن بختيشوع .

قال المدير متسائلا : الدكتور جبرائيل هذا من يكون ؟ لم اسمع باسمه قبل الآن .

قال الطبيب وقد وجدها فرصة للتندر على صديقه المدير : غريب ان لا تكون تعرفه ، انه طبيب كبير الشهرة ، المرتلق به فى اسفارك الكثيرة بين عواصم الدنيا ؟

فتابع المدرس المتقاعد كلامه متجاهلا تندر مضيفهما ، قال : انه طبيب قديم ، عاش منذ الف ومائتى عام ، ايام بنى العباس ، له حكاية رواها ابن ابى اصيبعة فى كتابه طبقات الاطباء ، تبين قدر ما عليه اخواننا الاطباء الكرام ، منذ القدم ، من حسن استغلال مهنتهم الشريفة لاغراضهم الدنيوية .. ولا اقول الدنيئة .

تساءل المدير فى لهفة : بديع .. ما هى حكاية الدكتور جبرائيل يا استاذنا ؟

قال المدرس : الحكاية ، إذا لم اكن نسيتها ، هى ...

فقاطعه الطبيب قائلا : اصبر ، كتاب طبقات الاطباء موجود عندى . انه مجلد كبير ومذهب . اعترف لك باننى لم اقراه ، ولكنه زينة حسنة لمكتبتى .

فقال المدرس متمثلا :

وفى طاقاتــــه كتــب كبـــــار
منضـــــدة ، ولكــــن ما قراهـــا ...

ثم اضاف : إذا كان ذلك ، فاعمل معروفا وناولنى هذا المجلد لاقرا عليكما الحكاية بنصها ...

فتوجه الطبيب الى مكتبته ، وكانت



فى صدر البهو حيث كانوا يجلسون ، وعاد يحمل الكتاب المجلد وهو يقول :

ـ عيون الانباء فى طبقات الأطباء .. ابن ابى اصيبعة . هذا هو. لا باس ان اعرف ما فعله زملائى السالفون فى باب الانتقام من الأخصام .

فتناول المدرس المتقاعد المجلد واخذ يقلبه الى ان وقف عند صفحة بعينها ، واخذ يقرا لصاحبيه ما جاء فيها وفى ما يليها :

«جبرائيل بن بختيشوع بن جورجس كان مشهورا بالفضل ، جيد التصرف فى المداواة عالى الهمة ، سعيد الجد ، حظيا عند الخلفاء ، رفيع المنزلة عندهم ، وهم كثيرو الاحسان اليه . وحصل من جهتهم من الأموال ما لم يحصله غيره من الأطباء .. ومن حكاياته معهم ما رواه فرخ الخادم المعروف بابى خراسان مولى



رسوم: علي دياب

صالح بن الرشيد . قال كان مولاى صالح ابن الرشيد واليا على البصرة ، وكان عامله عليها ، اى وكيله ، ابو الرازى ، فلما احدث جبرائيل بن بختيشوع عمارة داره التى فى الميدان طلب من مولاى صالح ان يهدى له خمسمائة ساجة ، وهى الخشبة الطويلة المربعة التى تجلب من الهند . وكانت الساجة بثلاثة عشر دينارا . فاستكثر مولاى ذلك وقال لجبرائيل : اما خمسمائة فلا ، ولكنى أكتب الى ابن الرازى كى يحمل اليك مائتى ساجة . قال جبرائيل : إذن فلا حاجة بىْ اليها . قال فرخ : فقلت لسيدى ارى ان جبرائيل قد تكدر منك وسيدبر عليك تدبيرا بغيضا . فاجابنى بقوله : جبرائيل أهون علي من كل هين ، لأنى لا اشرب له دواء ولا اقبل منه علاجا . وحدث بعض هذا ان مولاى صالح بن الرشيد دعا اخاه أمير المؤمنين المامون الى زيارته ، وتهيا لهذه الزيارة بكل ما هو اهل لدعوة الخليفة . وتكلف لذلك بنفقة كبيرة وعناية فائقة فلما استوى المجلس فى تلك الدعوة بالمامون قال جبرائيل ، وكان لا يفارق الخليفة الذى لم يكن يتناول طعاما إلا بموافقته : يا أمير المؤمنين ارى وجهك متغيرا . ثم قام اليه فجس عرقه ، وقال له : يشرب أميـــر المؤمنين شربة سكنجبين ، ويؤخر الغداء حتى يفهم الخبر . ففعل المامون ما أشار به الطبيب ، وتوقف الخدم عن تهيئة موائد الغداء ، وراح جبرائيل يجس عرق الخليفة فى الوقت بعد الوقت ، وأشار الى غلمانه . فلم يشعر صالح بن الرشيد إلا وقد دخل غلمان جبرائيل ومعهـم رغيف واحد والوان طعام اتخذت من قرع وماش وما اشبه ذلك . وقال للمامون: إنى اكره لأمير المؤمنين ان ياكل فى يومه هذا شيئا من لحوم الحيوان ، فلياكل من هذه الالوان . فاكل منها ونام القيلولة . فلما انتبه من قائلته قال له جبرائيل : يا امير المؤمنين ، رائحة النبيذ تزيد فى الحرارة ، والرأى لك الانصراف من هنا . فانصرف المامون ولم يذق لقمة من طعام الوليمة ولا شرب شربة من نبيذها ، وتلفت نفقة مولاى صالح كلها ، وامتلأ بانصراف المامون من داره على هذه الحال غيظا وكمدا . وحين ذهب الخليفة التفت الى . وقد ادرك ما الذى جعل جبرائيل بن بختيشوع يفعل فعلته ، وقال لي : يا ابا خراسان ، الصحيح ان التمييز بين مائتى ساجة وخمسمائة ساجة واستزارة الخليفة لا يجتمعان ...

اطبق المدرس المتقاعد الكتاب عند

انتهاء هذه الحكاية وقال :

ـ أليست قصة تشبه قصة زميلك السويدى التى رواها لنا أخونا المدير ؟ لا فرق بين هذا وذاك إلا فى أن السويدى استغل طبه فى مأرب قلبه ، بينما استغله الطبيب العباسى فى مأرب جيبه ...

قال المدير : ما أظنهم يتورعون عن استغلال فنهم الانسانى بطريقة شيطانية فى اى ناحية من نواحى الحياة . فى السياسة مثلا .. اننا نراهم فى هذا العصر يتصدرون الواجهات السياسية فى كل مكان ، رؤساء للجمهوريات مرات وللوزارات مرات اخرى .. بدءاً من كليمنصو وانتهاء بهؤلاء الأطباء الوزراء الذين تغص بهم حكومات العالم الثالث . يعلم الله أى العقاقير المخدرة ، أو المهيجة ، قد استخدموها حتى وصلوا الى هذه المناصب ...

هنا ضحك الطبيب وهو يقول : أنتم اثنان وانا وحدى ، فكيف لى أن أقدر عليكما ؟ مادمتما قد تكلمتما عن السياسة فانى اذكر ان مشادة قد جرت فى المانيا القيصرية بين بسمارك ، مستشار بروسيا الحديدى ، وروبرت كوخ العالم الجراثيمى المشهور . أثارت هذه المشادة بسمارك الى درجة جعلته يرسل الى كوخ شاهديه طالباً اياه للمبارزة . لم يرتع كوخ ، وهو الطبيب البعيد عن أجواء القتال ، من هذا الطلب وقال للشاهدين : ان سعادة المستشار يطلبنى للمبارزة واختيار السلاح الذى نتبارز به يكون فى هذه الحالة من حقى ... حسناً .. قولا له انى اختار سلاحاً للمبارزة قطعتين من السجق موجودتين الآن أمامى .. انهما متشابهتان فى المنظر ، إلا أن احديهما سليمة والثانية محشوة بسم النقانق التى تفرزه عصيات التعفن والمميت موتاً سريعاً .. فليختر هو احدى القطعتين وليترك لى الثانية ، والذى تكون القطعة المبوءة من نصيبه يكون الخاسر فى المبارزة ...

قال المدرس : يا لها من طريقة مبتكرة فى البراز . وماذا جرى بعد هذا ؟

قال الطبيب : لم يجر شىء ذو بال . ضحك بسمارك حين نقل له الشاهدان هذا الكلام وتنازل عن دعوته ، موقناً أن

انتقام الأطباء

الأطباء أخصام ليس من السهل الدخول معهم فى امتحان .

قال المدير : تماماً كما أيقن قبله صالح ابن الرشيد وأيقن مثله ذلك الضابط غريم أكسيل مونتى . كأنك انت تريد أن تقول لنا هذا . آمنا يا سيدى . ولكننا نريدك أن تصدقنا القول .. ان شهوة الانتقام احساس لا يخلو منه انسان ، ترى الم تستخدم أنت طبك فى موقف انتقامى مثل هذه المواقف التى تحدثنا عنها ؟

● ●

سكت الطبيب برهة ، مفكراً فى جواب هذا السؤال ، ثم قال :

ـ الصحيح ان شهوة الانتقام ، كما يقول سيدنا المدير ، احساس لا يخلو منه انسان . فى مرات كثيرة اشتهيت أن أغرس الابرة التى استخدمها فى مداواة مرضاى فى قلب احدهم ، بدلا من غرسها فى اليته أو فى وريده .. لأن احدهم ذاك كان انساناً وضيعاً ومؤذياً ، أو خائناً مجرماً ، أو ... او ... ولكن بين ان تشتهى أمراً وأن تفعل ذلك الأمر فارق كبير .

قال المدير : أخونا الدكتور يريد اقناعنا بأنه ملاك مبرأ من العيوب .

فقال الطبيب : الذى أريد أن أقوله انى ما استطعت يوماً أن أستخدم طبى لانتقم من أعدائى .. لا اسميهم أعداء ، فأنا فى الواقع لا أجد احداً يستحق أن أعتبره عدواً لى .

قال الاستاذ : ما هذا التواضع يا عزيزى ؟!

تابع الطبيب كلامه ، متجاهلا السخرية التى نطق بها الأستاذ المتقاعد جملته : لست ملاكاً مبرأ من العيوب . إلا انى إذا أردت الانتقام ممن يستحقه فانى لا أعدم سلاحاً ، غير سلاح الطب ، استخدمه فى انتقامى .

فتساءل المدير قائلا : مثلا ؟

تردد الطبيب فى الجواب كمن يبحث عنه فى ذاكرته ، أو كأنه يريد اختيار واقعة بين وقائع كثيرة . ومالبث أن ابتسم وقال :

ـ خذ هذه مثلا . كنت فى دعوة غداء عند اسرة صديقة لى ، فى مدينة غير هذه المدينة . الأسرة أب وأم وبنتان ، كبراهما فى الثامنة عشرة تتالق صباً وجمالا وتطفر حبوراً لمناسبة لم أعرفها من الأسرة بل اطلعت عليها قبل زيارتى لها . فمنذ قليل عقدت خطبة تلك الفتاة على شاب من عمرها ، من أسرة ميسورة الحال ، وينتظره مستقبل باهر . أثناء الغداء انتهى بنا حديث المائدة ، كما هو المألوف فى أيامنا ، الى السياسة ، ومن السياسة الى محورها فى شرقنا العربى ، أعنى القضية الفلسطينية . واندفعنا ، أنا والأب رب البيت ، فى غمرة التساؤلات والتعليقات والتفسيرات عما يصنعه العرب وما يلاقونه فى نزاعهم مع اسرائيل وجهودهم للقضاء على وجودها السرطانى . وفجأة تدخلت البنت الكبرى فى حديثنا لتقول : ولماذا هذه الأنانية منكم ؟ .. لماذا لا تعطون اليهود هذه الأرض التى يطالبون بها فتستريحون وتريحون ؟

قال المدير مستفهما : أكانت الفتاة تقول هذا جادة ؟

أجاب الطبيب : كل الجد .

فسأل الأستاذ المتقاعد ، وقد بدت عليه ملامح الاستنكار : وماذا كان موقف أبيها من ذلك الكلام ؟

هز الطبيب كتفيه قبل أن يقول : انت لا تعرف تلك الأسرة . الأب ، على أنه من جيلنا ومن وسطنا مؤمن بوطنه وقوميته ، لم يكن يجد من حقه أن ينكر على ابنته ، ربيبة المدارس الأجنبية والجو الغربى ، حريتها فى أرائها . أما الأم فكانت تتطلع الى ابنتها بعينين حادبتين كالمعجبة بجرأتها على المساس بما لا يمس ...

قال الأستاذ المتقاعد : لو كنت أنا لرفضت أن تدخل لقمة من طعام تلك الأسرة الى جوفى .. إذن لوضعت الشوكة والسكين على المائدة وغادرت المنزل فوراً ...

فقال الطبيب وهو يبتسم : لم يكن هذا وارداً فى تلك اللحظة . الصحيح أنى امتلأت حنقاً من كلام تلك الصبية المدللة الطافرة هناء ، إلا أنى ضبطت أعصابى

مفكراً بالطريقة التى أشفى بها غيظى منها . وجاءت الطريقة حين أديرت القهوة فى نهاية الغداء . سألتنى الأم وهى ترمق ابنتها بطرف عينها : ألا تعرف شيئاً من التبصير فى الفناجين يا دكتور ؟ قلت دون تردد : وكيف لا ؟ هاتى فنجانك لأرى حظك فيه ...

فقاطعه الأستاذ المتقاعد سائلا : وهل تعرف حقاً قراءة الحظ فى الفنجان ؟ هذه مزية جديدة لم نعرفها لك قبلا .

قال الطبيب : اصبر علي . حين قلت هذا تنهدت الأم وقالت : حظى أعرفه جيداً مع هذا الرجل الطيب ، وأشارت الى زوجها ، ولكنى احب .. وأشارت الى فنجان ابنتها . علمت ما الذى تقصده فتناولت فنجان الفتاة الكبرى ورحت اقرأ ، فى بقع القهوة الراكدة فى عقبه ، حظها ...

وهنا تنحنح المدير كمن يريد أن يعلق بشىء ، إلا أن الطبيب استمهله باشارة من يده وتابع يقول :

ـ الواقع انى قرأت لها الحظ الذى كنت أتمناه لها بعد أن جرحتنى بتساؤلها المستنكر حول حق اليهود المزعوم فى اغتصاب جزء من وطننا الغالى . قلبت الفنجان فى يدى مطولا متظاهراً بالتمعن فى دراسة الأشكال التى رسمها الطحل فى عقبه ، ثم بدأت الحديث بالكلام عن طباع الفتاة وخصالها بلهجة ثناء ملأتها زهواً وجعلتها تطمئن الى أقوالى وتثق بها . كان ذلك مدخلا توقفت بعده قليلا لازداد تملياً فى عقب الفنجان ثم لأغير لهجتى من الطلاقة الى التردد وأنا أقول : لكن ... لكن يا حسرة ! صاحت الأم عند ذلك متوجسة ، بينما ابتسامة الغبطة على شفتى بنتها : يا حسرة على ماذا ؟!

تظاهرت من جديد بالتردد فى البوح بما تسره لي بقع الطحل فى الفنجان ، ثم انطلقت أتحدث عن مستقبل غير سار ، تبينته فى تلك البقع ، للفتاة التى يجب أن تكون السعادة من نصيبها لولا أن تغيراً قريباً فى حياتها سيجلب لها التعاسة . ومن دون أن ألفظ كلمة الخطبة أو العرس أو الزواج . كان واضحاً أن ابنة صديقى تمشى نحو مصير بائس فى مشروع الزواج التى هى طائرة فرحاً لاقدامها عليه .. أو أن هذا ما زعمت انى أراه فى عقب فنجان قهوتها ! كان مفروضاً أن لا علم لي بمشروع الزواج ذاك ، لذا فقد كان حديثى عن المستقبل المظلم عمومياً ومجرداً ، إلا أن كل كلمة منه كانت تدق على أوتار مشاعر أفراد الأسرة ، ومشاعر الفتاة بصورة خاصة ، فتهز أعماق وجدانهم . وتفننت فى وصف ذلك الشقاء المقبل المتوقع بالموهبة التى أملاها علي غيظى وكما كنت اتمناه لتلك الفتاة فى ذلك الحين . ولم أنتبه الى قدرة تلك الموهبة وتأثيرها على سامعى إلا حين رأيت جفون الفتاة تخضل بدموعها ورأيت قطرتين من تلك الدموع تسيلان على وجنتيها وتبلغان ملتقى شفتيها فى جانبى وجهها دون أن تجد من نفسها القدرة أو الرغبة على مسحهما ...

قال الأستاذ المتقاعد ، وقد نسي استنكاره الذى أبداه منذ قليل لقولة تلك الفتاة : يا لك من فظ غليظ القلب !

قال الطبيب : هكذا كان . وأنا أعترف بأن تينك الدمعتين نزلتا برداً وسلاماً على صدرى المغيظ . شعرت بأنى انتقمت ، وانى أحسنت الانتقام .

قال المدير وهو يقلب شفتيه : أنت سادى خبيث . وبعد ذلك ؟

قال الطبيب : سمعت بعد ذلك أن الفتاة فسخت خطبتها من ذلك الفتى .

فصاح المدير باستنكار غير مصطنع : الى هذا الحد ؟! لا يا صاحبى .. أنت أسوأ من أكسيل مونتى ومن الدكتور العتيق الذى اسماه أستاذنا بختيشوع .

قال الأستاذ المتقاعد مصححاً ، وبلهجة من يوافق المدير على انتقاده : الدكتور جبرائيل بن بختيشوع ...

قال الطبيب : لا تحملا علي بهذه الشدة . أطمئنكما بأن الفتاة تزوجت بعد ذلك زواجاً موفقاً ، ورزقت بولدين ، وهى الآن تعيش مع زوجها ، وهو غير خطيبها السابق ، ومع ولديها فى سعادة وبحبوحة . لست منزعجاً لهذا بل انى ، بالعكس ، مغتبط . إن أباها لايزال صديقى ، كما انها هى لم تكن بعيدة عنى فى طفولتها وصباها الى أن تحولت شابة جميلة وزوجة سعيدة . ولكنى أردت أن أروى لكم كيف تملكتنى شهوة الانتقام ذات مرة ، وكيف انى حين استجبت لدوافعها لم استخدم طبى ، وإنما لجأت الى سبيل آخر فى شفاء غيظى .

قال المدير : وأى فرق بين هذا وذاك ؟ لو لم تكن طبيباً ، أكانت لك القدرة على معرفة خوافى نفس بنت صديقك ، ثم على التأثير فيها بالشكل الذى فعلته ؟

قال الأستاذ المتقاعد : الحق معك يا سيادة المدير فى هذا .

وهنا ضحك الطبيب وهو يقول : انكما تثيرانني . اذا كنتما حقاً تؤمنان بما تقولانه فاحذرا انتقامى . ها ان أهل البيت يشيرون الينا بأن المائدة جاهزة ، فقوما الى الطعام يرحمنى ويرحمكم الله.

فتطلع الأستاذ الى المدير وهما يتوجهان الى غرفة المائدة وقال له : أتسمع ؟ انه يتحدث عن الانتقام . لن نأكل لقمة من صحن على مائدته قبل أن يسبقنا بلقمة منه . لا تنس أن الطبيب ابن فراس قتل ابن الرومى بخشكنانة مسمومة دسها فى طعامه ...

فسأله المدير وهو يضحك : قتله بماذا ؟

قال الأستاذ : بخشكنانة . خشك بالفارسية يابس ، ونانة هو الخبز . الخشكنانة هى مايدعى اليوم بسكويت . أطعم زميل أخينا هذا ابن الرومى بسكوتة مسمومة فقضى على عبقريته التى قل أن جاد تاريخ الأدب بأمثالها .

وضحك المدير والطبيب من هذا الذى قاله الأستاذ بلهجة من يؤمن بما قال ، دون أن يمنعه ايمانه ذاك من أن يكون أول الثلاثة جلوساً الى المائدة ، وأكثرهم اقبالا على ألوان الطعام ورغبة فيها وفتكاً بها .

د. عبد السلام العجيلى

بسمارك



كليمنصو





المفتاح والجنة

قصة : نهى سمارة

ولدت نهى سمارة فلسطينية الام والاب في طولكرم بفلسطين عام ١٩٤٤ . ونشات فى بيروت التى اضطر والدها الى اللجوء اليها مع زوجته وطفلتيه عام ١٩٤٨ ، و ذلك بسبب نشاطه السياسي ضد الاحتلال الصهيوني .

شاركت فى الصحف والمجلات البيروتية باعمال قصصية ، ونشرت اول رواية لها عام ١٩٧٣ بعنوان «فى مدينة المستنقع» التى تفصح عن عدم تكيفها فى مدينة شروطها غير شروط احلامها الفلسطينية .

عام ١٩٧٥ ، اضطرتها الحرب اللبنانية الى الانتقال مع طفليها الى لندن ، وباريس حيث تعيش الآن .

الاقتلاع الثانى والحرب اللبنانية التى عاشتها فى الغربة هما دافعها الى كتابة مجموعة قصصية قصيرة بعنوان «الطاولات عاشت اكثر» .

وستصدر لها مجموعة جديدة عن «دار الافاق الجديدة» ببيروت ، تشكل وقائع ونتائج حرب لبنان خلفية شخصياتها .

● كان حضن امى ينبض توترا ، والسيارة الخضراء تقطع الطريق بلهاث السرعة ، التقط انفاس امى الهلعة فيزداد صراخى . الجميع حولى واقع فى الصمت . السائق ينظر الى ابى ويرجوه إسكاتى . تمتد يد ابى بلوح الشيكولاته . فلا البث ان ارميها فى وجهه . يلتفت متوسلا طالبا من امى اسكاتى .

فجاة كمن ولد فى الماء واللون كان الأزرق على يمينى وعلى يسارى ، غمرتنى البهجة فسقطت فى حضن امى مبتسمة هانئة . مسحت امى بيدها على شعرى وتمتمت «الحمد لله» .

تنهد أبى وقال «فال حسن» سمعت السائق بعدها بقليل يقول «بعد لحظات نعبر بحيرة طبرية ، لم يبق كثيرا حتى

نصل الى الناقورة وندخل الأراضى اللبنانية . وينتهى هذا الكابوس» .

فى نهاية صوته خرجت طلقات نارية . همهم أبى لقد أصابوا ركاب السيارة السوداء «خلفنا» احتلنا الصمت حتى وصلت الى بيت قديم فى قلب بيروت .

• • •

كانت يدى تتلمس الحقيبة الصغيرة، وجسد طائرة «البوينغ» يرتفع بها متجها الى بيروت . كان رواد الطائرة يلتفتون الى بعضهم بعض محاولين التعرف على وجه أليف عرفوه يسير فى خندق الغميق ، أو التقوا به فى مصعد العازارية ، أو موظف فى البناية التى كانوا يعملون فيها ، أو صديق قديم فى المدرسة التى تعلموا فيها الأبجدية ، أو نازل فى مقهى اعتادوا الاسترخاء عنده قبل الحرب .. زعيم لبنانى مشى نحو الدرجة الأولى ثم التفت محييا

جمهور الطائرة ، لم يرد عليه أحد التحية ، عجوز كانت تجر خلفها ثلاثة أطفال وفى عيونها توقد ولهفة الى حيث هى عائدة ، قالت لمن يجلس على يسارها: الحمد لله على سلامتنا جميعا . رجل أعمال يصافح شابا بحرارة ويقول له : «طيران الشرق الأوسط هو المكان المصغر لمدينتنا . واستمرار الشركة هو استمرار للبنان» أجاب الشاب بسخرية «لبنان السياحة والاصطياف» شابة تقبل شابا على وجنتيه وتقول بمرارة : «وأخيرا عدنا» .

يدى تزداد انقباضا على حقيبتى ، افتحها وأتأكد من وجود المفتاح للبيت القديم القابع فى قلب بيروت .



• • •

«أتعرفين ماذا يفعل عمك كل مساء» ؟؟

كان عمى يدخل كل مساء الى غرفته ويحكم اغلاق الباب وراءه ، ثم يفتح صندوقا قديما ويخرج منه مفتاحا عتيقا لمنزله فى الناصرة ، يلمعه ويمسح الصدأ عنه ، يتأمله دقائق ثم يخرج من غرفته وشعاع خاص يومض فى عينيه ويبدأ بعد أن ينظف حاملة سجائره من النيكوتين يروي معزوفته المكررة : بيارته مقعده اليومى عند أبى موسى ، لعب الطاولة فى مقهى أبى فريد ، أزهاره التى زرعها فى حديقة البيت ، أجراس صوت الكنيسة صباح كل أحد ، مجنون الناصرة أنور ، هدى التى تحب المجنون ، وتناوله يوميا من فتحة بوابة الحديد علكة ينفخها بالونات ويسير فيها فى سوق المدينة القديم . أبو جورج الذى لم يهاجر لأنه بلا أطفال يخشى عليهم من انتقام المحتلين ...

تنهدت هدى وقالت :

ما أن تنتهى معزوفة عمك اليومية ، حتى ينسحب لسماع نشرة الأخبار .

فى مرة بادرت عمى وأنا أجلس مع عائلته ، «ولكن لماذا تحتفظ بالمفتاح» ؟

أجاب : «قد أعود يوما وافتح الباب ، ان اسرائيل قابعة على كذبة وسط هذه المنطقة . ثم يلتفت الى ابنته هدى ويقول «أو ربما تقوم هى بالمهمة عنى حين تكبر ... البيوت والأوطان تبقى ، أما نحن فنذهب» .

• • •

لدهشتنا مازالت بيروت تقف عامودية ببناياتها حين أخذت الطائرة بالهبوط ، أصابت جسدى رعشة من هذا اللقاء ، وتذكرت عمى الذى مات بلا رعشة لقائه بفلسطينه . فلسطينه التى كان يراها أحلاما فى غرفته كل مساء ، حين هبطنا الطائرة ، لم تكن الفوضى تزعج أيا من رواد الطائرة ، الجميع ظل راضيا وهو يتابع تفاصيل جمع الحقائب أخذت أول تاكسى ، بدأ السائق يتحدث عن معاناته فى الحرب ، ما أن وصلت الى البيت القديم القابع فى قلب بيروت حتى وجدت البناية حيثما تركت . مسكين عمى ، لقد عرفت انهم هدموا منزله

واقاموا مزرعة برتقال هناك ، صعدت الدرج . كان للمفتاح صوت الصرير القديم ذاته ، انفتح الباب عن كل ما تركته فى البيت ورائى ، كل شىء مكانه ، اخذت اتلمس ما حولى كاعمى يريد أن يعيد صلته القديمة الحميمة بملمس ما الف ، الساعة القديمة ، عقاربها تقف جامدة مصلوبة عند الساعة الثالثة إلا ربعا ... العصفور المطرز فى السجادة مازال يحدق بى ذات التحديقة التى كنت اراها فيه حين كنت طفلة ، نتوءات الحائط الذى سقط منه الدهان والذى يرسم صورة الوجه الانسانى الضاحك ، علامات قلم رصاص ابى يقيس كم ازداد طولى سنة بعد سنة ، سريرى وحتى الروائح القديمة ، الأصوات المنادية على البندورة والخيار والبقدونس ، صور الطفولة والمراهقة وأوراقى المهملة التى لم تعبث بها اصابع امى واخى قبل رحيلهما الى عمان .

اخذت اقرأ انا القديمة : كلمات على خيبة ، كلمات على حب ، كلمات على توقع تجربة ، كلمات على حزن ، كلمات على فرح ، وكنت هناك : كلمات مجنحة فى الدرج ، والأحاسيس تنزف انفعالا وشوقا الى انا الجذور ، الى توقد الدفء فى الشرايين المتجلدة غربة على مدى سنتين ، فهناك خارج بيروت كم يصعب الانفعال ، وكم يصعب التذكار .

كان تنقلى بين الوجوه والأمكنة فى لندن اشبه بورقة صفراء بلا نكهة او تاريخ ...

● ● ●

قالت هدى : كان ابى يقول اننـــا الفلسطينيون حين تركنا الوطن ، اصبحنا اشبه باوراق الكربون ، نشبه ذواتنا ولكننا لسنا تماما هى .. لو سالتنى ما هى فلسطين اليك حينما كنت طفلة ، لاجبتك : انها الضجر ، لم يكن ابى يحدثنا إلا عن فلسطين ، كانت فلسطين بالنسبة لنا اذنه الكبيرة الملتصقة بالمذياع لتتابع نشرات الأخبار وصوته الصارخ بنا أن نصمت ، كان المذياع واخباره يحدد حجم انشراح ابى او انقباضه ، لقد اختلست فلسطين ابى منا حتى ان امى سمعتها تمازح جارتها قائلة :



المفتاح والجنة

«إن فلسطين اشبه بالضرة فى هذا البيت» .

صمتت هدى ثم قالت :

الاطفال لا تعرف ان تحلم بالحديقة الخضراء التى سوف تاتى ، انها تريدها ان تكون موجودة لكى تلعب فيها ، الاطفال لا تحب أن تتوق الى الألعاب ، بل تريدها ان تمضى فيها اكتشافا وتمزيقا ، اما ابى ، فقد ظل يعيش وعد الجنة ، حاضرنا واقع مؤجل ومستقبلنا هامش حالم اسمه «العودة» وفى صدر البيت كانت كلمة «سوف نعود» حاضرة فى اذهاننا تحت خارطة «فلسطين» ، انها اللوحة الوحيدة التى قبل ابى ان تزين فيها جدران منزلنا . تصورى مرة كنا نسير فى صيدا وكانت عابقة فى ربيعها برائحة زهر البرتقال ، تناول ابى محرمته وقال : ما هذه الرائحة العفنة ، كم تختلف عن رائحة زهر برتقال يافا ...

ضحكت هدى وقالت : أثناء الحرب كثرت معزوفة استبدال فلسطين بجنوب لبنان ، ليتهم عرفوا ابى ، لفهموا ... فكيف يمكن للجنة ان تستبدل فى اذهان اولادها ؟

● ● ●

لقد عدت ، لم يعودوا .. تذكرة طائرة أعادتنى الى البيت القديم القابع فى قلب بيروت .

خرجت فيه اتلمس ما بقى من تاريخ الشارع والمدينة .. والأصدقاء ..

كانت الوجوه منتفخة بلا بريق ، والأجساد مكتنزة بلا عافية .. عيون الرجال تتوقد شبقا ولهفات غريبة ، بدت النساء اكثر تحررا فى تحركاتهـــن وسلوكهن واكثر ثقة ، الجميع معبأ بقصص عاشها وكان شاهدا عليها ، كانت اذنى كاذن عمى حين يسمع نشرة الاخبار ، تود الاستماع واختزان سنوات الحرب ، وبدات برحلة التفتيش عن قافلة الأصدقاء القدامى ، وشيئا فشيئا بدات الأمكنة تعيد الذكرى فى موت بعضهم ، ابراهيم الذى سقط على وقع قذيفة التهمت الصف الذى جاء يشترى الخبز من عند الفران ، نايف مختنقا وهو يحاول الهرب من حريق المبنى ، سامى الذى استشهد وهو يلعب بالكرة تحت منزله ، كادت المدينة تفرغ ، أصدقائى معظمهم هاجروا ، من بقى تغير ، سميحة اصبح هاجسها المال والفواتير ، جانيت لا حديث لها إلا بيروت الفرح والنوادى الليلية قبل الحرب ، جورج يعدد امجاده القتالية والتخطيطية أثناء الحرب .

كنت الهث من فم لأخر ، ومن قصة لأخرى ، حتى فقدت قدرتى للاستيعاب .. بدات الأفواه اشبه بشريط ثرثرة حاكى ، حتى ان جارتى كلما وجدتنى افتح البيت وانا عائدة منهكة من تجوالى بين قصص الأصدقاء والمدينة ، تصر على أن ادخل لزيارتها ، وكنت دائما اتهرب بالتعب حتى انها قالت لى بذكاء يوما : «لا تخافى ، لن افعل كالآخرين ، لن احدثك بما دار اثناء الحرب حتى لا يحصل معك كما حصل مع ابن اخى .. لقد انتهى وهو يقـول لنفسـه : «اسمعونى وانا ايضا لى قصتى» تعالى وساسمع قصتك » .

ودخلت وانا محرجة ، اشعر بتفاهة ما مررت به فى الغربة ، ما قصصى ؟ مسارح لندن ؟ شارع الكينغز رود ؟ وصرعات شارع البيكادللى الحافل والبارات والصخب ، هل احدثها عن العرب ونواحهم وفجورهم فى بلاد الانجلوسكسون : الفرق الشاسع بين عمرينا اربكتنى ! كيف ابدأ الحديث ، ولم تمهلنى كثيرا حتى قالت جارتى :

ـ «الحمد لله لم افقد عزيزا او قريبا ، عشنا داخل هذا البيت كسردين ميت فى علبة فلو انى لم ابع سيارة زوجى وسجاد البيت ومنزلنا الصيفى ، لجعنا فعلا ، لقد اقتصر مصروفنا كما تعرفين على اللقمة التى نتناولها كل يوم ، وقد تضاعفت بفعل بقائنا الطويل فى المنزل ، حمايتنا الوحيدة هى جدراننا الأربعة .. وان لم تعد حماية حقيقية ، فكم اقتص

الموت نياماً ابرياء كانوا داخل جدرانهم ، وانت لم اسمعك تقولين شيئاً ..

– ما كنت افعل اى شيء يستحق الذكر كنا كاننا نضع اجسادا مستعارة فى مكان ، وقلوبنا وعقولنا هنا ، لم نهاجر اختيارا لننهل من ثقافة الحضارة الغربية وتصورى اى الم ! مرة حين كان تل الزعتر يقاوم ويسقط الما وموتا ودماراً ، والنساء هنا تاكل الجرذ وتشرب من المستنقعات واطفالنا يتضورون جوعاً . فتحت هناك جهاز التلفزة ، وطوال عشر دقائق كان الحديث يدور على ازدياد سعر زجاجة الحليب «بنس واحد» اى ما يقرب العشرة قروش ، هذا حجم قضايا الحضارة . ماذا احدثك .. جلست مرة لأتناول مشروبا باردا بعد ان عبأت صدرى قراءة عن الدمار الذى أصابنا .. وفجأة لمحت على المقهى صندوقاً كتب عليه :

مازال بعضهم احياء «تبرع بقروش قليلة للمسنين والعاجزين» .

اسقطت ما معـــى من قروش . واحسست قلبى يكبر ويتسع لآلامهم والامنا ... فجروحنا مازالت تنزف بلا معالجة ، وهم مازالوا يعالجون جروح المسنين . فماذا احدثك ايضاً ، كل اهتمامهم بالانسان كان يوجه كطعنات خنجر الى صدورنا ، اين هم واين نحن ؟ . مرة وانا اقطع الطريق سمعت صوت جرس خافت ، سالت ماذا يكون ؟ : قالوا هذا للعميان ، العاجزون عن رؤية الضوء الأخضر كي يقطعوا الطريق وهذا الجرس هو بديل لهم ليجتازوا الطريق بأمان ..

سمعت جارتى تقول :

– لقد تعذبت كثيرا ..

وتمتمت بتواضع مصطنع وانا اتثاءب ..

– لكل عذابه .

حين غادرت بابها ، قالت : لقد تركت أمك البيت ، وانا الآن مكانها ، هذا بيتك رجاء لا ترفضى «صحن الطبيخ» الذى سارسله لك ، إنك واحدة من افـراد العائلة .. ضحكت وانا اقول لها :

«لعنة الله على حضارتهم ، تصورى مرة وانا اصعد الدرج فى بيتى هناك ، لمحت جارتى العجوز ، فقلت لها صباح الخير ، واجابتنى : لماذا تقولين لي صباح الخير ؟! انا لا اعرفك .

كررت ورائى : لعنة اللـــه على حضارتهم ، ان ابن اخى يقول عنهم انهم يتكلمون عن الانسانية إلا انهم لا يحبون الانسان ... انه إنما يكرر جملة واحدة عنهم :

«إن حضارتهم تخلف ، وإن تخلفنا حضارة» .

● ● ●

فى الصباح استبشرت خيراً فى المدينة وانا أرى رسالة عليها طابع بريدى وختم ، ومكتوب على الطابع المملكة الأردنية الهاشمية . الرسالة كانت من ابنة عمى هدى تقول فيها :

– كلنا بخير ، وامك ايضاً ، اخوك وجد عملا فى شركة محاسبة ، كانت عودتك من لندن مفاجأة ، نتوقع قدومك الى هنا باقرب وقت ، لقد عرفت بوفاة عمك كما اظن ، لقد مات ميتة طبيعية هادئة ، لم يكن موته مربكا ، وكلنا ندرك بسبب الجلطة القلبية التى عاش منها عشر سنوات انه مشرف على الموت فى يوم او آخر ، إلا ان دفنه كان مربكا ، لقد حصل يوم السبت «الأسود» والتفاصيل عرفتها بواسطة والدتك ، ما اصعب ان تعيش مع جثة والدك ثلاثة ايام لأنك غير قادرة للقيام بمراسيم الدفن . كان يجب ان يموت مكرما ، ان تسير جنازة طويلة وراء نعشه ، وان يحضر جميع أصدقائه ومعارفه واقربائه ، ولكنه كان يعترف بان الغريب يموت كالكلب ... لا يعرف اى ارض غريبة ستحوى رفاته .. وهذا ما حصل ، أسرعت السيارة الحاملة نعشه الى المقبرة ، خوفا من القذائف والرصاص .. ودفن فى مقبرة الشهداء فى بيـــروت .. لم يسر وراءه احد ، مسكين لقد كان أبى يردد قبل موته :

إن حرب لبنان تدرب الشباب على القتال من اجل فلسطين ، العدو الخارجى سيوحد صف أهل البلد الواحد لمقاتلة العدو .. هذا الحالم الذى عرفته جيدا .. واحبك كثيرا ..

عمان كما تعلمين مليئة باقرباء لنا مشتركين ، الهجرة الثانية اصعب من الهجرة الاولى كما تعرفين .. الأولى عانيناها على السنة اهلنـــا ، وكم اتهمناهم بالمبالغة .. واما الثانية فاكلت من جلدنا واعصابنا الكثير .. الآن بدات افهم ابى وحنينه ، فالوطن ليس إلا ذكريات ، يومياً احلم واتذكر حياتى الماضية فى بيروت ، عمان مدينة خانقة وقليلة النوافذ ... إنها تلائم حياة انسان تجاوز الخمسين .. وتقاعد .

الخبر الذى أود أن أورده لك ، اننى حين وصلت عمان طلبت بواسطة مسافر الى الناصرة ان يطلب من خالتى ان تطلب لي اذنا من السلطات الاسرائيلية لزيارتهم ، الاذن الذى يسمونه «جمع الشمل» وقد فعلت هذا ، لن أحدثك عن رحلتى الشاقة فى عبـــور الجسر والاهانات والتفتيش والسير الحافى لعبور الحدود .. المهم اننى ذهبت الى حيث كان منزلنا والصندوق القديم الذى يحتوى المفتاح القديم الذى أعطانى إياه ابى املا ... كنت اعرف جيداً ان منزلنا تهدم ، وان مكانه اصبح مزرعة للدجاج ، واكتشفت ان ابى كان يعرف ، فقد اخبرته خالتى كما قالت لي ، واستطعت بمجهود خاص ان اولج المزرعة واعرف تماما اين كان بيتنا ، واين كان الباب واخذت احفر . حفرت كثيرا ودفنت الصندوق هناك . تلك كانت معلقتى ، «معلقة فلسطينية جداً» ، كنت كاننى ادفن ابى واحلامه ، ولقد بكيت فعلا فوق التراب حتى تبلل .. كما لم أبك يوم دفن ابى ..

شعرت براحة كبيرة بعدها ، ومازلت أشعرها حتى اليوم ، لقد فكرت ان الأرض وحدها لها الحق ان تختزن فى جوفها الماضى والأمل والتطلع ..

لن أبق فى عمان اخى وجد عملا فى كندا بواسطة اولاد عمنا الموسرين .. اننا يا ابنة عمى أصبحنا يهود العالم (لو انهم يعرفون !) موزعين فى كل مكان ، وحيث تكون نجنى ونحلم . ففى داخلنا امل اسمه .. العودة .. الجنة الموعودة ، لو انهم يعرفون حجم هذا المرض داخلنا .. لما تركونا على ما نحن عليه ! ولكن يبدو انهم لا يعرفون !

لك كل الحب والوفاء
هدى

نهى سماره

خطر يهدد طفلك

د. مدحت رضا



اصبح مرض شلل الأطفال يمثل شبحاً رهيباً لكل أسرة في عصرنا الحديث .. وكثيرا ما ادى الخوف من تسلل هذا المرض الى اجساد اطفالنا ، الى إصابة الأمهات والآباء بقلق بالغ على اولادهم وبناتهم ..

وقد ظلت الإصابة بهذا المرض وبائية حتى اواخر الأربعينات حين اكتشف العلم الطعم المضاد على شكل حقنة ، ولوحظ بعد التطعيم انخفاض كبير في نسبة الاصابة بهذا المرض ، ثم تطورت الاكتشافات الى ان وصلت الى شكلها الحالي ، أي النقط التي تحتوي على «فيروس» المرض نفسه بما فيه من خصائص تعطي مناعة وتمنع الاصابة بالمرض في نفس الوقت !

وطريقة التطعيم بالنقط بسيطة وسهلة للغاية ، وأية ممرضة يمكنها ان تشرف على عملية التطعيم بعد معرفة وطريقة الحفظ السليمة باشراف الطبيب .

قوانين التطعيم

ونتيجة لانتشار التطعيم بهذا الشكل اختفى المرض تماما من بعض الدول مثل سويسرا والسويد ، بل واصبحوا يسمونه في تلك البلاد بالمرض التاريخي ويرجع ذلك . إلى ان هذه الدول في بداية تجربتها اصدرت القوانين التي اجبرت اولياء الأمور على تطعيم ابنائهم ، وبعد ذلك أصبحت عملية التطعيم عادة لا تحتاج الى قوانين ، فالكل يدرك اهمية ذلك وضرورة الذهاب في المواعيد المحددة !

الاصابة بالمرض

وكما نعرف فان الطفل يولد ويكتسب مناعة من امه ضد هذا المرض ، بشرط أن تكون هي نفسها لديها هذه المناعة .. ويهاجم المرض جسم الطفل عندما تبدأ الأجسام المضادة الموجودة في الاضمحلال ، وهنا يكون لدى الطفل الذي لم يطعم قابلية للاصابة بالمرض ..

وكثيرا ما نرى اطفالا يتعرضون للاصابة بالميكروب عندما يدخل الفيروس الى اجسامهم ، ولكنه لا يستمر طويلا لأن المرض يمر على شكل انفلونزا تؤدي الى ارتفاع الحرارة مع قليل من القيء والاسهال ، ويبرأ الطفل دون أن تعرف الأم انه كان مصابا بميكروب شلل الأطفال ، ووقتها يكتسب الطفل مناعة ولا يصاب به مدى الحياة .

ولو قسنا نسبة الأطفال الذين يصابون بالمرض الفعلي الى الذين اخذوا الميكروب ولكنهم لم يصابوا بالمرض لوجدناها نسبة قليلة ، والغالبية تاخذه على شكل ميكروب يدخل الجسم ثم يقاومه وينتهي الأمر بالسلامة .. لأنه من المعروف أن الاصابة تاتي عندما تستمر الحرارة في الارتفاع بعد مرور ثلاثة ايام ، فذلك يعني أن الطفل ليست لديه المناعة الكافية ، فنلاحظ عدم قدرته على تحريك رجله ، وهنا تكون الاصابة الفعلية بشلل الأطفال !

أسباب الاصابة

وهناك اكثر من سبب لتسلل المرض الى جسم الطفل ،مثل ان يكون قد اصيب بنزلة معوية او التهاب رئوى ، فهذا يدل على ان مناعته قليلة ، والجهاز الذى يعطى الأجسام المضادة فى جسده ضعيف ومنهك ، ولذا فما ان يدخل ميكروب الشلل الى جسده حتى لا يستطيع مقاومته !

ومن الملاحظ ـ كذلك ـ ان الطفل الذى يرضع رضاعة صناعية تختلف مقاومته عن ذلك الذى يرضع من امه ، بالاضافة لعدم التطعيم ضد المرض .. وهذا ما يبرر إصابة طفل وعدم إصابة آخر بمرض شلل الأطفال بالرغم من وجودهم فى نفس المكان .

وهناك وهم خاطىء لدى كثير من الأمهات ، إذ يعتقدن ان الطفل أصيب بشلل الأطفال نتيجة للتطعيم ، وهذه الحالة لا يمكن حدوثها ابدا ، وكل ما فى الأمر ان الأم تحاول إخفاء إهمالها فى عدم تطعيم طفلها لعلها بذلك تكون قد ارضت ضميرها وما ارتكبته من خطا فى حق طفلها البرىء !

الحيرة أمام الميكروب

ولكن هل يمكننا تشخيص المرض فى أيامه الأولى ؟ ..

الواقع أن الطبيب يستطيع أن يشخص المرض بعد اربعة أيام من الاصابة بمجرد النظر الى رجل الطفل .. وهنا لا يستطيع الطب عمل اى شىء بل يقف مكتوف الأيدى أمام الميكروب الذى دخل لجسم الطفل غير المطعم ، وأمامه حالة مجهولة حتى يرى اين ستتوقف وحتى ينتهى الطور الحاد للمرض .. فقد يقف هذا المرض عند إصابة بسيطة فى احد قدمى الطفل ، وقد يمتد ليشمل اطرافه الأربعة وقد يصل الى أخطر حالته التى تؤدى الى تعطل عمل الجهاز التنفسى والى وضع ماكينة الرئة الحديدية او المعيشية على جهاز التنفس الآلى . وهذه الحالة لا ينجو من الشلل فيها إلا الرأس واللسان !

العلاج المتقدم

والعلاج بعد الاصابة بمرض شلل الأطفال يعتمد على الراحة ، مع تناول المضادات للحراريات ، الى ان يذهب الدور الحاد ، ويبدأ العلاج الطبيعى ..

وقد استطاعت دول الغرب المتقدمة ان تصل لنتائج جيدة ـ بمساعدة الأم ـ فى تنفيذ تعليمات المستشفى بالمنزل .. من بينها ضرورة اجراء التدليك حتى تتيبس العضلة !

وقد يلجا الطبيب الى اجراء عملية جراحية ، إلا ان هذه العملية يجب ألا تجرى للطفل إلا بعد سن معينة ، حتى يترك الفرصة لنمو العظام ! ـ

وكل هذه الاجراءات لن تشفى المريض بل تساعده على الحركة والتكيف مع حالته المرضية حتى يستطيع العيش فى المجتمع دون عقد وحتى لا يشعر باى عبء على عاتقه !

حماية الأطفال

والواقع انه لا يوجد أدنى عذر يبرر للأم او الأب عدم تطعيم أطفالهم ، فالعيادات الصحية متوفرة فى كل مكان ، ولن يكلفنا الأمر سوى الذهاب ثلاث مرات فقط لتناول النقط الثلاث التى تحمى فلذات أكبادنا من هذا المرض اللعين .

ونظام التطعيم فى العالم يختلف من دولة لأخرى ، فالذى يطبق فى سويسرا مثلا لا نستطيع تطبيقه فى مصر أو قطر لأن كل دولة لها ما يناسبها .

بالنسبة لنا ، نحن نعيش ـ مثل غيرنا ـ تحت تهديد وخطر وجود المرض باستمرار ، لذلك نبدأ فى التطعيم من



الشهر الثالث وليس قبل ذلك ، لوجود الأجسام المضادة التى اكتسبها الطفل من امه ، والجرعة الثانية بعد اربعة او ستة اسابيع ، وكذلك الثالثة ..

والجرعة الأولى تعطى مناعة حوالى ٧٠٪ ، والثانية ٨٥٪ وتصل المناعة فى الثالثة الى ٩٩٪

ولا يكتسب الطفل المناعة الكاملة إلا بعد الثلاث جرعات ، ولا يترك تطعيم شلل الأطفال اى آثار جانبية مثل ارتفاع درجة الحرارة او الاسهال .

وهناك نصيحة للأم التى ترضع طفلها طبيعيا ، فعليها أن تعطيه التطعيم بعد ساعتين من الرضاعة لأن لبن الأم يعطى مناعة تفسد التطعيم !

وهناك ظاهرة تبدو واضحة فى المجتمعات المتقدمة ، فأحيانا يصاب الكبار بهذا المرض نتيجة لعدم دخول الفيروس الى اجسامهم وهم صغار مثلما يحدث فى الدول النامية حيث ينتشر المرض ويصاب به الآلاف ، ثم يكتسبون المناعة !

المرض القديم

إذن فمرض شلل الأطفال ليس معضلة كما نتصور ، فهو أمر بسيط لو راعيناه منذ البداية ، فنحن نستطيع القضاء عليه بسهولة إذا ما اتبعنا الارشادات الصحية التى تحتم علينا تطعيم أطفالنا فى مرحلة مبكرة بالنقـــاط الثلاث الواقية ..

إننا إذا فعلنا ذلك نكون قد حولنا هذا المرض الى مرض تاريخى كما حدث فى بعض البلاد الأوروبية ، وتكون ذكراه مجرد ذكرى عابرة نقراها فى كتب التاريخ ، تماما كما نقرا اليوم الحقيقة القائلة بأن هذا المرض عرفته البشرية من قديم الزمان ، وفى مصر القديمة عثروا عليه فى رسوم فرعونية لرجل مصاب بضمور فى قدميه !

د. مدحت رضا
اخصائى استشارى لأمراض الأطفال
وزارة الصحة

البخيلة

مسرحية شعرية مجهولة لأمير الشعراء أحمد شوقي

الفصل الثالث

المنظر الأول

رسوم : جمال قطب

أحداث الفصلين : الأول والثانى

الزمان : غداة استقالة اللورد كرومر ورحيله عن مصر عام ١٩٠٧ .
المكان : مقهى «المالية» بميدان لاظوغلى بالقاهرة .

يرتفع الستار عن جماعات من رواد المقهى يثرثرون فى موضوعات شتى ، ومن بين هؤلاء نجد «جمالا» بطل المسرحية ، يجلس مع أحد السماسرة الذين يترددون على المقهى ليغرروا برواده .

ويجد السمسار فى جمال فريسته المنشودة ، فجمال سيرث عن قريب ثروة جدته البخيلة العجوز ، التى تنتظر الموت او ينتظرها الموت ، ويغتنم السمسار هذا الموقف ، فيغرى جمالا بالزواج من فتاة اسمها «زينب» ، وهى سليلة اسرة عريقة من الأشراف ، جار عليها الدهر وقلب لها الزمان ظهر المجن ، فتبدل نعيمها بؤسا وغناها فاقة ، ويأتى الى المقهى شقيق «زينب» هذه ، واسمه «عزيز» فينفرد به السمسار ويظل به الى ان يقنعه بتزويج شقيقته لجمال حتى تنفرج ضائقتهم بثروة هذا الوريث المنتظرة ، ولا يترك السمسار أحدا من الطرفين إلا بعد ان يجعله متلهفا على إبرام الصفقة ، حتى إذا تمت تكون له اتعابه منهما جميعا . وبالفعل ينجح السمسار فيما أراد ، ونجد ان كلا من جمال وعزيز يتلهفان بالفعل على الخطبة ، هذا من اجل المال والارث الكبير الذى سيؤول لزوج اخته وينعم عائلته على العائلة ، وذاك من اجل عراقة الفتاة وجمالها المزعوم .

ومن بين رواد المقهى الاخرين ، طبيب خامل خائب معروف بتحمل هو الآخر ، يدعى «عبد السلام» ، وحين ينتهى الفصل الأول يكون ذلك الطبيب قد اشتبك فى مشادة كلامية مع شقيق احد المصابين من حوادث الطريق ، هذا يريده ان يهب لعلاج شقيقه ، وذاك يقعده الخمول والكسل .

وفى بداية الفصل الثانى ينفرج الستار عن الست «نظيفة» ، هذه الجدة الثرية البخيلة ، وقد اخذت تؤنب خادمتها «حسنى» على ما اشترته من خضروات غالية الثمن ، ويطول الحوار ، ويكشف فى نفس الوقت عن شدة بخل هذه الجدة حتى انها لتضن على نفسها وعلى خادمها بالقوت الكافى ، وبينما تذهب الجدة لاداء الصلاة ، يدخل الحفيد «جمال» ، ويقع على كيس نقود نسيته جدته على إحدى الارائك ، فيلتقطه ويدسه فى جيبه بعد تردد طويل ، وتندهش حسنى الخادم ، وكانت قد رأت جمالا من حيث لم يرها ، ثم لا تلبث ان تسوق الاعذار والتبريرات التى دفعت جمالا لهذه السرقة ، فهو محروم ، ولو ان جدته اعطته ما يسد حاجاته لما مد يده على الكيس ، ونشتم من هذا الدفاع ان حسنى تحب جمالا ولكنها لا تجرؤ على مكاشفته .

تعود الجدة من صلاتها لتكتشف ضياع الكيس ، فيطير صوابها ، وتتجه شكوكها الى «حسنى» ولكنها لا تستطيع ان تجهر باتهامها ، لان «حسنى» تعرف اسرارها ، وتعرف امر الذهب المخبأ فى البئر ، وفى نفس الوقت لم تستطع حسنى ان ترشد على «جمال» لاسباب عاطفية ، وعندما يعود جمال مرة اخرى ، يشتبك مع جدته فى حوار طويل هو يتهمها بالبخل الشديد وبحرمانه من النقود ، وهى تتهمه بالتبذير وترى ان المبلغ القليل الذى تعطيه له كاف تماما ، وتضرب له المثل بحرص ابيه وبخله ، ويثور الحفيد فى وجه جدته ، ويبوح لها بكل ما يعرف من امر الذهب الذي خبأته ويخبرها انه لم يعد بحاجة الى شىء منها ، فقد اقترض مبلغا من المال وخطب به «زينب» بنت النقيب وشقيقة عزيز .

وفى نهاية الفصل ينفرد جمال بحسنى ، فيغازلها ويطاردها ، ولكنها تتابى عليه ، إلى ان تحضر الجدة ، فينتهى الموقف وتهبط الستارة .

(الست نظيفة على فراش ارضى (١)
فى قاعة من منزلها وحولها حسنى
وجماعة جئن للسؤال عنها من الجارات).

زائـرة : (وهى داخلة)
العوافى ام الافندى (٢) العوافى

حسنى : اخفضى الصوت .. امسكى
يا خاله

الزائرة : ما لها ؟ ما بها عفا الله عنها ؟

حسنى : هى من ليلتين فى شر حاله (٣)

زائـرة : ام الافنـــدى عوفيــت
مـن قلبهـــا تحبنــى
ما كـان انـدى يدهــا
على الفقيـر والغنـى
شـفاها اللـــه للبيـت
وللجـــار وللجـــاره
جـرى إحسـانها كالسـيل
حتـى اغـرق الحـاره
قـد وقعـت عينـى عليهـا
مـرة فـى السـيده

اخـرى : فما رايت ؟

الاولـى : نخوة
وكرمـــا ما ازيـــده
جاءت وراحــت تقرض الله
وتعطــى مســجده
وكلما مد فقيـر يـده

الثانية : عضت يده
يا اخت اين ذلك المدح العطر ؟
واين جودهـــا الذى كان
المطر ؟ (٤)

الاولـى : (لحسنى)
انظرى خلفك حسنى

حسنى : من ؟

الاولـى : هى الشيخة بنبه (٥)
(الشيخة بنبة (٦) تتقدم)

بنبـه : كيف حال الهانم (٧) اليوم ؟

حسنى : انظرى الحالـة صعبـه

إحدى الزائرات :
حسـنى اطرحى الغم ولا
تستسـلمى الى الكـدر
رايـت رؤيـــا امس

اخـرى : ما ذلك ؟

حسنى : خيرا .. ما الخبر ؟

الزائرة : رايتنـى فـوق طريـق
فيـه طيـن ومطـر
مشت به (٨) ام جمـال
تنثنـى وتفتكـر (٩)
تحمـل حمـل جمـل
او جمليـن .. من حجـر

حسنى : ثم ؟

صاحبة الرؤيا :
إذا فـوق الطريـق
ثم (١٠) شيخ قـد ظهـر
كـان نـور وجهـه
تحت العمامـة القمـر
قـد طـرح الاحمـال عنها
فجـرت على الاثـر (١١)
حتـى لبثـت سـاعة
عجبـت كيـف لم تطـر
سـمعت يا شـيخة رؤياى

الشيخة : سمعت العجبا
رؤيـا كانها الفلـق (١٢)
تبـارك الـذى خلـق
ام جمـال اعينـت
وزال عنهـا العنـاء
وذلك الشـيخ قطـب (١٣)
علـى يديـه الشـفاء

اخرى : ام جمـال بخيـر
قـد القى الحمـل عنها

(يظهر الدكتور مقبلا)

إحدى الزائرات :
ماذا ؟ من الداخل ؟ هل يا ترى ؟

اخرى : هذا هو الدكتور عبد السلام

الاولـى : ابعد هذا .. القطب يؤتى به ؟

الثانية : واى قطب ؟

الاولـى : هل نسيت [illegible]

اخرى : ماذا تقول ؟ [illegible] هذا القطب !

الاولـى : ذاك [illegible]
[illegible] (١٤)
والقطـب كـان معممـا
شـتان بيـن القمـر
المنـور الملمـح (١٥)
وبيـن تيس الجبـل
المفلفـل المملـح (١٦)
ما تلك فـوق عينـه ؟ (١٧)

الثانية : زجاجــة مــدوره
تقيـه ضوء الشمس .. او
تمنـع عنه الغبـره (١٨)

كانهـا غمامـة
تحجـب عينـى بقـره

الاولى (١٩) :
ولم تغطـى بالثيـاب السـود
راسـا (٢٠) لقـدم ؟
كانمـا اخـرج مـن
زكيبـة من الفحـم (٢١)

الثانية (٢٢) :
سـود الثيـاب بمصـر
صـارت ثيـاب الإمـاره
فلا تريـن (٢٣) بياضـا
إلا علـى شـيخ حـاره

الأولى : وما بفيه ؟ (٢٤)

الثانية : إسالى حسنى

حسنى : بفيه «توسكته» (٢٥)

الأولى : مسـكين الدكتـور قد
اصبـح فـوه مدخنـه

الدكتور : العوافى ام الافندى العوافـى

حسنى : هى فى غشية ونوم عميق

الدكتور : كيف حسنى ؟ ما حال ام جمال ؟

حسنى : هى فى الكرب .. خفف الله عنها

الدكتور : ودوائى ؟

حسنى : لمـا تعاطتـه نامـت
نومة لم تقم الى اليـوم منهـا
ما بها يا سيدى ما داؤهـا ؟

الدكتور : تخمة من اكلة ذات دسم

حسنى :
تخمة ؟ لا سيدى (٢٦) الدكتور .. لا
نحن لا نعـرف فى البيـت التخم

الدكتور : إذن بها ضعف

حسنى : ومن اين جاء الضعف ؟

الدكتور : من قلة ما تطعم (٢٧)

حسنى : وما يقوى الضعف ؟

الدكتور : الاكل يا حسنى

حسنى : وكيف الاكل اين الفم ؟

الدكتور : رحـم اللـه زوجهـا
انـه كـان صاحبـى
كـان فـى كـل منـزل
وطريـق .. بجانبـى

(ثم ينتقل الدكتور فجاة لمخاطبة احدى الزائرات)

خضـرة انـت ههنـا (٢٨)
مـا تصنعيـن يا ابنتـى ؟

خضرة : فـى كـل ساعة اجـى (٢٩)
اسـال عـن سـيدتى

الدكتور : وحسن زوجك ما يصنع

خضرة : فـى البيـت انطـرح
منـذ تنـاول العـلاج
بالاوانـى ما سـرح (٣٠)

الدكتور : وما له لم يجئنى ؟

خضرة : باى رجل يجيكا (٣١)

الدكتور : (الى مرجانة)
ما ذاك يا بيضاء ماذا ارى ؟

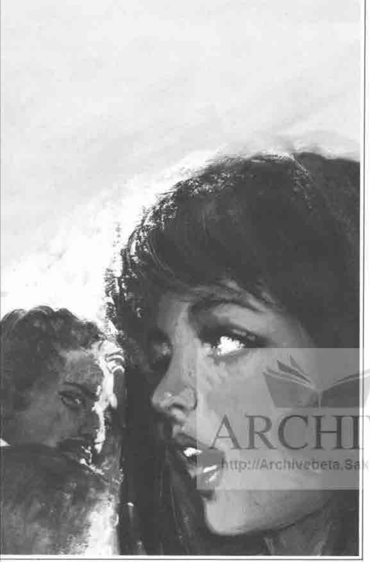
مرجانة : تورم الخد من الدمل (٣٢)

الدكتور : (يخرج مشرطا من جيبه)
هاتى (٣٣) اريه (٣٤) .. اصبرى ساعة
افتحه ..

مرجانة : لا .. لا يفتح الله لي (٣٥)

اخـرى : دعيه يفعل تستريحى ..

اخـرى : اقعدى



مسرحية شعرية مجهولة لأمير الشعراء أحمد شوقي

حذار مرجانـــــة أن تفعلـــى
(يدخل جمال)
الدكتور : من (٣٦) ذاك ؟ أنت جمال ؟
جمـــال : من ؟ سيدى الدكتـــور ؟ (٣٧)
كيــف وجـــدت جدتــــى ؟
الدكتور : تسير نحو العافيه
جمـــال :
وكيف وهى من ثلاث (٣٨) لم تفق ؟
حسنى : بل إنها من اربـــــع كما تــرى
وارحمتـــاه لك يا ســـيدتى
ولطــف اللـــــه بنا فيما جــرى
جمـــال :
حسنى اقلى الحزن .. يعفو الله عن
ازيد من هــذا .. ويشـــفى اكثــرا
الدكتور :
دعا (٣٩) .. لا تخافـا ولا تحزنا
فما (٤٠) الامر لليأس بالصائر
وكم فاقــد الرشـــد لا غائب
ورائــى تركـــت .. ولا حاضــر
واخر لا راقـــد فــى الفــراش
إذا قلبـــوه ولا ســــاهر
حسنى : امرضاك كلهمـو هكـــــذا ؟
وهل يســـتفيقون يا سـيدى ؟
الدكتور : تقوم عليهـــم يدى بالشـــفاء
قيام المسح على المقعد (٤١)
حسنى : (لجمال)
وانت سيدى جمال .. قونى (٤٢)
علمنـــى العـــزاء والتصبـــرا
زائــرة : مرجانة .. انظريهما
الأخرى : يحبها
الأولـــى : تحبه
الثانية : وبيديه قلبها
الأولـــى : وفى يديها قلبه
(يخرج جمال . تخرج مرجانة وبعض الزائرات . وتدخل إحدى الجارات تدعى زهرة)
زهــرة : ما حال أم الأفندى ؟
حسنى : ســـيدتى فــى العـــــذاب
مضى عليهـــــا اربـــــع
فــى كربـــــة لا تفـــــرج
فى النـــزع لا وعــــى لهـــا
والسر (٤٣) ليس يخــــــرج
زهــرة :
حسنى اسمعى .. لدي خاطر خطر (٤٤)
حسنى : ما ذاك ؟
اخــرى : ماذا ؟ ما الخبر ؟
زهــرة :
اصغين : مما جربـــوه فى الاســـــر
صوت الفلوس (٤٥) عند راس المحتضر
إن كان فى دنياه بالبخـــل اشــــتهر
يسمعها فينطفى (٤٦) على الأثــــر
وكلما تاخـــرت عنـــه انتظـــــر
حسنى : إذن قومـــــى اريحيهـــــا
إذن مــن هـــذه الحالـــــه
زهــرة : واين الشاش والفضة ؟
حسنى : من مالى يا خاله
زهــرة : مالك او مـــال ســـواك ..
كـل مــا قــد حضــــــر
القصـــد ان يقـــرع صــوت
المـــال .. ســـمع المحتضــر
حســـنى اسـمعى لى أصغى
هاتى (٤٧) مـــلاءة فـــرش
والآن فليلـــــــق كـــل
منكـــن فيهـــا بقـــرش
(ثم لحسنى)
حســـنى خـــذى مـن طــرف
(ثم لاخرى)



وانـت مـن ذاك الطـرف
(للجميع)
وانـا ابقـى هـهنـا
(لصبى موجود)
وانت .. قم خذ لا تخف
والآن فلتقم الى الفراش
ومثل صنعى فاصنعوا بالشاش
(يدخل جمال)
جمال : ما الحال حسنى ؟ وكيف امست؟
حسنى : فى النزع والكرب لاتزال

(يذهبون بالشاش حتى يقتربون من فراش المحتضرة وهم ممسكون (٤٨) بجهاته الاربع ، فتخرج الأولى نقوداً وتلقيها فى الشاش (٤٩) ، فيعمل الباقون مثلها ، يتقدم جمال فجاة ويخرج من جيوبه نقوداً ويقول) :

جمال : وانا ايضا اشترك
هاك خذى ما امتلك
وضعت كل فضتى
كى تستريح جدتى
(يلقى النقود)

(الأربعة يهزون الشاش بالنقود بينهم ، وتقول الأولى مخاطبة المحتضرة) :

الأولى : امضى ولا تفكرى فى المال
وانسى حديث القرش والريال
انت وما ملكت للزوال
هزوا معى .. هزوا معى
يا ايها الروح اطلعى
الى (٥٠) النعيم الأوسع
وديعة الله اذهبى
امضى ولا تعذبى
لله عودى .. والنبى (٥١)

احدى السيدات : (بعد وفاة الجدة)
قد انقضى الأمر
قد خرج السر
حسنى .. لك الاجر

حسنى : (لجمال)
الصبر .. واخرج سيدى جمال
لمثل ذا لا يصلح الرجال

الجزء الأخير من المسرحية
العدد القادم

البخيلة

تعليقات وهوامش حول الفصل الثالث

يكتبها : حسن طلب

الفصل الثالث من «البخيلة» هو الفصل الاخير فيها ، وهو أطولها واكبرها حجماً . فهو الفصل الوحيد فى المسرحية الذى يتكون من منظرين كل منظر منهما يقارب فى حجمه فصلا كاملا من الفصلين الأولين ، ومن هنا فقد رأينا أن نضغط الهوامش والتعليقات الى أقصى حد ممكن ، فتغاضينا عن الاشارة الى عشرات التصويبات المتعلقة ببعض الأخطاء الخفيفة ، التى تعزى بالدرجة الأولى الى رداءة النسخ مثل اسقاط الهمزة من المواضع التى كان يجب إثباتها فيها ، وإثباتها حيث كان يجب إسقاطها كما اغفلنا الاشارة الى المواضع الكثيرة التى كان ينبغى أن تصرف فيها أسماء الأعلام او تمنع من الصرف ، حسبما تقتضى الضرورة الشعرية ، وكذلك المواضع التي يجب ان تتحول فيها الهاء الى تاء مربوطة أو العكس وغير ذلك من الهنات التى لا تخفى على فطنة القارىء .

وبانتهاء هوامش هذا الفصل وتعليقاته ، نكون قد اتممنا تحقيق النص وضبطه ، ريثما نفرغ لتحليله ونقده فى العدد القادم . وهذه هى هوامش وتعليقات الفصل الثالث والاخير :

(١) فى الأصل (اضى) وهو تصحيف تداركه المصحح المجهول .

(٢) «العوافى أم الافندى» : «العوافى» لفظة فصيحة مفردها عافية ، يستخدمها العامة فى التحية خاصة فى الريف والاماكن الشعبية ، و «الافندى» : لفظة تركية ، تعنى «السيد» ، وكان يلقب بها طبقة المتعلمين

(٣) كلمة «شر» مطموسة فى الاصل .

(٤) فى الأصل «كان كالمطر» ، وهو مخل بالوزن .

(٥) هكذا فى الأصل ،وهذا الاسم (بنبا) ـ ويكتب ايضا (بنبة) ـ شائع فى الأوساط المصرية الشعبية ، وربما يكون ماخوذا من كلمة عامية ذات أصل فرعونى ، هى كلمة (بنبى) التى تعنى : الشىء ذا اللون الأحمر الخفيف الحمرة .

(٦) فى الأصل (بنبا) وقد اجرينا رسمها كسابقتها بالتاء المربوطة .

(٧) «الهانم» كلمة معربة لم أهتد الى مصدرها الأصلى ، وتعنى السيدة الكريمة والعقيلة المخدرة من النساء .

(٨) فى الأصل «مشت فيه» ، وقد أصلحناها لكى يستقيم الوزن .

(٩) فى الأصل «تتثنى وتفكر» ، وهو موزون ولكن على بحر الرمل ، ولما كانت الأبيات من مجزوء الرجز ، فقد اجريناها مجراها .

(١٠) «ثم شيخ» : فى الأصل «قزم شيخ» وهو تصحيف .

(١١) يقال «جاء فى اثر كذا» ، أى جاء فى عقبه أو تاليا له .

(١٢) الفلق هو الصبح ، سمى كذلك لانه يفلق ظلام الليل أى يشقه ، وقد جاء فى القرآن :

«قل أعوذ برب الفلق»

(١٣) القطب فى العربية ، هو المحور الذى تدور حوله الرحى ، ومن هنا قيل «قطب الرحى» ، لكل أمر جوهرى تتعلق به أمور اخرى ثانوية ، وقطب القوم : سيدهم واميرهم : والجمع قطوب واقطاب . وقد تطورت الكلمة فاكتسبت دلالة ثيولوجية فى الاستخدام الشعبى ، فاصبحت تطلق على أولياء الله وشيوخ الطرق الذين يتاتى لهم القيام بالخوارق والمعجزات ، وهذا المعنى هو المراد هنا .

(١٤) «مطربش» اى لابسا الطربوش . والطربوش مر شرحه .

(١٥) «القمر المنور للملح» : يقال للشىء : هو ابيض لمح ، اى شديد البياض .

(١٦) «المفلفل المملح» : الفلفل والملح معروفان والمراد هنا الزراية والاستهجان .

(١٧) فى الأصل «عينيه» وبها يختل الوزن ، فاصلحناها . والجدير بالذكر ان المفرد يطلق كثيرا للدلالة على الجمع أو المثنى فى العربية القديمة .

(١٨) «الغبرة» (بفتح الغين والباء والراء) . هى الغبار ، وقد ورد فى القرآن :

«ووجوه يومئذ عليها غبرة»

(١٩) كلمة «الأولى» ساقطة فى الأصل ، واضفناها ليتسق بها الحوار .

(٢٠) كلمة «راسا» مطموسة فى الأصل .

(٢١) «الزكيبة» كلمة فرعونية الأصل تعنى : الغرارة ، والغرارة : وعاء من الجوت تعبأ فيه الحبوب ، ويراعى فى هذا البيت أن الشاعر حرك حاء «الفحم» ليقيم الوزن .

(٢٢) كلمة «الثانية» ساقطة من الأصل ، واضفناها ليتسق الحوار .

(٢٣) فى الأصل «فلا تزين» ، وهو تصحيف .

(٢٤) جاء هذا السطر والذى يليه فى أول الصفحة ، حيث لم يلحق إلا بطرف ظهر ورقة (الكربون) فصعبت قراءتهما إذ لم يبن منهما إلا نصف الحروف ، ولا نزعم انهما مثبتان هنا كما أرادهما الشاعر ، فقد اجتهدنا أن نخمن رسمهما حسبما يقتضى الوزن والسياق .

(٢٥) «التوسكنة» لفظة معربة لم أقع على أصلها ولم أتعرف على معناها ، ولعلها اسم أداة من أدوات التدخين التى كانت سائدة فى عصر شوقى ، مثلها مثل الشبك (بضم الشين والباء) ، انظر الهامش (١٥) فى الفصل الثانى .

(٢٦) فى الأصل «لا يا سيدى» ، فحذفنا الياء ليستقيم الوزن .

(٢٧) فى الأصل «مل قلة» ، وهو تصجيف .

(٢٨) فى الأصل «هنا» ، وبها يختل الوزن .

(٢٩) خفف الشاعر همزة «أجىء» ليقيم الوزن .

(٣٠) سرح الرجل : خرج بالغداة ، وسرح بالأوانى : خرج بها يبيع ويشترى ، ولا يفعل ذلك إلا الباعة الجوالون .

(٣١) «يجيكا» : اصلها : يجيئك ، فخفف الهمزة وأشبع الفتحة فصارت الفا لكى يستقيم له وزنه وقافيته .

(٣٢) «الدمل» بالدال المضعفة المضمومة والميم المفتوحة بالتضعيف أو بدونه ، خراج يصيب انسجة الجلد من التهاب أو نحوه ، فتتقيح فيه كرات الدم البيضاء . والجمع دماميل أو دمامل .

(٣٣) فى الاصل «هات» وهى للمذكر ، ولذلك صححناها .

(٣٤) الصواب أن يقول : «ارنيه» أو «أريه لي» .

(٣٥) «لا يفتح الله لي» : يقال فتح الله على القارىء : لقنه ما كان نسيه وذكره به ، وفتح له : هيا له سبل الخير والسداد .

(٣٦) فى الأصل «ما» واستبدلنا بها «من» حتى تصلح للعاقل .

(٣٧) الوزن غير مكتمل فى هذا الشطر وقد تركناه على حاله لأن المعنى مكتمل .

(٣٨) أراد : من ثلاث ليال . يقول الحطيئة «جرول بن أوس» :

وطاوى ثلاث عاصب البطن مرمل

ببيداء لم يعرف بها ساكن رسما

(٣٩) «دعا» : فعل أمر للمثنى من الدعة بمعنى قرا واسكنا .

(٤٠) فى الأصل «ففا» وهو تصحيف .

(٤١) إشارة الى معجزات المسيح عيسى بن مريم عليه السلام فى إبراء المعتوهين .

(٤٢) فى الأصل «نونى» ، وهو تصحيف .

(٤٣) «السر» من كل شىء : جوهره وأصله ، والمراد هنا الروح .

(٤٤) فى الأصل : «لدى خاطر خضره» وهو تصحيف شديد يفسد المعنى والوزن كليهما .

(٤٥) «الفلوس» : جمع فلس (بفتح) . واصله القشرة التى تكسو جلد بعض انواع السمك ،ويطلق ايضا على عملة عربية قديمة ، كانت تساوى سدس الدرهم . ولفظ «الفلوس» يطلق على النقود عامة . تماما كما يطلق لفظ «الدراهم» فى اماكن عربية اخرى

(٤٦) خفف همزة «ينطفىء» لاقامة الوزن .

(٤٧) فى الأصل «هات» وقد صححناها ، انظر الهامش رقم (٣٣) .

(٤٨) فى الأصل «ماسكون جهاته» ، وقد فضلنا التعبير المثبت هنا .

(٤٩) فى الأصل «وتلقيها بالشاش» ، وفضلنا التعبير المثبت هنا أيضا .

(٥٠) «طلع على النعيم» : اقبل واتى اليه فجاة .

(٥١) «والنبى» ، قسم يجرى كثيرا على السنة العامة فى مصر .

روائي عربي اعترف نقاد العالم بأدبه



فتحي غانم

لمفيد فوزي :

جيلنا انتزع مكانه من العمالقة .. بالذراع

لا أحد يكره الأحاديث الصحفية مثل الكاتب الروائى فتحى غانم انه يعتبرها «مضيعة للوقت» ! وقد حاولت اقناعه ان القارىء الذى يحتفى به ويقبل بنهم وشغف على مؤلفاته يهمه أن يعرف فتحى غانم ، الانسان وافكاره ومكونات وجدانه وشيئاً ما عن حياته الشخصية . ورفض فتحى غانم هذا المبرر لاجراء حديث صحفى معه قائلاً ان هذا يشبه ــ كما يقولون ــ الباعث على مقابلة «أوزه» والحديث معها لأنى مثلا احب فطيره من كبد الاوز !

وعندما قلت لفتحى غانم انه من الضرورى ان يتعرف الناس على رؤاك الأدبية ، قال بسرعة : «انها فى رواياتى . والحديث الصحفى لن يكون باى حال .. الجدار النهائى لأفكارى» .

وأردت ان استفز فتحى غانم ، فربما كانت هذه وسيلة للوصول الى اتفاق معه على المقابلة . فقلت ان الأديب الايطالى الكبير «البرتومورافيا» يعتبر المقابلات الصحفية والأدبية مع الكتاب والروائيين جزءاً مكملا لأعمالهم الأدبية وضوءاً كاشفا لشخصيات رواياتهم .. بل إنه قال ذات مرة «ان المعارك الصحفية والهجمات النقدية تنعشنى» . وصمت فتحى غانم ثم انطلق يضحك وقال «بيد أنها لا تنعشنى انا» .. واستطرد يقول :

ان ما ينعشنى حقا هو دراسة نقدية يجريها ناقد جاد بمعزل عنى . إن هذا بمثابة اعادة اكتشاف لى ولفنى الروائى»

عدت اقول لفتحى غانم : ربما اخطات فى العرض . ان ما اريده ليس حديثاً صحفياً يصحبنى فيه مصور صحفى شاهراً عدساته فى وجهك . انه ابعد من هذا . انا اريد ان اتحاور معك .

... ...

أريد أن أتقاسم معك «حواراً» . فانا ــ وهذه ملاحظة شخصية ، قد عملت معك وتحت رئاستك ، وعرفتك قليل البوح . نادر الكلام ، أقرب ما تكون الى الغموض!

قال بسرعة ..«هل هى محاولة إذن لازاحة الغموض عنى» ؟

قلت : بل هى محاولة للتعرف عليك أكثر . للرحلة الحميمة فى اعماقك أكثر . للتريض معك ومع شخصياتك الروائية اكثر !

ويبدو اننى نجحت فى اقناع فتحى غانم بصيغة الحوار معه لأنه ضحك وقال «حدد الوقت وانا مستعد» !

قالها بطريقة لاعب الشطرنج الماهر الذى يعلن عن قبوله للدخول فى مباراة مع «هاو» .. مثلى !

وعصر أحد الأيام ، وكان الجو بارداً ..

روائي عربي

... ...

قلت لفتحي غانم وانا حريص على استرساله وعدم مقاطعته :

ـ انك تستخدم عقلك فى رواياتك ببعض من الخبث !

قال فتحي غانم : ربما استريح اكثر لكلمة «المكر» . وهذا حقيقى ! انا أرى ان الروائى لا يحب ان يعبر عما يريد بطريقة مباشرة والا صار ما يكتبه مقالا ! الروائى يجب أن يعرف اصول اللعبة . لابد أن يجيد التحضير بمكر لشخصياته لابد أن يعرف كيف يمهد للمواقف القادمة . انها فن الصنعة عند من كان قدرهم الرواية . ففى اى موقف ، حيث تبرز الأزمة أمامك ، كقارىء لرواية ما ، يكون الروائى قد استخدم «المكر» فلا هو يكشف لك ابعاد الموقف بوضوح ولا هو «يعتم» عليك الصورة . لكنه يخلق فيه حالة من الحيرة تدعوك للاشتراك مع الأبطال فى أزمتهم . هذا هو العقل ودوره فى فن الرواية . فاذا كان الفنان يمضى فى رحلته مستكشفا شواطئه وبحاره ، فان بوصلته هى العقل . العقل المكار ، كعقول الأطفال . اذ بدون هذا «المكر» تفقد الطبخة ، طعم الملح !

قلت للروائى الكبير : فى أول رواياتك .. كان الموضوع بالنسبة لى غامضا . اخترت مسرحاً غريباً قرية القرنه فى الأقصر .. هناك فى صعيد مصر . ولكنى شعرت أنك ـ فى أعماقك ـ تصمم المكان وتتصوره قرية ما ، تحت أى سماء ماذا قصدت برواية الجبل ؟ طالما أن العقل شريك للفنان .

قال فتحى غانم : رواية الجبل ، هى أولى رواياتى . وقد طرحت فيها موضوعا كان يحيرنى وهو الرغبة فى الاصلاح . انها عملية تحتاج لوقفه موضوعية . فى شرقنا العربى عموما ، نأخذ الرغبة فى الاصلاح بعاطفة مشبوبه وبحماس رنان واحيانا نتشنج ونصرخ «يجب الاصلاح فورا . الاصلاح ضرورة . الاصلاح أولا» . ندخل فى منطقة الشعارات وننسى أن الاصلاح قضية معنوية لا تتم بين يوم وليلة . انها عملية استيعاب لعادات نفسية وذهنية .. ثم تغييرها ببطء وعلى مدى بعيد .. دون انتظار سريع للعائد ، الاصلاح بأسلوب يجب . يجب . يجب ، ينتهى الى مسار آخر غير ما نبغيه منذ البداية .

هناك ظروف مجتمع . فكيف نتعامل انسانياً مع ظروف مجتمعنا . ذلك ما كان يسيطر على وانا اكتب الجبل . ان التخطيط لمشاريع اجتماعية يحتاج فى الواقع الى فهم كامل للأرض والناس والدواب التى ستكون حقل التجربة . ان عدم إدراك هذا فى عملية الاصلاح الاجتماعى يجلب .. الصدمات ، وهذه حقيقة ! وفى رواية «الجبل» تعرضت لعملية قرية نموذجية جاءت لتبيد عادات أهلها وقيمهم السائدة . لقد شاركوا فى بناء القرية بدلا من الكهوف التى كانوا يعيشون فيها .. ليس من اجل التغيير ولكن من اجل «الأجور» التى تقاضوها عن جهد البناء . ثم اكتشفوا ان هذا البناء الجديد يعاديهم ويعادى مفاهيمهم ، ويبعد عنهم الحيوانات التى يستأنسون بقربها منهم .

فماذا فعلوا فى النهاية ؟ حرقوا القرية الجديدة .. وظلوا فى الكهوف ربما حتى الآن . هذا هو «مضمون» رواية الجبل .

قلت لفتحي غانم : انه مضمون أردت ان تعبر عنه برواية . أليس هذا من واجب عالم الاجتماع اكثر من الروائى ؟!

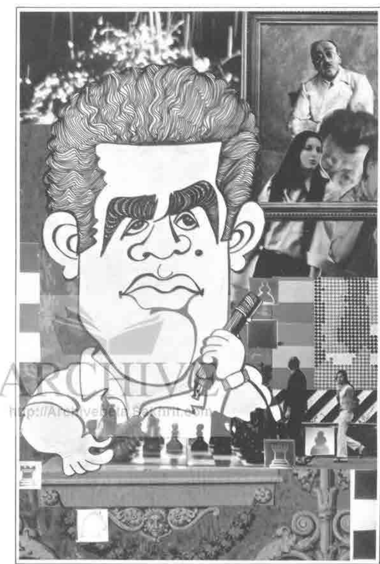
استفز السؤال فتحى غانم . فصمت ثم ضحك وقال .. وسيلتى مختلفة . انا أطرح قضية بأسلوب روائى ولكنى لا اتعرض لنظريات أو أقف كالخطيب . أو القى محاضرة . كلنا ـ فى نهاية الأمر ـ نعبر انا برواية ، وعالم الاجتماع بدراسة . انها رؤية ، يراها الفنان والعالم كل على حده من زاوية .

كان الدفء الذى أحس به ، هو ذلك اللقاء الحميم من النقاش الساخن والبارد احيانا .. مع الكاتب الروائى فتحى غانم



قلت لفتحى غانم وكانى افكر بصوت عال «أشعر ان الرواية عندك اشبه ما تكون بمعمار فنى دقيق . واحس انك مهندس تتميز اعمالك بالرقى والنضج والعالمية انك تعبر فى رواياتك الحدود الجغرافية ، وتمد جسورا الى العالم ، ربما لان بطلك هو الانسان دائما .. فى اى ارض وتحت اى سماء .. ودعنى اقل انك فنان يستخدم عقله بذكاء . ويحيرنى سؤال : هل الفن عملة يسيطر عليها العقل ؟ هل يضبط الفنان شطحاته – ان صح التعبير – على ساعة العقل وعقاربها المحددة بالدقيقة والثانية ؟ استوعب فتحى غانم السؤال جيدا وقال : هكذا اتصور الأمر .

ان العقل مطلوب دائما . انه شريك الفنان . والعمل الفنى اشبه ما يكون برحلة . الغريب فى هذه الرحلة انك تحدد الهدف ، ولكن الاتجاه الذى تفكر فيه – اثناء هذه الرحلة الفنية – يتغير . فهى – فى نهاية الأمر – معركة مع العقل ومع العواطف ومع النفس ، مع الآخرين مع التجارب ، مع الذكريات ، مع الظروف مع الورقة والقلم . لأنك حين تمسك بالقلم وتجلس لتكتب ، فان هذا دون ان تحس وسيلة من وسائل المعرفة . للدقة اكثر ، وسيلة من وسائل الاستبصار . ان ظروف الكتابة نفسها قد تملى على الكاتب نمطا من الكلمات والتعبيرات . ان مناخ الكتابة يدخل فى كيمياء العلاقة بين الكاتب وما يكتب ، واحيانا – وهذا ينطبق على الروائى – يجد نفسه يرتاد مناطق لم يفكر فيها من قبل . ويذهب فى برارى لم تخطر له على بال . وباسلوب الرواية . ويمشى فى سكك لم يخطط لها من البداية . ان الكتابة مغامرة يحرسها العقل والا كانت عبثا وفوضى . وانا كروائى ، على ان اتحمل مفاجآت المغامرة بما فيها بل واخطرها مفاجآت نفسى ! قد افاجأ من داخلى باصوات وبذكريات وبمواقف وبمشاعر تفرض نفسها ، وتقوم معركة بين ما «أتصوره» بعقلى وبين هذه الأصوات الداخلية الملحة ونتيجة هذا الصراع هو الذى يحدد «مسار» الرواية .



كمباراة شطرنج ، كان الحوار . انه لا يرد على «لعبتى» الا بتأن شديد وفهم كبير . لايتهور . واذا تحمس ، فمن باب اتقانه . واذا صمت ، فهو يفكر . واذا ضحك فهو يفكر ايضا ولكن باسلوب آخر . وليس من الضرورى ان يعبر هذا الضحك عن سعادته ! ان مفردات سعادته او تعاسته، مفردات خاصة به !

وقد كان من الضرورى ان اتسلل اليه . فهو لا يحب البدايات المحددة . لقد اعترف لى مره انه يعشق «اللعب بالأسلوب» .

قال مرة «احب ان اوجد فى قلب مباراة لم اتفق مع خصمى على اللقاء» . ولكن كيف ابدأ المباراة بدون صفارة الحكم .

ان تجربة الحوار مع فتحى غانم ، مغامرة . ولكن كان من الضرورى ان امضى فى الشوط الى اخره .

... ...



قلت للروائي المكار وانا استخدم أسلوبه فى الحوار .. ماذا كان رؤاك فى رواية الساخن والبارد ؟

أخذ يجتر ـ فيما أظن ـ شخوص هذه الرواية ، لأنه أجاب بعد قليل . وقال : فى «الساخن والبارد» ، طرحت قيمة لقاء الشرق بالغرب . والفرق بين الانفعال العاطفى والصدق العاطفى مقابلة بين حضارة من الشرق وتقاليد من الغرب . امتحان للقيم فى الشرق وامتحان للطبائع فى الغرب .

قلت لفتحى غانم : ولكنك لم ترس على شاطىء . طرحت القضية وعقدت الامتحان .. ولم نصل معك الى قاعدة .

دعنى أسالك ، هل الرواية ، عمل فنى يجب ان يتحرر من الاحكام ؟

قال فتحى غانم : أنا شخصيا ، لا أميل إلى الأحكام القاطعة فى الفن . الاحكام فى الفن كالاحكام فى الحياة . فالحياة مستمرة وهناك متغيرات ولا اظن ان هناك عاقلا يقف جامداً عند احكام بعينيها . فالأمر نسبى . المهم ان نفهم انفسنا فى ظروف معينة ومناخ معين . ونعرف ان ما يصدر عنا من احكام فى هذه الظروف ليس خالداً بالضرورة . انه متغير .. كالحياة تماماً . وانا اعتقد انه ليس من مهمة الفنان اصدار احكام قاطعة ونهائية .

... ...

شعرت أننى فتحت شهية فتحى غانم للحوار . كان يصغى لتساؤلاتى بشدة ويسمح لى بمقاطعته أحيانا ويوافق بهز رأسه على بعض ملاحظاتى ويدخن بسعادة . كنت أراه فى احسن حالاته . كانه يكتب فصلا من رواية جديدة . كانه يلعب مباراة شطرنج بصفاء ذهنى كبير .

قلت له : أريد أن اقترب منك اكثر وافهم الأرضية الذهنية التى ترتكز عليها كروائى . اننى احس أن الانسان هو بطل مسرحك الذهنى . انك تضع «ابطالك» امامك وتحركهم كقطع الشطرنج . انك تختار «اقدارهم» ومسارها !

شرد منى فتحى غانم .. شرود من يريد تجميع أفكاره وصارحنى بأنه لأول مرة ـ يفاجأ بهذا السؤال : «الأرضية الذهنية التى يرتكز عليها» . قال وقد انخفض صوته .. أصبح الايقاع ابطأ :

ـ الحياة كمعركة فى مواجهة الفناء .. الموت . قدرة الانسان على أن يحيا . حياة الانسان هى وجه للحياة ووجه آخر للموت . كلما انغمس الانسان فى الحياة انغمس فى الموت . تحقيق الحياة بخصوبة وفاعلية هو تعرض للموت . القدرة على الصمود والاستمرار هو التحدى فى كل لحظة للموت . بلوغ ذروة النضج فى الحياة هو الوصول الى الحكمة التى تجعل الانسان قويا فى مواجهة الموت وقادرا على استقباله . هذه المعانى تشغلنى ! لا تحددنى فى اطار . لا تحسبنى فى اقوال . اطلق يدى !

قلت لفتحى غانم : فى روايتك «الرجل الذى فقد ظله» تقترب فى الأسلوب من «رباعية الاسكندرية» .. هل اخطأت ؟

قال بلا مبالاة : ربما ! (لا مبالاة فتحى غانم عفوية احيانا ومرسومة كثيرا) ثم اعتدل فتحى غانم فى جلسته وقال : الأسلوب عندى يحقق لى متعة ، وانا أحب اللعب ! أحب ان اجرب فى كل مره أمسك بقلم . مغامره فى الأسلوب ! أحيانا اتلذذ كثيراً بتصوير الأحداث من خلال منولوج داخلى . أحيانا أتوقف عن اصدار أى احكام حتى على انفعالات الأبطال والشخصيات فى الروايات واعتبر نفسى كاميرا تصور تصويراً بارداً وارقب ما سوف يحدث ! أحياناً أتأمل العلاقة بين موقف خاص جداً وقضية عامة فى كل مره ابحث عن زوايا فى الحياة واستخدام «الأسلوب» الذى يناسب . فالأسلوب هنا ، وسيلة وليس غاية .

قلت للروائى : ان عدسة الصحفى ـ مثلى ـ مفتوحة دائما .. فهل عدسة الروائى ـ مثلك ـ مفتوحة بنفس الزاوية ؟!

أجاب : الاحساس بصور الحياة ومواقفها وانفعالاتها لا يتوقف أبداً . هناك دائماً «ردود فعل» تؤثر فى أعصاب الانسان وقد تعطله عن التفكير . أنا اعترف لك ان جهازى العصبى من النوع المشتعل الذى يستقبل الاشياء بحده وان لم يظهر ذلك أمامك ! أحياناً أسمع إنسانا يقول : امضيت وقتا مريحاً ودخنت سيجارة .. ويسترسل فى وصف لحظات هنائه .. اعترف لك اننى لا أعرف هذه المشاعر ولا أظن اننى اقضى مع الناس وقتا مريحا . هل هناك خلل ما فى جهازى العصبى ؟ لا أدرى !

قلت لفتحى غانم : لو قمت بزيارةمكتبك .. فمن ساقابله ؟

ضحك وقال : سوف يستقبلك بالنيابة عنى أرسطو . ان كتابه «الأخلاق» مهم جداً بالنسبة لى . ان كتب أرسطو تحتل مكانا فى مكتبتى . وأرسطو ، يمثل لى ان العقل الانسانى عقل ناضج منذ زمن بعيد وعلينا الا نضيع وقتنا فى قضايا فكر فيها غيرنا ووصلوا فيها الى احكام عميقة وحققوا بتجاربهم الانسانية نتائج وليتنا نتعامل مع المعانى التى تركوها فتوفر لنا الوقت .. والجهد !

... ...

قلت لفتحى غانم : لمحت شعاعاً من السعادة ، ترجمه وميض فى عينيك .. ولم افهم سره المفاجىء !

ظل يضحك على ملاحظاتى وقال ان درجة قوة الملاحظة عندى تصل الى ما فوق المائة . وهى مرهقة لنفسى وللآخرين ثم أجاب وقال : سر سعادته المفاجئة ، لقد كنت اقرأ قبل ان اقابلك اعترافاً عالمياً بمحاولاتى الأدبية . كنت اقرأ المقال الرئيسى للناقد الأدبى للصاندى تايمز اللندنية . كان يقارن بين الرجل الذى فقد ظله ورباعية الاسكندرية لداريل . ربما كان هذا الناقد رقم ثلاثين من العالم الذى تصدى لاعمالى بالاحتفاء والنقد والدراسة . كان هذا بمثابة مدرسة لى ، وارى فيها نفسى على مستوى عالمى . لقد تجاوزت حدودى المحلية واصبح لى قارىء ـ بعد ترجمة مؤلفاتى ـ على المستوى العالمى . وهذا يشيع فى نفسى السعادة ويريحنى .

سالت فتحى غانم وانا احافظ على شعاع السعادة الذى كان لايزال واقعاً تحت تأثيره .

ـ لماذا لم تتواصل الأجيال الأدبية بعد جيلكم الذى يمكن وصفه بجيل الوسط .

ويبدو ان كلمة «تتواصل» لم تعجب فتحى غانم ، لأنه كشر عندما ذكرتها .. واشعل سيجارة وقال فى وصلة صراحة .

احب أن اقول لك ان حكاية «تواصل» الأجيال الأدبية ، مجرد انشاء لغوى . فنحن لم نتسلم الرسالة من جيل العمالقة الذى سبقنا . ولن نسلم الرسالة للجيل الذى يأتى بعدنا ! اننى افتح لك قلبى واحدثك بصراحة شديدة ! لقد اخذ جيلنا مكانه من جيل العمالقة بالدراع ! لقد فتحنا عيوننا نحن ـ جيل الوسط ـ كما تصفه ، فوجدنا : عميد الأدب د. طه حسين والأستاذ توفيق الحكيم والكاتب الكبير عباس العقاد والأستاذ محمود تيمور والأستاذ عبد القادر المازنى . عالم منفصل عنا تماماً . وقد كانت لى ظروف خاصة عرفت فيها العقاد عن طريق والدى رحمه الله . فقد كان صديقاً للعقاد .. وذكر العقاد اسمى فى كتابه «عابر سبيل» وهويرثى والدى .

لقد خطر ببالى ان نتصدى لهؤلاء العمالقة ولا ننتظر منهم المن والسلوى . فماذا فعلت ؟! قررت ان افكر بشكل عملى وأتساءل: لماذا جئت انا كأديب . وما هو دورى ؟ ربما أملى على هذا التفكير ما قرأته لبرناردشو يومئذ «يوم هاجمت شكسبير ، ولد لى قلم بأسنان كاملة» !

كنت قد قررت أن اهاجم طه حسين ! كتبت سلسلة مقالات فى الخمسينات . بعنوان «طه حسين عقبة كبيرة أمام القصة ..» واذكر أن د. طه حسين استدعانى ليعرف هل اكتب عن «فهلوه» أم قناعة . وذهبت اليه فى بيته بفيلا راماتان بشارع الهرم .. وقلت له بثقة شديدة كل ما اريد . يومئذ ، من الممكن أن اقول ، لقد ولد لى قلم بأنياب ! وتحركت البحيرة الراكدة اكثر عندما اصدرت انا والدكتور رشاد رشدى بياناً عن القصة القصيرة وكيف ينبغى أن تكون . وغضب يومها الراحل يوسف السباعى واعتبرها اهانة أدبية سليطة ! وبعد قليل هاجمنا يوسف السباعى فى مجلة مسامرات الجيب واطلق علينا أنا ورشاد رشدى «ليز» و «لين» . نسبة الى راقصتين شهيرتين فى ذلك الوقت !!! وكان عنوان مقاله : ليز ولين القصة المصرية !

أردت ان اذكر لك هذه القصة لأدلل ، كيف تسللت الى شارع الأدب الذى يسيطر عليه الاساتذة والدكاترة الكبار . كان ذلك .. بالدراع ! وفى اعتقادى ان الجديد الموهوب لا يجب أن ينتظر ، فسوف يطول انتظاره بدون جدوى ، عليه ان يتصدى .. للمعركة . عليه أن «يتكلم» ليحفر باظافره مكاناً لنفسه . على الأديب الشاب ان يعبر عن نفسه بدون خوف فاما ان يكون أو لا يكون !

....

صمت .. فجأة .. فتحى غانم .

طال الصمت ، فشعرت انه دخل «محارة» نفسه . ان الفنان يحس احياناً انه أقام خارج نفسه ، وقتاً ربما أطول مما ينبغى ، فيعود على الفور ، وكأنه يلوذ بهذه النفس من صخب العالم . «يرتد الى ذاته» كما يقول برتراند رسل ! فهل انقطع الحوار بينى وبينه ؟

لا أظن ..!

اننى أحاول أن أجعل من «الجلسة» ، مباراة شطرنج . وهى الشئ الوحيد ـ بعد الرواية ـ الذى يستغرقه تماماً .

وكان خراج فتحى غانم من محارته عملية صعبة .. ومع ذلك التقطت منه بعض الملامح التى كان لابد لها لاستكمال الصورة .

●● «فى تلك الأيام» ، قصدت أن أقول إنه لا جدوى من الارهاب السياسى . فى قصتى «الرجل الذى فقد ظله» ، كنت أركز على ان الحقيقة لها أربعة وجوه . وفى قصتى «زينب والعرش» قصدت ان عرش الانسان هو ارادته وزمام نفسه .

●● «انا اكتب فى أى وقت وقلمى هو الذى يخط ولست أنا . وأكبر مغامرة لكاتب . هى لحظة العلاقة بين القلم والورقة !» .

●● «الشطرنج ، لعبة مرهقة وجاده ، وهى رياضة عقلية تتطلب جهداً وجداً وجلداً» .

●● «اهتمامى الشديد بالموسيقى الكلاسيك أبعدتنى عن الطرب الشرقى . فهل أفسدت ذوقى ؟!» .

●● «الرحلة فى المكان تساوى عندى رحلة فى الزمان . فاذا قطعت مائة كيلو ، معناها اننى امضيت عاماً كاملاً» .

●● «أنا امتداد فى السلوك الخاص ومعاملة نفسى بالكاتب عباس العقاد . ان له فى نفسى صورة الكاتب . وقد بهرنى توفيق الحكيم وأخذت منه حلاوة الجملة وتركيزها وغموضها أحياناً واناقتها والتعرف على العالم الغربى وأشكاله المعمارية . قد تعلمت من د. طه حسين دقة اللغة وتقديس الكلمة وترديدها وتكرارها بانغام موسيقية» .

وفى العمل الصحفى ، تتلمذت على يد على أمين ومحمد التابعى .

●● تأثرت بكتابات هيمنجواى . لقد فرحت بأسلوبه المحدد ، الخالى من التشبيهات والاستعارات . تابعت ايضاً كتابات القصاصه الانجليزية «كاترين مانسفيلد» ونبهنى القصاص الفنان سعد مكاوى الى «البير كامى» فشرعت اقرأ كل ما كتبه كامى بلذة غامرة .

و ..

ولم يكن الحوار مع فتحى غانم ، مجرد «جلسة حميمه» للنشر فيما بعد .. بقدر ما كانت عملية «تعارف» تتم ببساطة ودون افتعال . عملية تعارف بين كاتب وقرائه الأحباء .

وكنت أنا .. الجسر !

ومازلت وانا انقل وقائع اللقاء بالكاتب الروائى فتحى غانم ، اذكر كلماته . «انا كاتب معركة الكلمة . نعم حملتنى الكلمة لأقاصى صعيد مصر وكتبت . حملتنى الى القطب الشمالى وكتبت . حملتنى الى أعماق نفسى وكتبت . ولاتزال الكلمة هى المغامرة . والمغامرة هى الكلمة» .

«مفيد فـــوزى»





رءوف توفيق





مأزق المخرجين الشبان .. في السينما المصرية



محمد صبحى وكمال الشناوى فى فيلم «الكرنك» من اخراج على بدرخان

إن اى متامل لخريطة السينما المصرية ، فى السنوات العشر الاخيرة .. يلاحظ بوضوح شديد .. زيادة نسبة المخرجين الشبان ، الذين اقتحموا مجال العمل السينمائى .. وقدموا انفسهم من خلال الافلام على مر تلك السنوات .

اغلبهم درس فنون السينما اكاديميا ، فى المعهد العالى للسينما بالقاهرة ، والذى انشىء فى اكتوبر عام ١٩٥٩ .. وعدد قليل منهم جاء للسينما من التلفزيون .

وصاحب ظهور هؤلاء المخرجين الشبان ، موجة من الترحيب والتفاؤل .. فقد كانت هناك امال كثيرة معقودة على الجديد فى الشكل والمضمون ، الذى سيغيرون به مسار السينما المصرية الى الافضل .. وكلما تعثر واحد منهم .. كان المتفائلون يقولون ان امالنا مازالت متجددة فى الشبان الآخرين .. انهم سيحققون لنا كل ما نحلم به للسينما !

ولكن .. تكرر السقوط .. الواحد تلو الآخر !

وظل المتفائلون على موقفهم .. إن هذا السقوط لا يعنى اكثر من كبوة جواد ، .. والانطلاق حتما سيحدث !!

والآن .. ما الذى تبقى من كل هذه الآمال والأحلام !

من يمسك بالأموال .. فى السينما ؟!

منذ البداية .. لابد من إقرار حقيقة .. إن مناقشة هذا الموضوع لا تستهدف إصدار حكم بالادانة .. أو البراءة على



ماجدة الخطيب وشكرى سرحان فى فيلم «زائر الفجر» اخراج ممدوح شكرى

مسيرة هؤلاء المخرجين الشبان ..

والأمانة تقتضى أن نناقش وضع هؤلاء المخرجين .. داخل إطار الوضع الاقتصادى ككل للسينما المصرية ..

فظهور مخرج جديد .. واستمراره فى العمل .. مرهون الى حد كبير بمن يمسكون بالأموال فى قطاع السينما !! وكيف ينظرون الى السينما ؟ وكيف يحركون الأموال لتحقيق هذه النظرة ؟!

فعندما كانت الدولة تشرف على قطاع السينما ، اشرافا كاملا فى التمويل والانتاج والتوزيع (فترة ما اطلق عليه القطاع العام فى السينما من عام ١٩٦٣ الى عام ١٩٧١) .. ورغم كل الأخطاء الادارية التى صاحبت هذه الفترة ، إلا ان النتيجة المشرفة والباقية ، هى فتح المجال أمام المخرجين الشبان ، لتطعيم السينما المصرية بالدماء الجديدة .

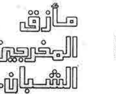
وأعطت الدولة فرصة العمل والتجربة .. !

وكما يحدث فى كل تجربة جديدة .. كان لابد من حدوث نسبة الخطا ..

وتحملت الدولة ثمن هذا الخطا فى مقابل تحقيق الهدف .. وواصلت رعايتها واحتضانها للمواهب الشابة ..

ولكن عندما تركت الدولة ، للقطاع الخاص ، مهمة تسيير عجلة الانتاج السينمائى .. وجد المخرجون الشبان ، انهم فى مفترق طريقين : إما الاصرار على أفكارهم وأحلامهم ورؤيتهم للسينما الجديدة .. وإما تقديم التنازلات ، والرضوخ لرغبات صاحب المال !!





وكلا الطريقين .. صعب .. ومرير !
فالطريق الأول يعنى الانتظار الطويل .. والبطالة التى تمتد الى حين العثور على صاحب المال الذى يقتنع بالمغامرة ، ويؤمن بالجديد .. وقد لا يتحقق هذا .. وتكون النتيجة مزيداً من الانتظار ، والبطالة ، واليأس !

أما الطريق الثانى .. فيعنى أن قبول مبدأ التنازل ، سيؤدى حتماً الى مزيد من التنازلات .. حتى يتحول الفنان المبتكر الى مجرد أداة فى يد صاحب المال !
وكان على المخرجين الشبان .. أن يقرروا مصيرهم ومستقبلهم .. وأن يكتووا بنيران التجربة .. وأن يتحملوا النتائج مهما كانت ..

سيطرة الموزع الأجنبى

ومشكلة السينما المصريـــة ، أنها عاشت ومازالت تحت رحمة الموزع الأجنبى عنها ، والذى يملك حق توزيع الفيلم فى المنطقة العربية ، وبالتالى يتحكم فى نوعية الفيلم وموضوعه وممثليه ومخرجه !! .. فهو الذى يمنح «سلطة التوزيع» والتى على أساسها يتحدد ميلاد الفيلم .. فمن خلال هذه السلطة يتحرك دولاب العمل . !
والموزع الأجنبى بذكائه التجارى ، يعرف حقيقة هامة فى اقتصاديـات السينما المصرية .. إن الفيلم المصرى لا يمكن أن يغطى تكلفته من إيراد العرض داخل مصر ، نتيجة قلة دور العرض السينمائى التى يمكن من خلالها أن يتنفس الفيلم ويعيش .. وبالرغم من أن تعداد سكان مصر تعدى رقم ٤٢ مليون نسمة .. إلا أن دور العرض السينمائى لا تزيد ، بل تتناقص نتيجة عوامل القدم وعدم الصلاحية ، أو لأن أصحابها هدموها ليستغلوا مساحتها فى بناء العمارات السكنية التى تدر عليهم دخلا مرتفعاً .. وفى آخر احصائية عن عدد المترددين على دور السينما فى مصر (عام ٧٨) .. بلغ الرقم حوالى ٧٠ مليوناً.

ومع افتراض أن الفرد الواحد يذهب للسينما عشر مرات فى السنة ، فمعنى هذا أن من يذهب للسينما فى مصر يصل تعدادهم الى سبعة ملايين نسمة فقط .
وان هناك مناطق كثيرة فى مصر لم تصلها السينما . كمكان ثابت وصالح دائماً للعرض . !

ولكل هذه الأسباب .. فان الفيلم المصرى يغطى ٤٠ بالمئة من تكلفته ، من الايراد المحلى .. أما الباقى فمن الايراد الخارجى ! . ومن هنا يمسك الموزع الأجنبى برقبة السينما المصرية !

الحصار يواجه الشباب

وهذا الموزع الأجنبى يعرف كيف يحافظ على أمواله ، وينميها بكل الطرق .. انه يلعب دائماً على المضمـــور .. ولا يغامر إلا بحساب شديد ، ولمصلحة خاصة يريد أن يحققها ، أو لاثبات حسن نيته .
وهو عندما يتعامل مع مخرج جديد شاب .. فهو يضع فى حسابه أن هذا المخرج الجديد لن يطلب أجراً كبيراً ، ولن تكون له اشتراطات المخرج القديم ..
وهذا الموزع الأجنبى ، التاجر دائماً ، ينظر للأمور بنظرة حسابية بحته .. فقد يستطيع أن يوفر ألفين أو ثلاثة آلاف من أجر المخرج الشاب .. ولكنه فى نفس الوقت يؤمن بأنه ليس من أجل مليم ملح يفسد الطبخة ــ على حد تعبير المثل الشعبى المصرى ــ ومن هنا فهو يشترط نوعية الموضوع الذى يقدمه هذا المخرج الشاب الجديد ، ويحدد أيضاً الممثلين النجوم أصحاب الأسماء اللامعة والذى سيبيع الفيلم بأسمائهم !


عادل امام وليلبة فى فيلم «خللى بالك من جيرانك» للمخرج محمد عبد العزيز



يسرا فى فيلم الثأر (اخراج محمد خان)



فريد شوقى وفيلم «لا تبكى ياحبيب العمر» .. اخراج احمد يحيى

أى أن الحصار يواجه المخرج الشاب من كل جانب .. والكماشة تطبق على حركته .. ويصبح مجال الابداع محدوداً جداً !

وهكذا وجد المخرجـــون الشبان أنفسهم فى مأزق ! .

كيف يثبتون الجديد الذى جاءوا من أجله ؟

وكيف ينافسون القديم ؟

وكيف يبررون دراستهم الأكاديمية لفن السينما .. واعجابهم الشديد ببعض التيارات السينمائية الغربية ، ونجومها اللامعين فى الاخراج ؟!

لابد أن هناك منفذاً للتعبير عن أنفسهم . واختلفت المحـــاولات .. وتباعدت . واهتزت المؤشرات بيـــن الارتفاع والهبوط . ولنتوقف أمام بعض الأسماء .

مخرجون ومحاولات

● حسين كمال .. المخرج الذى انتقل من التلفزيون الى السينما .. ليقدم أول أفلامه السينمائية «المستحيل» عن قصة للدكتور مصطفى محمود ، عام ٦٥ فى ظل رعاية الدولة للسينما ، وسياسة فتح الأبواب للمواهب الجديدة الشابة.. ويحقق حسين كمال فى هذا الفيلم الأول، مستوى فنيا متميزا ، يلفت الأنظار اليه .. ثم يحقق قدراً أكبر من الموضوعية والفن فى فيلم «البوسطجى» عن قصة يحيى حقى ، عام ٦٨ .. وفى العام التالى يفاجىء الجمهور والنقاد .. بفيلمين متناقضين تماماً .. «شىء من الخوف» .. و «أبى فوق الشجرة» .. وتكتمل المفاجأة الغريبة ، بالنجاح التجارى الهائل الذى حققه فيلم «أبى فوق الشجرة» بطولة عبد الحليم حافظ .. وتهتز الصورة أمام المخرج حسين كمال .. هل يقدم أفلاماً ترضى المثقفين والنقاد .. أم يقدم أفلاماً تجارية سهلة ترضى الجمهور العادى ؟! .. وكان قضية الفن لا تحسم إلا بهذه الحدود الفاصلة !

وتلقائياً ينحاز حسين كمال الى الفيلم التجارى .. وإن كان لم يفقد قدرته على التجديد فى الأسلوب الفنى .. والاهتمام بالشكل !

● أشرف فهمى .. تعرف عليه الجمهور ، من خلال فيلم «ليل وقضبان» عام ٧٣ واستقبله النقاد بحفاوة بالغة .. فهو خريج المعهد العالى للسينما والذى سافر الى أمريكا لاستكمال دراسته .. ليعود مبشراً بميلاد مخرج شاب يعرف كيف يستخدم أدواته الفنية ، وفى نفس الوقت يتعرض لموضوع حساس يناقش سلطة القمع والارهاب .. ولكن لأسباب تجارية محضة ، لا يحقق هذا الفيلم النجاح المتوقع .. ويستسلم أشرف فهمى لرغبات المنتجين والموزعين ، وتسيطر عليه فكرة عبثية تماما ، أن يحاول منافسة المخرجين الذين يحطمون الأرقام القياسية فى الايرادات من خلال أفلام مخدرة فيها كل عناصر الطبخة التجارية من عنف وجنس وإثارة .. وبالفعل يدخل أشرف فهمى هذه التجربة تحت تأثير العناد وإثبات أن النجاح التجارى شىء سهل !! ويعود أشرف من هذه التجربة والتى يطلق عليها «سنوات الانتشار» ..

ويراجع نفسه .. ويقرر أن يسترد زمام الأمور الى يده ، ويختار أفلامـــه ... مستفيداً من كل محاولاته السابقة ، فيقدم فى العامين الأخيرين «مع سبق الاصرار» .. «ولايزال التحقيق مستمراً» .. ويحقق النجاح الفنى والتجارى .. ويكسب من جديد ثقة النقاد ..

● محمد راضى .. وعلي عبد الخالق .. اسمان بارزان فى «جماعة السينما الجديدة» التى تشكلت عام ٦٩ لخلق تيار سينمائى جديد ، يعبر عن الواقع المصرى ، ويرفض الأشكال التقليدية للسينما المصرية ..

وقد كان تشكيل هذه الجماعة ، خطوة





جريئة وجادة من شباب السينما المثقف المتحمس للتغيير ، ولتقديم الجديد .

وظهر اول فيلم من انتاج الجماعة فى عام ٧٢ .. «اغنية على الممر» للمخرج على عبد الخالق .. وكان الفيلم موحيا بمعان واحلام كثيرة .. ولكنه لم ينجح تجاريا ! .

ثم تبعه الفيلم الثانى من انتاج الجماعة .. وهو فيلم «الظلال على الجانب الآخر» للمخرج غالب شعث .. والذى عرض عام ٧٥ بعد انتهاء العمل منه باربع سنوات ، ظل الفيلم خلالها حبيس العلب الصفيح ، وظل المخرج حبيس الانتظار والقلق .. ولم يحقق الفيلم النجاح التجارى ، رغم ارتفاع مستواه الفنى ، واهمية الموضوع الذى يتناوله عن القضية الفلسطينية .

وهكذا اختفى المخرج على عبد الخالق بعيدا عن الاستوديوهـــات .. واختفى المخرج غالب شعث بعيدا عن مصر .. اما رئيس الجماعة ، المخرج «محمد راضى» فقد دخل فى محاولات تجريبية من خلال فيلميه «الحاجز» و «الابرياء» .. ولم يستطع ان يحدد هويته الفنية او قضيته الفكرية .. ثم فجأة يلمع اسمه ويحقق بعض الآمال المفقودة فى فيلمه «ابناء الصمت» عام ٧٤ .. وهذا الفيلم يعتبر حتى الآن من افضل الافلام التى عبرت عن مشاعر واحاسيس الجندى المصرى فى معاركه مع العدو الاسرائيلى .

ولكن .. ككل الأشياء التى تقع بلا منطق فى السينما المصرية ..

تفككت جماعة السينما الجديدة .. وراح اغلب اعضائها يبحثون عن طرقهم الخاصة فى خضم الامواج العاتية للسينما المصرية .. وفجأة تحول المبشرون بالسينما الجديدة ، الى منقذين تقليديين للافلام التى تكتلوا لرفضها !!

فنرى المخرج «على عبد الخالق» يقدم فى عام ٨٠ «الابالسة» بطولة فريد شوقى .. و «عذاب الحب» بطولــــة عمـــاد عبد الحليم .. وكلا الفيلمين صدمة حقيقية !

أما المخرج «محمد راضى» فيقدم فى عام ٨٠ فيلم «الجحيم» بطولة عادل امام .. وهو فيلم تجارى بحت يعتمد على شعبية الممثل النجم عادل امام .. وفيه كل عناصر الفيلم التقليدى من عنف واثارة ومصادفات غريبة !!

واسماء اخرى

وما حدث بالنسبة لتلك الاســـماء الشابة فى فترة الستينات ومنتصف السبعينات .. حدث بشكل اكثر قسوة لعدد آخر من اسماء المخرجين الشبان فى السنوات الخمس الاخيرة ..

فنجد المخرج على بدرخان الذى قدم نفسه للجمهور من خلال فيلم «الحب الذى كان» والذى بشر به مخرجا حساسا واعيا .. نراه يقدم رؤيته السياسية فى فيلم «الكرنك» فيصيبنا بالحيرة والدهشة .. انه مخرج جيد بلا شك .. ولكن ما الذى يريد أن يقوله فى هذا الفيلم ؟ .. وهو نفس السؤال المحير الذى يتبادر للذهن بعد مشاهدة فيلمه التالى «شيلينى واشيلك» .. ثم يعود الى مستواه الأول فى فيلم «شفيقة ومتولى» .

والمخرج احمد يحيى .. هذا الشاب الذى قدم بنجاح فيلم «العذاب امرأة» .. نراه يتورط بعد ذلك فى ميلودرامية فاقعة «لا تبك يا حبيب العمر» ـ «حب لا يرى الشمس» ـ «ليلة بكى فيها القمر» ..

والمخرج احمد ياسين .. خريج معهد السينما والذى كرر عيوب كل المخرجين التقليديين فى فيلمه «الملاعين» .. ثم غاب عن الساحة !

والمخرج سمير سيف .. الشاب البارع فى تقديم افلام الحركة والاثارة على غرار المدرسة الامريكية .. فيقدم «دائرة الانتقام» اول افلامه .. ثم يسقط متخبطا فى متاهة السينما التجارية «قطة على نار» «ابليس فى المدينة» .. واخيرا «المتوحشة» .

والمخرج محمد عبد العزيز .. أكثر المخرجين الشبان انتاجا .. ولكن يحتار الناقد فى تحديد مستواه .. فهو احيانا مخرج جيد فى فيلم «انتبهـوا ايها السادة» .. واحيانا كثيرة مخرج متوسط .. او عادى جدا .. فى فيلم «رجل فقد عقله» وفيلم «شفاه لا تعرف الكذب» وفيلم «غاوى مشاكل» .. وكل هذه الافلام عرضت له فى عام واحد .. وهو عام ٨٠ ..

والمخرج الجديد محمد خان .. الذى اقتحم دائرة الضوء فى العام الماضى من خلال فيلميه «الرغبة» و «ضربة شمس» .. انه يبهرنا بالأسلوب الفنى الأنيق .. ولكن يبقى الاسلوب كمجرد شكل براق يخفى وراءه موضوعا تقليديـــا او


سعاد حسنى فى فيلم «المتوحشة» .. اخراج سمير سيف


نور الشريف فى فيلم «الرغبة» اخراج محمد خان



عماد عبد الحليم ونجوى ابراهيم فى فيلم «عذاب الحب» من اخراج على عبد الخالق

موضوعا مستوردا من الخارج ؟!

وربما كانت هذه قضية اغلب المخرجين الشبان .

الهروب من الموضوع الجاد

فالاهتمام بالشكل .. والبحث عن اسلوب فنى متميز .. يطغى تماما على تفكير اغلب المخرجين الشبان .. ولعل السبب فى ذلك .. انهم يحاولون المرور من بوابة السينما المصرية دون اى صدام حقيقى مع اصحاب شركات الانتاج .. والموزعين الاجانب .. واى صدام اخر مع الرقابة .. !

انهم يريدون العمل .. بلا مشاكل .. او بمعنى ادق باقل قدر من المشاكل .. حتى كادت صيغة العمل ان تكون : «اصنع فيلما ولا تتوقف .. فلن تغير وحدك حال السينما» ؟!

وبهذا المنطق تستمر عجلة الانتاج فى السينما المصرية .. حتى لا تكاد تشعر بفرق واضح .. بين ما يقدمه مخرج قديم ، وما يقدمه مخرج شاب .. إلا فى بعض المحاولات الفنية كاستخدام عناصر التصوير والمونتاج والديكور والموسيقى .

اما الموضوع .. اساس الفيلم .. فيكاد يكون محصورا داخل النطاق الامن ! .

وتصبح محاولة اقتحام الموضوع الجاد او الجرىء .. محاولة محفوفة دائما بالمخاطر .. والمصاعب ..

وربما ينتظر اصحابها الشــــهور والسنين لكى يظفروا بها او ببعضها .. وعليهم ان يدفعوا ثمن هذا الانتظار من عمرهم وقوتهم اليومى ..

هل يتحقق هذا الحل ؟

ولا حل ـ فى رايى ـ سوى تكتل شباب السينما المصرية فى جمعيات فنية ، تعرض شروطها .. وتحقق بتكتلها ضرب حصار التجار والموزعين ..

فهؤلاء الشباب بما يملكون من موهبة ، وبما يملكون من تاثير فى مواقع العمل داخل السينما ، فى كل الفروع من التمثيل والاخراج والتصوير والمونتاج .. الخ .. يستطيعون ان يختاروا لانفسهم الصيغة الجديدة التى يغيرون بها وجه الشاشة المصرية .. وفى نفس الوقت يحققون الحلم الذى طالما تغنوا به ..

ولن ياتى هذا .. إلا بالتخلى عن الفردية .. واللهفة على الشهرة والمال ..

ولكن يبدو ان هذا المطلب اصبح صعبا جدا فى هذا الزمان ..

وعلينا ان ننتظر .. فمن يدرى ؟!

«رءوف توفيق»

د. عبدالمحسن صالح

نبات يمرض وإنسان "يهلوس"!

في اثناء الحرب العالمية الثانية عكف دكتور البرت هوفمان وزملاؤه في مؤسسة «سويس» الدوائية بسويسرا على تحليل محتويات فطر او عفن أسود اللون «صلب القوام» ، وفي ذات يوم من أيام عام ١٩٤٣ شعر هوفمان باحساس غريب دفعه لان يهجر معمله ، ويتوجه الى منزله ، والى هنا يقول : «لقد رأيت من صالحي أن اترك عملي ، لانني دخلت في حالة من القلق الممزوجة بدوار غريب ، وعندما استلقيت على سريري ، احسست كانني مخمور بشعور لذيذ مصحوب بخيال مثير .. وعندما اغمضت عيني ، مرت بخيالي صور غريبة تتميز بالتحرر والانطلاق من كل ما هو معروف للحواس !» .

وعندما أفاق هوفمان من ملذاته وتصوراته الجميلة ، بدأ يراجع نفسه ، عله يتوصل الى السر في حدوث هذه الحالة الغريبة ، وعندئذ قادته حاسته العملية الى افتراض ما ، وربما تساءل : هل يمكن ان يكون هذا الشعور نتيجة لظهور مادة كيميائية ، وان الصدفة السعيدة قد لعبت دورها ، وقدمت لي وللبشرية «هدية» لم تكن تداعب خيالي ، ولا هي كانت هدفي الذي اسعى اليه في معملي ؟ .

ربما .. فهناك صدف في العلم قد تمخضت عن اكتشافات لم تكن في الحسبان ـ وربما اعاد التاريخ نفسه مع قصة اخرى حدثت قبل ذلك بمائة وثلاثة واربعين عاماً .. ففي عام ١٨٠٠ ، وبينما كان الكيميائي الشهير «سير» همفري ديفي يسخن احد الأملاح النيتروجينية ، انطلق غاز شفاف ، وبدأ يستنشقه دون وعي منه ، وعندئذ شعر بأن شفتيه قد انفرجتا ، وبدأ كأنما هو يضحك ببلاهة ، وران عليه شعور غريب ولهذا اطلق عليه اسم «الغاز المضحك أو المبهج» (وطبيعي انه عرف أنه أمام غاز جديد اطلق عليه اسم أوكسيد النيتروز) ، واشار الى امكان استخدامه في التخدير ، لكن احداً لم يأخذ كلامه على محمل الجد ، وبعد ٤٤ عاماً أقيم معرض بولاية كونيكتيكت الأمريكية ، والغريب أن المعرض قد اطلق عليه «المعرض الكبير لاستنشاق الغاز المضحك» ، والأغرب أن الدعوة فيه كانت مقصورة على علية القوم ، وعلى لافتة كبيرة ، كتب اعلان مضحك ، جاء هكذا : «عليكم ان تستنشقوا الغاز المضحك ، لتضحكوا وتغنوا وترقصوا وتمرحوا أو تتشاجروا .. فكل انسان حر في سلوكه ، وعلى حسب ما تمليه اخلاقه» .. وعلى هذا الاعلان يجيء بعده تعليق طريف مكتوب هكذا : «اغلب الظن ان احداً منكم لن يتشاجر ، لأن الغاز سيقدم فقط للسادة ذوي المهابة والاحترام .. ثم انه معرض اقيم خاصة لعلية القوم !» .

ونحن نقص عليك ذلك ليس للمزاح أو التسلية ، بل لنعرض صورة غريبة من سلوك الناس وسذاجتهم في تناولهم لبعض الجوانب العلمية ، ثم ما تمخض عن ذلك من صدفة اخرى طيبة التقطها طبيب اسنان كان يمزح ويتسلى مع المازحين في هذا المعرض الغريب .. المهم أن احد الحاضرين قد استبد به الحماس فاستنشق الغاز بشغف ، ربما ليطرب اكثر ، لكنه بدأ وكأنما هو يريد ان يتشاجر ، فقفز من على المسرح المنصوب كثور هائج ، لاكسيد مهذب من علية القوم وعندئذ اصطدم بحاجز معدني قائم ، فجرحت ساقه جرحاً بليغاً ، واعترف بعد ذلك انه لم يشعر بالألم رغم الأصابة والتقط طبيب الأسنان هذه الملاحظة العابرة ، واستخدم الغاز بعد ذلك في تخدير مرضاه اثناء خلع الضروس والأسنان ، لكن التخدير بالغاز المضحك لم ينفع في العمليات الجراحية الكبيرة ، اذ يستلزم ذلك استنشاقه بكميات وافرة ، وعندئذ تظهر خطورته ، لأن الغاز سام اذا زادت الجرعة عن حدودها .. لكن هذه الصدفة قد مهدت للعلماء فرصاً اخرى لاكتشاف سلسلة من المواد الكيميائية التي تصلح للتخدير الجراحي مثل الايثير والكلوروفورم وما تبع ذلك من مواد مخدرة وقوية ومأمونة العواقب .

والصدف التي وقعت للعلماء ، وحققوا بها اكتشافات لم تكن على البال ، صدف كثيرة ومتنوعة ، وحتى كاتب هذا المقال قد اثيب أيضاً بثلاث صدف سعيدة في حياته العلمية ، وحققنا بها اهدافاً لم تكن على البال ، لكن هذا ليس مجاله ، وقد نعود الى ذلك الموضوع لنوفيه حقه في دراسات اخرى منفصلة .

ولا أحد يعرف كيف تسربت هذه المادة الى جسم هوفمان السويسري ، وجعلته يمر بتجربة مثيرة من التصورات الغريبة اذ ربما نفذت الى دمه من خلال يديه الملوثتين بها دون أن يدري ، اذ ثبت بعد ذلك ان الآثار الطفيفة من هذه المادة قد تحدث مفعولا محسوساً .

المهم أن هوفمان ذهب الى معمله في اليوم التالي ، وكله شغف وحماس وأمل في اكتشاف شيء جديد ، وعاد الى المادة الكيميائية التي اشتقها من العفن ، وبعد أن أجرى عليها عمليات عزل وتنقية ، وتناول منها جرعة ضئيلة غاية الضالة .. وربما اقل من جزئين اثنين من عشرة آلاف جزء من الجرام .. أي غبارة لا تكاد ترى ، وبعد برهة قصيرة ، بدأ المفعول هذه المرة اقوى ، ومر بظواهر نفسية عبر

عنها بعد ذلك بقوله «لقد فقدت كل شعورى بالوقت .. ثم بدا لى وكانما الزمان والمكان قد اصبحا مختلين ، ولقد خيمت على الهواجس ، وهيات لى اننى سأتحول الى شخص مخبول ، لكن اسوا ما فى الموضوع اننى كنت واعيا تماما بوجودى وحالتى ، ومع ذلك لم استطع ان اتحكم فى وضع حد لما انا فيه .. إذ كنت أشعر أحيانا اننى خارج جسمى ، وظننت اننى قد مت ، وان ذاتى (الأنا) كانت محلقة ومعلقة فى مكان ما بالسماء وجسدى ميتا ومسجى على الاريكة ، ولقد لاحظت بوضوح وسجلت بثقة ان ذاتى الأخرى كانت تحوم فى الحجرة وهى تئن وتنوح !» .

والى هنا قد يبرز امامنا سؤال طال انتظاره : ما هى العلاقة بين كل ما سردناه ، وبين عنوان هذه الدراسة .. اى نبات يمرض ، وانسان يهلوس ؟ .

لان هلوسة هوفمان التى حلت به جاءت من مادة كيميائية مشتقة من عفن او فطر اصاب نباتا فى بعض حبوبه ، فحلت محل الحبة المصابة كتلة سوداء صلبة القوام ، لتبرز منها على هيئة اسطوانية تشبه سن القلم الرصاص ، او اكبر واسمك قليلا .. وهذا الجسم يعرف علميا باسم «الارجوت» ، وفيه تكمن عدة مركبات كيميائية صنعها الفطر ، وهى من ضمن اشباه القلويات او القلويدات (انظر دراستنا السابقة على صفحات هذه المجلة بعنوان : نباتات دخلت التاريخ) .. ولهذا قد يكمن فيها الداء ، وقد يكمن فيها الدواء .. وبجوار ذلك مادة مشتقة عزلها هوفمان ، لتصبح اغرب مادة تتمخض عنها اعظم هلوسة يمكن ان تحل بالعقول ، ومن اجل هذا جذبت انتباه العلماء واثارت فضولهم ، ولازالوا حتى يومنا هذا فى اسرارها حائرين !

اما النبات المصاب فيعرف باسم الجودار ، وهو يتبع العائلة النجيلية التى تضم اجناسا وانواعا كثيرة مثل القمح والشعير والنجيل وما شبه ذلك ، ولقد كانت حبوب الجودار تستخدم كدقيق ليصنع منه الخبز ، وقد يصبح تناول هذا الخبز خطرا على الحوامل نتيجة لاصابته بالفطر (او مرض الأرجوت) ، لأن بعض القلويدات الموجودة فى الخبز الذى جاء من الجودار المصاب ، كانت تسبب انقباضات فى الرحم ، وتؤدى الى الاجهاض ، وكانت اقدم معلومة عن هذه الظاهرة هى التى جاءتنا منقوشة على قطعة من الفخار يرجع تاريخها الى ٤٠٠ عام قبل الميلاد ، وعليها يجىء «ان من بين الأشياء الذميمة التى خلقت ، تبرز هذه الاعشاب (يقصد بها الجودار) التى تجهض الحوامل وتؤدى الى موتهم !» .

العلم يكشف المستور

وقبل ان نقدم المادة التى تخلقت من هذا المرض الفطرى على يدى هوفمان ، وما احدثته من هلوسة غريبة ، وما تمخض بعد ذلك من بحوث علمية على هذه المادة ، كان لزاما علينا ان نتعرض لتاريخ هذا المرض النباتى ، وما فعله مع الانسان والحيوان على حد سواء .

لقد كانت حيوانات المراعى التى قد يسوقها سوء حظها لترعى نبات الجودار المصاب — حتى قبل ان يظهر الانسان على هذا الكوكب — تصاب بدورها باعراض تختلف باختلاف الجرعة التى تناولتها مع رعيها ، فاحيانا ما يحدث لها اجهاض فى حالات الحمل ، وقد يؤدى ذلك الى الموت .. مثلها فى ذلك كمثل النساء الحوامل .. واذا كانت الجرعة زائدة ، تساقطت حوافرها ، وتآكلت ذيولها واذانها ، وتشنجت عضلاتها ، وقد يؤدى ذلك إلى وفاتها !

وعندما كان الأوربيون يأكلون — منذ قرون — خبز الجودار المصاب ، كانت تظهر عليهم اعراض مرض غريب ، ولما يعرفوا له سببا ، اطلقوا عليه اسم «نار القديس انطون» ، وذلك لاحساسهم بوخز فى جلودهم يستدعى حكها او «هرشها» ، فتصاب ببقع حمراء كانما هى نتجت من لسعة النيران ، وقد يتبع ذلك ضعف الدورة الدموية فى الأطراف ، وغالبا ما يؤدى ذلك الى غرغرينا فتكتسب الأيدى والاقدام لونا اسود ، وقد تتساقط الاظافر والاصابع .. تماما كما تتساقط حوافر المواشى وذيولها ، واحيانا ما كان البعض يشعر بالارتباك العقلى والخمول الجسدى !

وقد يظهر هذا الوباء بين مئات الألوف او الملايين من البشر خاصة عندما لا تكفى محاصيل القمح لاطعام الناس ، فكانوا يلجأون الى الجودار ، فينتشر الوباء بينهم كما تنتشر النار فى الهشيم ، وتظهر اعراض تختلف باختلاف تركيز «الارجوت» فى الدقيق ، واحيانا ما يسبب موت الآلاف .

ورغم كل ذلك ، فلم يعرف الناس سر هذا البلاء الا منذ حوالى قرن مضى ، والغريب انهم كانوا يستخدمون مسحوق الارجوت او منقوعه بتركيزات ضئيلة فى بعض الأغراض الطبية ، من ذلك مثلا انهم كانوا يقدمون هذا «السم» للسيدات اللائى يعانين من حالات ولادة






الصور الاربعة مختارة عن فيلم علمى يوضح تأثير حبوب الهلوسة على الانسان .. من اليسار إلى اليمين : حبة من حبوب الهلوسة ، ثم تتعاطاها سيدة ويوضع على وجهها قناع حتى يحجب عينيها عن كل ما حولها ، وعندما يبدأ تأثير الحبة ، يرفع الغطاء ، ويظهر واضحا تعبيرات وجهها التى تنم على انها تعيش فى عالم آخر ملىء بكل ما هو مثير وغريب .

نبات يمرض وإنسان يهلوس

عسرة ، فيساعد جدار الرحم على التقلص وييسر الولادة ، واحيانا ما كانوا يستخدمونه فى علاج الصداع النصفى ، حيث يقوم بالتأثير على الجهاز العصبى السمبتاوى ، فيؤدى ذلك الى تخفيض نبض الأوعية الدموية الدماغية ، ولا زال هذا العلاج أو ذاك معترفا به فى الدوائر الطبية حتى اليوم .

كل هذا وغيره ، قد دفع العلماء الى اجراء سلسلة من «التحريات» العلمية لكشف سر هذا المرض النباتى الذى ينعكس بمساوئه على الانسان والحيوان

ومع ذلك ، فمن مساوئه قد تنبع بعض حسناته ، وتاريخ هذه التحريات طويل ومثير ، لكن يكفى أن نقول أن «الارجوت» يحتوى على عدة قلويدات هامة . ولقد عزلها العلماء واحدا واحدا ، فاختاروا منها الحسن ، وتجنبوا السىء ، الى ان يجىء هوفمان ويكتشف ان احد مشتقات الارجوت التى ظهرت بالصدفة فى معمله ، قد اثارت زوبعة كبيرة فى الأوساط العلمية ، لأن المادة المكتشفة تلعب بالعقول ، وكأنما هى ـ اى العقول ـ تحت تأثيرها بمثابة ريشة فى مهب الرياح .

ترى .. ما هى تلك المادة ، وما طبيعتها ولماذا تدفع العقول الى الهلوسة ؟

ل. س. د. تساوى هلوسة !

ان المادة التى اشتقها هوفمان بحالة نقية من الارجوت تعرف باسم «ال. اس. دى.» ، وهى اختصار لاسم المركب الكيميائى حامض ليسير جيك داى ايثيل اميد ، وعندما نشر اكتشافه فى احدى المجلات العلمية المتخصصة ، واشار الى ما يمكن أن تؤدى اليه فى دراسة أسرار المخ أو العقل البشرى ، بدأ العلماء بالفعل فى القيام ببحوث كثيرة على المتطوعين ، حتى بلغت هذه البحوث عدة الاف ، لكن الأمر قد تسرب الى الصحافة ورجل الشارع ، فاصبح لهذه المادة سوق سوداء وخفية ، واقبل عليها الملايين ، ظنا منهم ان الـ «ال. اس. دى» هو جنة العقل الذى يحلق بهم فى آفاق واسعة لا يحدها زمان ولا مكان ، وبهذا يهيئون لعقولهم راحة من هموم الواقع ، واسترخاء من اجهادات الحياة !

ولقد علق علماء الأمراض النفسية على هذه المادة آمالا عريضة ، إذ ظنوا انها ستكون المفتاح الذى يفتح لهم مغاليق اسرار العقل ، ويوضح لهم الغاز الاضطرابات النفسية والعقلية ، وعلى راسها ظاهرة انفصام الشخصية ، لكن هذه المادة قد تسببت فى طرد استاذين من جامعة هارفارد الشهيرة ، ليس لانهما استخدما هذه المادة فى بحوثهما ، بل يرجع ذلك اساسا الى اتخاذ بعض طلبتهم وطالباتهم «كحيوانات تجارب» لاختبار مفعول هذه المادة ، وما تبع ذلك من انتشار الهلوسة بينهم ، وما نتج عن ذلك من فوضى وتصورات لم يعرفها حرم الجامعة من قبل ، ولا يمكن ان يقره !

صحيح ان هناك شبه اتفاق بأن حبوب الهلوسة تلك لا تؤدى الى الادمان ، إذ هى لا تدخل ضمن قائمة المواد المخدرة مثل الحشيش والمورفين والكوكايين والهيروين وما شابه ذلك ، بل تتبع مجموعة المواد المهلوسة أو الهذيانية ، وهى التى تتداخل بطريقة أو بأخرى فى التوصيلات العصبية بين خلايا المخ ، وتحول نبضاتها القويمة الطبيعية عن طريقها السوى ، الى طريق آخر غير سليم ، أو غير وارد فى «ملفات» المخ أو سجلاته ، والنتيجة انها تظهر لنا عالمنا بطريقة اخرى غير التى مارسناها وعرفناها ، وقد يؤدى ذلك احيانا الى ورود المهلوس موارد الهلاك ، اذ قد تصور انه باستطاعته ان يحلق فى الهواء بجناحين خياليين ، فيقفز من نافذة او شرفة ، ليطير الى افاق واسعة غير محدودة بزمان ومكان ، وقد يتوقف زمانه ويتحدد مكانه فى قبر صنعه له خياله ، فينتقل الى الدار الآخرة غير ماسوف عليه !



تجربة علمية لاثر الحبوب على نشاط المخ

أو هى ـ كما يصفها لنا دكتور سيدنى كوهن من كلية الطب بجامعة كاليفورنيا ـ «التى قد تقتل عندما تدفعك بشجاعة وتهور ، وتصور لك انك تستطيع ان تمشى على الماء او تستمتع بالنار ، أو تنطلق فى الهواء .. ان المشكلة الحقيقية مع حبوب الهلوسة تكمن فى سوء استخدامها ، فالذين ينجذبون الى سحرها ، والمحلقون فى تصوراتهم ، هم الخاسرون اخيرا ، لأنهم يتعرضون لمشكلات لا يستطيعون لها حلا» .

والواقع أن العلماء لم يتفقوا على رأى واحد .. فبعضهم يشير الى ان تناول حبوب الهلوسة قد يؤدى الى اخطاء فى المادة الوراثية التى تقوم عليها حياة الخلايا ومن قائل انها قد تنفع فى بحوث الأمراض العصبية ، ومن قائل انها قد تفيد فى حالات الاجهاد الذهنى ، وتهيىء للانسان انطلاقا من سجون العقل ، ولابد ان يكون ذلك تحت اشراف طبى ، ومن قائل انها بلاء وشر مستطير ، وهى احدى النواتج السيئة التى قدمها العلم للبشرية .. الى آخر هذه الآراء التى يراها كل باحث من وجهة نظر خاصة ، مستندا فى ذلك الى بحوثه المنشورة او غير المنشورة .

عودة الى عالم متناقض

ان واحدا مثل دكتور كوهن الضالع فى بحوث الهلوسة ، والذى اشار من قبل الى ان حبوب الهلوسة قد تقتل ، يعود ليقول عنها «ان هذه الحبوب يبدو وكأنما هى ترفع غشاوة عن العين لأول وهلة» (أو ربما بتعبير ادق ترفع عن العقل بعض احكامه) .. اذ يبدو كل شىء أوضح واجمل واكثر حدة فى التكوين ، ثم بعد ساعة او اكثر قد يختفى ذلك ، ويحل محله خداع للبصر ، فترى الواحد منهم



كاهنة من الهنود الحمر بالمكسيك وهى تقوم بتجهيز احد انواع «عيش الغراب» الذى يحتوى على مادة «الميسكالين».

وقد سرح فى عالم آخر ، ويبدو وهو يتامل فى قطعة من خشب أو حجر ، وكانما هو كمن ادرك جوهر هذه الأشياء ، وعرف مضمون الوجود !

ان اهتزاز العقل بهذه المادة يجعله يهلوس ويتصور عالما بلوريا شفافا ، وكانما جبال قد تحولت الى ذهب وجواهر براقة ، ويرى الأشياء بصور هندسية أو حية ، فتتحول امامه الى نافورات من اضواء ذات الوان زاهية ، أو فراشات محلقة ، أو طيور مغردة ، أو زهور راقصة .. الخ ، واحيانا ما يتفتح العقل على اسرار خافية فيه منذ زمن طويل ، فيرى بصورة واضحة بعض ما دفن فى عقله الباطن من احداث ربما مرت فى طفولته وصباه ، وهذا ما جذب علماء النفس فى أول الأمر ، وشيدوا على حبوب الهلوسة امالا عريضة ، اذ ظنوا انها ستفتح لهم مكنونات النفس البشرية علهم يصلون الى حقيقتها ، لكن ذلك لم يحقق كل الآمال التى داعبت تلك العقول

وثمة اثر اخر قد تظهره هذه الحبوب فى عقول بعض الناس ، ويطلق عليه اسم «المطابقة أو الدمج الانسانى» وفيه يسبح العقل فى «خيالات من الشعور بالحب أو الحزن أو العزلة أو العذاب الجسدى ، وكانما هو يشعر — وهو يمر بهذه التجارب — انه ليس وحده فى ذلك ، بل ان كل الناس يشاركونه هذا الشعور فى كل الأزمنة» — اى كانهم يندمجون معه فى كل حالة من حالاته !

نبات يمرض وإنسان يهلوس

وعلى النقيض من ذلك قد تتراءى للعقل صور اخرى مفزعة ، فيشعر الذى تعاطى الحبوب انه قد تضاءل واصبح فى حجم الفأر ، أو أن يده قد تضخمت واصبحت فى حجم جسمه أو ربما اكبر ، وان رأسه قد استطالت واصبحت «كالطرطور» ، أو أن أصابعه قد أصبحت فى حجم وشكل أصابع الفيل ، أو أن الأشياء الثابتة فى الحجرة قد تركت أماكنها ، وتحركت فيها هائمة ، أو طارت فى جوها محلقة .. الى آخر هذه التصورات الرديئة التى تنبع من حبوب ما أنزل الله بها من سلطان !

فعلى سبيل المثال يصف لنا أحد الذين تناولوا حبوب الـ «ال. اس. دى» حالته بعد ان تناول حبة بها ٠٠٠٠٨ر٠ جرام ، فيقول «لقد رأيت نفسى وكأنما جسمى قد انكمش الى الشبر طولا ، والغرفة بدورها قد انكمشت ، لكن صديقين كانا يجلسان معى فى الغرفة ، قد بقيا بحجميهما العاديين ، وعندما نظرت اليهما ، هيىء الى كأنما انا اصبحت مثل داود وهو ينظر الى جالوت العملاق ، وعندئذ احتميت منهما وراء زجاجة كانت مرتكزة على الأرض (لاحظ انه قد حسب الزجاجة أضخم من جسمه) ، ولقد ساورنى الخوف من مرور احدهما على بقدمه فيصعقنى تحت حذائه» !

ويصف كاتب فنان حالته بعد أن اخذ جرعة وزنها ٠٠٠٢٥ر٠ جرام (ولقد سبق له أن تعاطى حبوب الهلوسة عدة مرات) ، فيقول : لقد تمشيت بعدها بعيداً عن منزلى ، وعندئذ هيء الى ان السيارات قد تحولت الى عربات تجرها جياد ، وكانت تطاردنى لتدوسنى ، ورأيت البيوت وقد تحولت الى قصور من زجاج ، وبدأت تنفجر ، وتتطاير منها شظايا كأنما الابر والمدى ، فتنطلق نحوى تريد أن تمزق جسدى .. وعندئذ انطلقت عائداً الى بيتى ، وانتابتنى هواجس شتى ، وبدأت أسجلها ، وعندما عدت الى وعيى ، رأيتها هكذا : شياطين .. شياطين .. عددهم ملايين .. ستة آلاف شارع تنز بالبلغم .. كل خوذة تحمل رأساً .. كل حربة تقطر دمعة .. الى اين المفر ؟ .. هل هو اضطهاد ؟ .. بيت الموت يطوينى .. الى آخر هذه الهلوسة التى سجلها فى صفحات !

ولا أحد يعرف السر فى اختلاف استجابة الأفراد لهذه المادة .. فلماذا يحسب أحدهم الألوان وقد تحولت الى اصوات ، وغيره يرى الأحجار وقد تجسدت فى جواهـر وثالث يحس انه قد مات ، وان روحه ترفرف أمامه ، أو تقف معلقة فى السماء ، ورابع .. وخامس .. الى آخره كل ما عرف فى هذا المجال ان الهلوسة ، تزيد زيادة مضطردة على حسب الجرعة ، والجرعة ـ كما ذكرنا ـ ضئيلة للغاية ، وهى لا تزن الا ما تزنه الغبارة ، لكنها ـ مع ذلك ـ توجه العقول وجهة غير التى فطرت عليها ، وتغير مسارها الى طرق اخرى ذات فجاجة واعوجاج .. لكن للناس فيما يعشقون مذاهب ، وبئس العشق .. عشق الهلوسة

تحذير لابد منـــــه

ورغم ان حبوب الهلوسة لا تسبب ادمانا ، الا انها بمثابة السم المغلف بالعسل ، فهى ـ بجوار انها تصور للانسان الجحيم والنعيم ـ تحدث آثاراً جانبية قد لا تحمد عقباها .. فبعد ان يمر على سواد الحبة ما بين نصف ساعة وساعتين ـ يختلف ذلك باختلاف قوة الانسان ـ قد تظهر اعراض على هيئة توتر عضلى ووخزات ورعدات وارتفاع فى نبض القلب وعمق فى التنفس ووجع فى اماكن مختلفة بالجسم ، لكن قد يحدث الاغماء والصداع فى حالات نادرة ، وقد تتسع حدقة العين عند بعض الناس ، فى حين ان البعض الاخر يعترف بانه لا يشعر الا بقشعريرة تشبه قشعريرة البرد ، وبعد كل هذه الأعراض أو بعضها يستمر الانسان فى هلوسة لفترة تتراوح ما بين ست وثمانى ساعات ، ثم يزول الأثر تدريجيا ، لكن قد يحدث ان يتعرض الفرد ـ وعلى فترات متقطعة ـ لحالات من الكآبة والهلع والهذيان وهبوط فى قواه الحيوية ، وقد يستمر ذلك لعدة أيام ، أو حتى لأسابيع ، رغم انه دخل التجربة لأول مرة .

ان الساعين للهروب من المتاعب ، إنما يهربون من متاعب الحياة الى متاعب الهلوسة ، وطبيعى أن احداً لا يستطيع ان يلوم الانسان الذى يسعى للتخلص من متاعبه ، لكن ذلك يجب ان يتم تحت رعاية واستشارة طبيب ، أى على الانسان أن يأتى البيوت من ابوابها ، والذين يقولون ان الانسان طبيب نفسه ، لم يجانبهم الصواب ، خاصة اذا كان مرضه ناشئاً من توتر وقلق واجهاد .. «فمن المؤكد ان ينبوع التعقل والطمأنينة كامن فى أنفسنا ، وليس فى مهدئات أو منشطات أو حبوب هلوسة» ـ على حد تعبير دكتور فرانسيس بريسلاند !

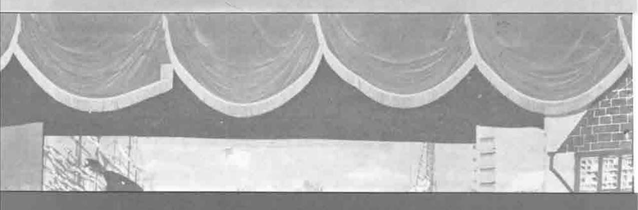
ثم ان هناك انباء وتقارير تشير الى دخول حبوب الهلوسة بطريق غير مشروع الى معظم الدول العربية ، وهذا يتطلب منا ان ندق له نواقيس الخطر .. ثم ان الذى يحترم نفسه ومجتمعه ، لا يمكن ان يكون حشاشاً أو «افيونجيا» «او مهلوساً» .. ذلك ان العقل هو اعظم هبة فى هذا الوجود ، وهو يستحق منا التقديس لا «التهليس» .. وقاكم الله شرور النفس الأمارة بالسوء ، وفى ذلك الكفاية لقوم يتدبرون ويفقهون .

دكتور عبد المحسن صالح



احد الرسامين يعبر عن الكيفية التى كان يرى بها نفسه اثناء مروره بتجربة حبوب الهلوسة . لاحظ عدم التناسق فى نسب اعضاء الجسم ، وهو يدل على عدم تناسق فى نشاط المخ !

جـــزء خـــاص



عن المســـــرح





هـــــذا الجـــــزء

تقدم الدوحة على الصفحات التاليه جزءا خاصا عن المسرح العربى ، يتناول صفحة من الصفحات الأولى المشرقة فى حياة الحركة المسرحية العربية ، هى صورة حية للفنان الضاحك نجيب الريحانى يرسمها الكاتب المسرحى الكبير نعمان عاشور ، وفى هذا الجزء أيضا قصة الفرقة المسرحية التى انشأها اولاد عكاشة ، وقد كتب هذه الدراسة الدكتور محمد يوسف نجم الباحث المعروف والمؤرخ المسرحى الكبير ، ويضم الجزء قصة حياة الفنان الكبير شفيق نور الدين الذى رحل فى الشهر الماضى عن دنيانا ، بعد ان وقف على خشبة المسرح خمسين سنة متصلة ، كانت كلها نوعا فريدا من الكفاح الفنى الذى يثبت أن نجاح الفنان لا يعتمد ابدا على الموهبة وحدها وإنما يولد هذا النجاح فى احضان الجهد والاخلاص والمثابرة والعمل المتصل ، واخيرا نلتقى بنخبة من الفنانين العاملين فى المسرح الخليجى ليحدثونا بصراحة عن مشاكلهم فى شهادات واقعية حية .

إن هذا الجزء الخاص عن المسرح هو رحلة فكرية فى عالم المسرح العربى رحلة تمتد من الجذور الأولى إلى افاق المستقبل ، حيث أصبح المسرح العربى الآن مجالا للنشاط الواسع فى كل الاقطار ... وعندما تمضى حركة المسرح فى طريقها وهى على وعى بتاريخها ومشاكلها .. فان ذلك يعطى أملا أكبر فى مزيد من النضج للحركة المسرحية العربية .. وفى القدرة على إيجاد الحلول عندما تتعرض هذه الحركة لأى نوع من الصعوبات .





لقاء مع :

نجيب الريحاني

نعمان عاشور

كان لابد لكى احصل على شهادة البكالوريا وهى ما يعادل الثانوية العامة عندنا هذه الايام ان التحق باحدى المدارس بالقاهرة .. وبالفعل تنقلت بين اكثر من مدرسة حكومية حتى رسى بى المطاف اخيرا فى مدرسة تابعة للاوقاف الملكية .. هى مدرسة فاروق الأول فى روض الفرج .. ولكنى كنت اقطن فى حى السيدة زينب مع بعض اقاربى ..والمسافة بين روض الفرج والسيدة زينب .. اى جنوب القاهرة واقصى شمالها .. يقطعها ترام واحد تتكلف مصروفا غير عادى .. لهذا كنت احصل يوميا على ما يعادل عشرة قروش . مبلغ لا يستهان به بالقياس الى قيمة القرش فى مثل تلك الأيام . كنت فى الرابعة الثانوية اهوى السينما ولا انقطع عن مشاهدتها .. وعلى مدار النصف الأول من العام الدراسي كنت قد أتيت على جميع سينمات وسط المدينة بما يكفله لى مصروفى اليومى الكبير من قدرة على ادخار اكثر من خمسة قروش يوميا .. لكننى سرعان ما زهدت فى مشاهدة السينما خاصة حين قادتنى قدماى لاكثر من اسبوع الى مسارح وملاهى شارع عماد الدين وكانت لها فى واعيتى ذكريات حافلة من زياراتى المتقطعة فى صحبة والدى وعمى للعاصمة والنزول فى فندق يتوسط شارع الاضواء والمسارح ثم عن الذكريات التى كان يرويها لى ابى عن شبابه الذى قضاه فى عماد الدين بصحبة الفنان الكبير على الكسار الذى كان صديقا لاصقا به .. كانت اسعار السينما رخيصة وزهيدة .. ولم انقطع عن السينما كلية .. ولكننى مدات اهوى دخول المسرح وفى كل خميس تقريبا يتوافر لى اكثر من خمسين قرشا لاسارع بها الى عماد الدين .

بعد كشكش بيه

كان ذلك فى عام ١٩٣٦ وقد عاد الريحانى ليسترد مكانته فاصبح مسرحه هو المسرح الوحيد تقريبا الذى لا تنقطع له عروض .. بينما كانت الفرقة القومية التى انشاتها الحكومة حينذاك تتابع تقديم مسرحيات لها صفة الجدية ولكنها تخلو من التجديد وتقديم العروض التى لا يمكن مشاهدتها اكثر من مرة .. وتوزع اهتمامى بين مشاهدة «اهل الكهف» لتوفيق الحكيم و «مجنون ليلى» لشوقى فكنت اعيش مع زكى طليمات واحمد علام وامينة رزق اسبوعيا ثم اسارع فى الاسبوع التالى لمشاهدة الريحانى .. صحيح اننى كنت انبهر بما تقدمه الفرقة القومية من اعمال الحكيم وشوقى وعزيز اباظة ومحمود تيمور . ولكنى امام إغراء الريحانى وما تطور اليه مسرحه من كوميديا اجتماعية لم اكن اتوانى عن ترجيح كفته اسبوعيا .. خصوصا وقد جئت الى القاهرة وانا مزود بذخيرة مشجعة عن ناظر مدرسة بلدنا الذى كان يهوى الريحانى وحكى لنا الكثير عن رواياته .. وكانت تلك هى مرحلة ما بعد كشكش بيه .. مرحلة المسرحيات الاجتماعية التى يلعب فيها الريحانى دور الانسان المقهور الذى قست عليه الظروف نتيجة لوضعه الاجتماعى .. المسكين التعس الغلبان والصادق المخلص الامين الذى يجاهد الحياة لكى يعيش شريفا فلا يستطيع ويضطر إلى النفاق والمداهنة حتى يحصل على القوت .. وتلك الشخصية ترددت فى جميع مسرحيات الريحانى فى تلك الفترة وبلورها فى «ثلاثين يوم فى السجن» .. وقد بهرتنى فابعدتنى عن شوقى وتوفيق الحكيم

الحرب الثانيــة

هكذا عشت اتردد على مسرح الريحانى حتى قامت الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩ ولم اكن ايامها قد بلغت العشرين من عمرى ولا ازال طالبا فى الثانوى .. ودفعنى حبى للريحانى واعجابى به ذات ليلة ان اقف على باب خروج الممثلين .. الباب الخلفى لمسرح الريتز لاشاهده وهو يخرج فلما رايته ظللت احلق فى وجهه وانا اتابعه شاخصا فى عينيه الى ان اخرج لى لسانه ليبعدنى عنه .. وبالفعل خجلت من نفسى فلم استطع الا أن اجرى من امامه .. ولكن هذا لم يمنعنى بعدها باسبوع من العودة لمشاهدة الريحانى وهو خارج بعد التمثيل .. ولكنه لم يخرج وعلمت بعدها انه ظل ساهرا حتى الصباح ليعيد اخراج المسرحية مع «الجوقة» لأن عرضها لم يعجبه .

لقــاء جــرىء

كنت قد اصبحت مجنون ريحانى .. فلم يمر


جورج أبيض


حسن فايق


بديع خيري

اسبوع ثالث حتى وجدتني اندفع إلى شارع عماد الدين وكان ذلك في الصباح بعد ان صرفونا من الدراسة بسبب الاضرابات وفيما انا اسير ناحية مسرح الريتز .. لمحت الريحاني بذاته جالسا على مقهى يقابل احدى العمارات المجاورة للمسرح .. كان يمسح حذاءه ويدخن الشيشة (النرجيله) وترددت في محاولة الكلام معه ولكنني وقفت على الرصيف اتابع حركاته .. كان شديد الحيوية يلاحق الجرسون ثم يحادث ماسح الاحذية ويستغرق في الضحك على الإجابات التي يتلقاها منهما . وشجعتني بساطته هذه على ان اتقدم منه وقبل ان افتح فمي بكلمة دعاني إلى الجلوس واخبرني انه لاحظ مراقبتي له فاجبته .

– انا تلميذ في ثانوى ومعجب بك وبمسرحياتك .

– تبقى تستحق واحد «لكوم» .

ونادى على الجرسون وطلب اليه ان يحضر لي قطعة من الملبن «التركي» ثم قال :

– باين عليك تلميذ نجيب .. بس مش نجيب الريحاني طبعا ..

وقهقه ضاحكا والجرسون يضع امامي الطبق الصغير وهو يحاور ماسح الاحذية .

– الجزمة دي حمره .. خد قرشين صاغ .. السوده عندي بقرش ..

ودفع له المبلغ ثم التفت ناحيتي .

– قلت حضرتك انك تلميذ .. طيب وايه اللي عاجبك في مسرحياتي ؟

– فيها حاجات حقيقية من اللي بيحصل في حياتنا .

– حاجات تضحك .. مش كده .. ما هم كمان بيقولوا عليه فيلسوف .. وانا لا فيلسوف ولا حاجة .

– انت مصلح اجتماعي .

– ما احبهاش الكلمة دي .. انا مضحك اجتماعي .. لكن دا انت باين عليك متبحر قوى مع ان سنك يعني .

– انا في رابعة ثانوى .

– يعني ما خدتش البكالوريا .

– وسالني بغتة والجرسون يحرك له الفحم المحترق في النرجيله :

– لكن قولي .. بتجيب فلوس منين تدخل بها المسرح .. ؟

– من مصروفي .. اصلي بقيت اكره السينما .

– لكن احنا ما عندناش ترسو .

– ما انا بادخل كل شهر مره .

– اجيب لك واحد لكوم تاني .

– متشكر .

ووقفت لاهم بالانصراف .. فلاحقني .

– اقعد رايح فين ؟..

– مروح .. اصل ستنا بعتت لي من السيدة زينب والنهارده كان اضراب لحسن يتخضوا عليه لو اتاخرت .

– امال بتتفرج في المسرح ازاي بالفعل ؟

– يوم الخميس بس .

– عندنا رواية جديدة الجمعة الجاية .

– عارفها .. «الدنيا لما تضحك» .

وكان يضرب كفا بكف وانا اغادره مستأذنا :

– حاجة عجيبه !! الحق اهلك لحسن يتخضوا عليك .

وراح يترنم وهو ينادى الجرسون باغنية شعبية معروفة ..

– يا عم حمزة احنا التلامذه .. عايشين على العيش الحاف .. والنوم من غير لحاف .

وكان يهتز وهو يترنم بالاغنية غير عابىء باحد حوله .

رويت هذه الواقعة بعد ذلك بسنوات طويلة للاستاذ بديع خيري وكنت اتردد عليه اسبوعيا اذ كان يراس جمعية اصدقاء سيد درويش وكنت من اعضائها وتعقد في منزله .. فابتسم قائلا .

ما هو دا كان طبع سي نجيب بالضبط .. كبير مع الكبار وصغير مع الصغيرين .

بعد الحرب

كان ذلك عام ١٩٣٦ .. وكان شارع الاضواء والمسارح في اعقاب الحرب العالمية الثانية اى بعدها بتسع سنوات يجاهد لاستعادة مكانته السابقة ولكن مسارحه وملاهيه كانت تتلاحق في الافلاس .. فالكسار يتعثر بمسرحه وفرقته .. وهناك فرقة فوزى منيب وهي الاخرى على وشك الاغلاق ثم بعض صالات الرقص والكباريهات المتفقنة من امجاد الحرب .. ولم يكن هناك مسرح ثابت بينهما جميعا غير مسرح الريحاني .. فقد اعاد الريحاني تجميع فرقته من جديد على نهاية الحرب ليبدأ المرحلة الاخيرة من نشاطه قبل ان يدركه الموت عام ١٩٤٩ .. ولذلك انتعش مسرحه في تلك الفترة على صور كاسحة حتى كاد يطغى على كافة وجوه النشاط المسرحي الاخرى ومنها الفرقة القومية الحكومية ذاتها .

حدثني بديع خيري عن هذه الفترة فقال ان الريحاني رغم نجاحه في السينما بالافلام القليلة التي مثلها وكنا نؤلفها معا ايضا ماخوذة عن مسرحياتنا القديمه .. كان دائم الحنين الى المسرح .. ولهذا استجاب بمجرد انتهاء سنوات الحرب وبالتحديد عام ١٩٤٥ لرغبة اعضاء فرقته القدامى .. شرفنطح والقصري وماري منيب وميمي شكيب واستيفان روستي وحسن فايق وغيرهم .. فما ان انتهت الحرب حتى عدنا جميعا الى مسرح الريتز الذي كنا قد استريناه من قبل .

ويصف بديع خيري تلك الفترة بانها كانت من اغنى وانضج الفترات في حياتهما .. فقد ادى انقطاعهما عن المسرح الى معاودة النظر في كثير من الامور .. وعلى راسها نوعية المسرحيات التي كانت تقدم .

حياته المسرحيـــة

وهنا تلزمنا وقفة استعادة لحياة الريحاني المسرحية .. ولد الريحاني في القاهرة قبل بداية القرن العشرين باكثر من عشرين سنة .. وكان جده الاول عراقيا . وقد تشرب بالروح الشعبية من البداية لانه خرج من حوارى القاهرة بحكم نشاته في اسرة فقيرة تعثرت بها الحياة من البداية .. وكان الريحاني من صغره خفيف الظل متهكما ساخرا .. وابن نكته .. كما يصفه بديع خيري .. وفيه ملكة قوية على تقليد الناس والسخرية من تصرفاتهم بصورة لاذعة وتلقائية مباشرة لا تعرف التحرز ولم ينل الريحاني قسطا وافيا من التعليم ولذلك ترك الدراسة من مبدا شبابه والتحق بالعمل كاتبا في احد البنوك .. وكل ما عرف عنه من هوايات واهتمامات في تلك الفترة .. انه كان يتمنى ان يكون شاعرا ولكنه كان يهوى التمثيل . وساعده الحظ من البداية ان يكون له زميل يشابهه في البنك العقارى المصرى الذي اشتغل فيه .. وكان هذا الزميل هو المرحوم عزيز عيد .. رائد الاخراج المسرحي عندنا .. فارتبط به الريحاني وشاركه جهاده الماكر على مدار العشر سنوات الاولى من القرن في تكوين العديد من الفرق المسرحية الصغيرة الفاشلة إلى ان قامت الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٤ .

... الاحتراف

بعدها انتظم الريحاني في عداد الممثلين



لقاء مع : نجيب الريحاني

المحترفين وكان يعمل فى صالات الرقص الاستعراضية الغنائية التى ملأت رحاب شارع عماد الدين لتسلية الجنود الانجليز طوال سنوات الحرب فكان يقوم بتقديم الاسكتشات الفكاهية حتى اتيحت له الفرصة لتقديم اسكتش فكاهى عن شخصية ابتكرها بنفسه وعرف واشتهر بها شهرة عريضة .. وكانت تلك الشخصية «كشكش بيه» عمدة القرية الريفى الذى جاء الى العاصمة لينعم بمباهجها وجيوبه متخمة بالنقود من بيع محصول القطن وكانت اسعار القطن ايامها فى ارتفاع بسبب الحرب .. ونتيجة لهذا النجاح سرعان ما نجد الريحانى قد ترك ملاهى الرقص واسس مسرحا باسمه هو مسرح الريحانى .. وبدأ ينافس الفرق المسرحية الأخرى القائمة حينذاك وكان يمثلها فى الجانب الغنائى فرقة الشيخ سلامة حجازى وفى الجانب التراجيدى فرقة جورج ابيض وفى الجانب الجاد ما يحاول تقديمه محمد تيمور من مؤلفات مسرحية .. فما أن انتهت الحرب حتى كان الريحانى قد برز بفرقته ورسخ بمسرحه فى عماد الدين ليقارع الفرق المتتابعة بعد ذلك وعلى راسها فرقة رمسيس التى اوجدها يوسف وهبى .. وظل الريحانى شامخا بفرقته لا ينافسه فى مجاله الكوميدى الناجح احد غير فرقة على الكسار ، وكان من البراعة بحيث استطاع ان يستقطب لمسرحه محمد تيمور من المؤلفين وسيد درويش من الملحنين .. وهكذا قامت ثورة ١٩١٩ ومسرح الريحانى فى الاوج من شهرته ونجاحه .. وفى تلك الفترة انضم اليه بديع خيرى ليؤلف معه المسرحيات ويشاركه فى منافسة الفرق العديدة الأخرى .

الفكاهة الصارخة

وصف لى بديع خيرى رحمه الله هذه الفترة فقال انها كانت من ازهى فترات النشاط المسرحى التى تفوق فيها الريحانى بكوميدياته الفكاهية .. لكنها للأسف لم تدم طويلا .. لأن العديد من اصحاب الفرق المنافسة واصحاب المجلات الفنية .. اثار الكثير من الشكوك حول اخلاص الريحانى للحركة الوطنية سيما حين استمر يتابع تقديم عروضه الفكاهية فى ظل اوضاع سياسية ويرفض اقحام فرقته فى السياسة .. فاتهموه بانه من صنائع الاحتلال الانجليزى وانه يعادى الحركة الوطنية .. ومن اجل ذلك اضطر الريحانى بدلا من اغلاق فرقته ان يرتحل بها الى جولة فى شمال افريقيا ثم فى البرازيل لاكثر من ثلاث مواسم . كتب الاستاذ يحيى حقى عن ذلك فمال الى ترجيح الاتهام وقال ان الريحانى كان ايامها يصر بفكاهته الناجحة على اهدار الروح الجريئة التى تحاول اشاعتها الفرق الأخرى .. كيوسف وهبى وفاطمة رشدى وغيرهما .. فلما عاد الريحانى بعد سنوات لافتتاح مسرحه .. لازمه نفس نجاحه السابق لان الفرق الاخرى كانت قد تعثرت والحركة الوطنية ذاتها قد لاحقها الخفوت فى ظل التنافس الحزبى وبتاثير الازمة الاقتصادية العالمية عام ١٩٣٢ .

الكوميديا الاجتماعية

خبت جذوة المسرح الجاد بالفعل ..وتشتت الفرق حتى اقدمت الدولة عام ١٩٣٥ لأول مرة على انشاء الفرق القومية لجمع شتات المشردين من كبار الممثلين للفرق المنهارة .. وتاسست الفرق على انقاض الازدهار المسرحى الذى صاحب السنوات الاولى الباكرة التى تلت ثورة ١٩١٩ .. وانتعشت حركة التاليف على يد توفيق الحكيم وشوقى وعزيز اباظة وعلى احمد باكثير وغيرهم .. لكنهمكانوا يقدمون مسرحيات جافه ومترجمات لم تستطع ان تصمد امام ما جاء الريحانى ليجدد به شباب مسرحه مرة اخرى .. مقتبسات ومترجمات يعدها عن مسرحيات فرق البوليفار الفرنسى الكوميديه الناجحه .. يعيد صياغتها ويركز فيها بديع خيرى على سياق الاحداث وترابطها مع النص الأصلى المأخوذة منه بما يتفق مع الجو الاجتماعى ثم يشتركان معا فى صياغة المشاهد المنسقة بحيث تطابق الشخصيات مجموعة الممثلين العاملين معهما فى الفرقة .. كل فى دوره الذى يجيد اداءه نمطيا .. اعنى بحركاته وملامحه الفكاهية مثل شرفنطح فى دور العسكرى ومارى منيب فى دور الحماة والقصرى فى دور المعلم البلدى وهكذا .. وكان وضع النص ياخذ فترة طويلة أحيانا ما كانت تبلغ العام .. ينصرف خلالها بديع خيرى لاعداد واقتباس نص جديد فى حين يظل «سى نجيب» يصنف ويحذف ويجدد فى الحوار والمشاهد مما تقع عليه اذنه او عينه من تصرفات وكلمات من الأحداث اليومية الجارية حتى تكتمل الرواية ، فاذا اتم «سى نجيب» ما يقنعه نهائيا .. شرعا فى البحث عن عنوان المسرحية . وكان ذلك بدوره ياتى بعد عناء واحيانا بطريق الصدفة المحضه .

الريحانى فى السينما

وكانت تلك هى الفترة التى قابلت فيها الريحانى وانا لا ازال طالبا .. لكنها لم تدم طويلا .. فسرعان ما قامت الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩ وانتعشت صناعة السينما المصرية بينما انتهى نشاط المسرح بفعل الاظلام وتحديد ساعات السهر الليلية فانصرف الريحانى الى السينما .. واشترك فى تاليف وانتاج وتمثيل افلامه المعروفة «احمر شفايف» «ابو حلموس» و «سى عمر» و «سلامة فى خير» وغيرها جنبا الى جنب مع النجوم المشهورين فى تلك الفترة التى عرفت بمرحلة سينما اغنياء الحرب .

مهاجمة السينما

فى عام ١٩٥٨ على ما اذكر كان المسرح القومى يقدم مسرحيتى «سيما اونطة» التى اثارت جدلا ومعارك كثيرة من جانب السينمائيين وذات ليلة فوجئت بحضور الاستاذ بديع خيرى ليشاهد المسرحية .. كان يتساند على عصاه ويمشى بصعوبة بالغة فصحبته الى احدى البناوير مرحبا ومحييا .. وبعد نهاية الفصل الأول لحق بى احد العمال وانا اغادر المسرح طالبا الى ان اتكرم بلقاء الاستاذ بديع خيرى .. وقد سجلت تلك الواقعة فى كتابى «المسرح حياتى» . دخلت على الرجل فى البنوار فقام متعثرا على عصاه .. ورجانى ان اخذه من البنوار الى احد المقاعد الامامية .. لأنه لا يسمع من الحوار شيئا والبنوار بعيد عن خشبة المسرح .. وبالفعل صحبته الى مقعد احضرناه خصيصا له ليجلس عليه واضطررت الى انتظاره حتى نهاية العرض وهو ما كنت اتحاشاه فى معظم الليالى خوفا من تحرش السينمائيين خارج المسرح .. تساند الرجل على كتفى وهو يتجه الى سيارته مرددا «هذا عمل جرىء نجحت فيه انت كما لم انجح انا والريحانى» ودعانى الى شرب الشاى معه فى منزله يوم الأحد .. وكان يومه المفضل لاستقبال ضيوفه .

فى تلك الجلسة انصب الحديث كله حول الفترة الاخيرة من حياة الريحانى ومسرحه . خرج الريحانى من العمل فى السينما خلال سنوات الحرب ورغم نجاح افلامه ساخطا على السينمائيين نافرا من الوسط السينمائى مفضلا المسرح . فلما اعاد افتتاح مسرحه بعدها .. كان اول ما اتجه اليه مهاجمة السينما فى المسرح وشجعه على هذا الاتجاه انتشار موجة من السخط المعتاد دائما على ما تقدمه السينما كصناعة من افلام .. ولكن المسرحية فشلت ولم تعرض لاكثر من اسبوعين واضطرت الفرقة



يوسف وهبى

فاطمة رشدى

بعدها إلى عرض «ريبوراتوار» قديم لحين الانتهاء من اعداد مسرحية جديدة .

مرحلة النضج

كان ذلك بعد عام ١٩٤٥ واستمر الريحانى على مدى الاربع سنوات التى عاشها يقدم عددا من المسرحيات الجديدة التى تعتبر انضج اعماله واكثرها جدية وتجاوبا مع النبض الذى تفيض به حياتنا العامة سياسيا واجتماعيا وفكريا .. قدم مسرحية «قسمتى» وتعرض فيها باسلوب ساخر لاذع لحياة الانسان العادى الذى تظلمه ظروفه الاقتصادية .. نفس شخصية المسكين الغلبان عاثر الحظ التى كان يقدمها من قبل .. ولكن بوعى وتفتح اضاف فيه الى مصادفات الحظ التعس العوامل الاقتصادية التى تؤثر على شخصيته ومعنوياته واخلاقياته وقيمه .. وان يكن فى خيط رفيع يكاد يتلمس فيه بعض معالم الشخصية فى جانبها الطبقى الذى لم يتصد له من قبل .

كانت مسرحيته الثانية فى هذا المضمار سياسية فاقعة اخذها من موضوع مكرر معاد .. سبق ان قدمه مارون النقاش فى القرن التاسع عشر بل وسبق ان قدمته اكثر من جوقة على اوائل القرن .. وهو موضوع المواطن الذى تمنى على الخليفة يوما وهو لا يعرف شخصيته ان يأخذ مكان الخليفة وسيعرف كيف يصلح البلد .. فما كان من الخليفة الا ان اجتذبه الى القصر وولاه الخلافة وراح يراقب ما سيفعل .. فاذا به يفشل فى اصلاح الحال .. إطار الموضوع نفسه مأخوذ من الف ليلة وليلة وحكاية ابو الحسن المغفل ولكنه موجود على نفس الصورة فى الأداب الغربية ذاتها وقد اخرج فى اكثر من فيلم سينمائى واكثر من مسرحية هزلية ..

كان هذا هو موضوع مسرحية حكم قراقوش .. وقد احدث تقديم الريحانى له ضجة .

اما بديع خيرى الشريك التوأم للريحانى فى كل مؤلفاته فروى لى وهو يلخص نشاطهما فى هذه الفترة .. ان المسالة اقتصرت على حضور رئيس الديوان ايامذاك وهو احمد حسنين .. وكان من محبى مشاهدة الريحانى .. وانه لفت نظرهما الى ان الموضوع فيه تزيد بعض الشىء ويلزم تخفيفه ولكنه لم يحاول منعه او إيقاف العرض .. بل لقد اذيعت المسرحية ايامها فى الراديو .. وانا شخصيا شاهدتها اكثر من مره على المسرح وسمعتها مذاعة على الهواء .. ومن شدة انبهارى بها .. اندفعت الى محاولة ثانية لاحظى برؤية الريحانى ومكالمته .. وكنت قد تخرجت من الجامعة واصبحت موظفا ولم اعد تلميذا وامضى بعض ليالى ساهرا فى مقاهى عماد الدين .


على الكسار

حسن ومرقص وكوهين

كنت جالسا ذات مرة فى مقهى ركس مساء بشارع الالفى المطل على عماد الدين فى صحبة زميل يعمل معى فى نفس الوظيفة .. وكان بجوارنا الممثل الكوميدى الراحل عبد النبى محمد يلعب الطاولة وهو من الممثلين المعدودين فى جوقة الريحانى ، وكان لى سابق معرفة به .. فلما سالته عن اخبار الجوقة قال انها متوقفة لان سى نجيب بيشطب مع بديع خيرى فى رواية جديدة . وانهم يجرون عليها بروفات صباحية فى مسرح الريتز باشراف نجيب الريحانى فلما ابديت رغبتى فى مشاهدة البروفات أو حضورها قال ان هذا مستحيل فطلبت اليه ان يقدمنى للريحانى بصفتى صحفيا يريد ان يجرى معه حديثا . تردد عبد النبى محمد اول الامر .. ثم تكفل باستقبالى فى بوفيه المسرح حيث يجلس الريحانى خلال استراحات البروفة ويقدمنى اليه .. وحدث ذلك فعلا .. وكان الريحانى يومها فى حالة نفسية طيبة بسبب قرب انتهاء البروفات وتحديد ليلة الافتتاح .. واخبرنى عبد النبى محمد ان سى نجيب حيقابلنى وهذا من حسن الحظ لانه رايق .. ذلك ان الريحانى كانت تلازمه لحظات انقباض مخيفة .. يصاب معها بالوجوم والقرف وكراهية الدنيا بكل ما فيها فلا يطيق مكالمة احد .

مع سبق الاصرار

جاءت اللحظة المناسبة حين اهل الريحانى فقدموا له مقعدا وطلب شيشة عجمى وهو يقهقه .. وكان فى صحبته حسن فايق كان يعاتبه لانه لم يحفظ دوره فى الفصل الثالث مع انه دور اهم من دور الريحانى نفسه كما راح يشرح له .. وحسن فايق يعتذر ووعده ان يحفظ الدور جيدا ابتداء من الغد .. واسرع عبد النبى ساخرا من حجج حسن فايق عن عدم حفظه للدور .. التفت الى الريحانى بغته .

ـ باين عليك لسه بتتمرن وجاى تتمرن عليه .. انت فى مجلة ايه ؟!!

تلعثمت ولم اجد جوابا .. فلاحظ ارتباكى .

ـ قول ما تتكسفش .. ولا يكون فى العصفور الازرق يا حسن ، فرد عليه حسن فايق .

ـ ايوه .. انت فاكرها دى يا سى نجيب .. مين عارف يمكن يطلع فى الوطواط الاغبر .

وانفجر الريحانى ضاحكا .

ـ الله يخيبك يا حسن .. فكرتنى بالذى مضى .

الشىء العجيب اننى لم اشعر بالاهانة .. وانتقلت الى عدوى الضحك معهما وكانني كنت جالسا فى صالة المسرح امام مشهد تمثيلى مما يقدمانه .

وفجاة جاء احدهم يجرى من وراء الكواليس معلنا وصول الاستاذ بديع خيرى .. فطلب الريحانى تاجيل الشيشة .. وقام مستأذنا .

ـ انا كنت موصيه على كلمتين لك يا حسن .. لكن ما دام ما بتحفظش حا اخذهم لنفسى .. اذ كان كتبهم .

واشار عبد النبى محمد منبها الريحانى الى وجودى .

ـ تعال اتفرج على البروفة .. وكفايه عليك .. بلا صحافة بلا غيره بس اوعى تكتب كلمة واحده عنها .. اتفرج وانت ساكت .

ونزلت الى الصالة فى صحبة عبد النبى محمد الذى اخبرنى أن الريحانى لم يسبق ان سمح لاحد غريب ان يشاهد بروفاته .. وظللنا جلوسا فى الصالة لفترة حتى خرج احدهم معلنا ان سى نجيب الغى البروفة واجلها لمدة اسبوع .

وضرب عبد النبى كفا بكف .. وقام ليعرف السبب .. ثم عاد ليخبرنى ان سى نجيب جاءته سفرية مفاجئة الى الاسكندرية .

تلك هى المعالم التقريبية التى اذكرها عما حدث .. ولكنى علمت بعدها ان السبب كان مرجعه الى ان الريحانى حين قابل بديع خيرى ، لم يوافقه على ما كتب ، وقرر السفر للاسكندرية ليكتب بنفسه خاتمة «حسن ومرقص وكوهين» وكان هذا هو اسم المسرحية الجديدة التى تجرى عليها البروفات .. وهى من انضج مسرحيات الريحانى وان كانت اقلها فكاهة لانها تتصدى لمعالجة قضية حساسه هى قضية تعايش المسلمين والاقباط واليهود .. وهو موضوع من العسير تناوله باسلوب الفكاهة التى عرف بها الريحانى ..

عبقرية

والواقع ان هذه الاستحالة .. فى تمثيل مسرحيات الريحانى من غير الريحانى .. هى التى تشكل الاساس الهام فى طبيعة مسرحه فرغم اشتراكه فى كتابتها ومساهمته فى اخراجها فان ادواره فيها محال ان يمثلها غيره .. ذلك ان الريحانى كان من بداية ظهوره صاحب موهبة لا تضارع كممثل كوميدى متفرد فذ وقادر على كسب الجمهور وقد استطاع ان يحافظ على كيان مسرحه حتى نهاية حياته بفضل هذه الموهبة وما كانت تمده به من وعى مكنه من التطور بمسرحياته عبر عديد المراحل التى عاشها هذا المسرح بين مختلف المسارح الاخرى

نعمان عاشور

مسرح أولاد عكاشه قبل عهد الأزبكيـة

د. محمد يوسف نجم

اولاد عكاشة اربعة اخوة «١» احترف منهم التمثيل ثلاثة هم عبد الله وعبد الحميد وزكي ، اكبرهم هو عبد الله الذى كان عطارا ، سمع به القرداحى سنة ١٨٩٧ فبعث فى طلبه فجاء الى منزله . وسمع القرداحى وعبد الرازق عنايت غناءه فطربا له وشرعا فى تدريبه على الغناء المسرحى ، لولا انه مرض مرضا شديدا لازمه عاما كاملا فلم يتمكن من العمل إذ ذاك . وبعد زمن نقه من مرضه ، فضمه اليه الشيخ سلامة اثناء عمله مع اسكندر فرح ، ليكون ملحنا ومساعدا له فى التواشيح «٢» ويبدو انه استمر فى العمل مع الشيخ سلامة فى جوق اسكندر فرح ، ثم انتقل معه حين انفصل الشيخ عن مديره والف جوقا خاصا به سنة ١٩٠٥ . وكان يقف فى جوقة الملحنين مع الشيخ حامد المغربى ومحمود رحمى وسواهما من المنشدين ، الى أن اسند اليه الشيخ بعض الادوار التمثيلية فى «صلاح الدين الايوبى» و «تسبا» و «اللص الشريف» ، وفى فصول محمد ناجى للضحكة التى كانت تختتم بها بعض حفلات الجوق . وبرز اسمه حين اسند اليه دور الفارس روجيه فى «اليتيمتين» «٣» واخذ نجمـــه فى الصعـــود بعد أن أصيب الشيخ سلامة بالشـــلل اثناء الرحلـــة السورية فى صيـــف ١٩٠٩ . اذ وكل اليـــه عبد الرازق عنايت إدارة الجـــوق اثنـــاء مرض الشيخ . وقد بدا الجوق الجديد الذى ضم عكاشة واحمد ابو العدل ومحمد بهجت ومليا ديان ومريم سماط ممارسة نشاطه التمثيلى بدار التمثيل العربى من اول سبتمبر ١٩٠٩ . وعندما عاد الشيخ من الشام فى اوائل اكتوبر ١٩٠٩ اشرف فترة من الزمن على عمل الجوق ، ولكنه رأى فى اواخر ذلك الشهر أن يؤجر المسرح لاحدى فرق السيرك . فاستاء افراد الجوق من تصرف مديرهم ، وقرروا الاستقرار فى العمل مستقلين عنه . واستاجروا تياترو اسكندر فرح بشارع عبد العزيز ونصبوا عبد الله عكاشة مديرا عليهم كما ذكرنا «٤» . واصدروا نشرة وزعوها على الصحف اعلنوا فيها انهم اشتركوا معا واتفقوا على تمثيل افضل روايات دار التمثيل العربى ، وعلى تقديم رواية جديدة كل شهر ، وانهم سيمثلون ثلاث مرات فى الاسبوع : مساء السبت والثلاثاء والخميس «٥» . ومنذ ذلك الحين دخل اولاد عكاشة طور التحدى والتنافس مع الشيخ سلامة «٦» .

(١) شركة التمثيل العربى (١٩٠٩ ـ ١٩١٠)

ابتدا الجوق عمله فى اول ديسمبر سنة ١٩٠٩ وقدم فى موسمه هذا عددا من المسرحيات القديمة وهى : «مغاور الجن» و «البخيل» و «شهداء الوطنية» و «العواطف الشريفة» و «اوثللو» و «البرج الهائل» و «انس الجليس» و «غانية الاندلس» و «عواطف البنين» و «صدق الاخاء» و «تسبا» و «ابو الحسن المغفل» و «مطامع النساء» و «عائدة» و «مارى تيودور» و «العفو القاتل» و «تليماك» و «ضحية الغواية» و «هملت» و «حفظ الوداد» (الظلوم) و «مجلس الصدف» و «عبرة الابكار» .

وقد حقق الجوق فى اول عهده نجاحا ملموسا مستغلا اسم الشيخ سلامة ومسرحياته ، ولكنه لم يلبث ان تدهور بسبب سوء الادارة ، ولم يوفق الى نجاح يغطى نفقات المسرح واجـــور الممثلين «٧» .

وعقب انتهاء الموسم المصرى سافر الجوق الى سورية «٨» فمثل فى بيروت على مسرح «زهرة سورية» بعض مسرحياته ومنها : «مارى تيودور» و «غانية الاندلس» و «عواطف البنين» «٩» ثم قام بجولة فى عدد من المدن السورية ، وعاد من حلب الى بيروت حوالى منتصف سبتمبر ، وذكرت إحدى الصحف اللبنانية اسم مسرحية من المسرحيات التى مثلها بعد عودته وهى «القضية المشهورة» «١٠» .

وعقب عودة الجوق من الرحلة السورية عاد الانسجام ثانية بينه وبين الشيخ سلامة ، فتعاون الجوقان فترة من الزمن امتدت من اكتوبر ١٩١٠ حتى مايو ١٩١١ «١١» .

(٢) الجوق العربى الجديد (١٩١١ ـ ١٩١٢)

انفصل اولاد عكاشة عن الجوق المشترك فى اواخر موسم ١٩١٠ ـ ١٩١١ . والفوا بالتعاون مع عزيز عيد «١٢» جوقا جديدا اسندوا إدارته الى الاديب المترجم الياس فياض . وكان من اعضاء الجوق على يوسف ومحمود رضا وحسن ثابت «١٣» .

قدم الجوق الجديد فى القاهرة عددا من المسرحيات ، مثلها فى مسرحى عباس والازبكية ، منها : «شهداء الغرام» و «الكابورال سيمون» و «تسبا» و «مارى تيودور» «١٤» وقد استقبلت الصحف هذا الجوق بالترحاب واثنت على اتجاهه الجديد فى التمثيل الواقعى ، الذى كان بلا شك أثرا من اثار مخرج الجوق عزيـــز عيد «١٥» .

وبعد هذا الموسم القصير فى القاهرة سافر الجوق الى البلاد السورية لاحياء الموسم الصيفى كالعادة . واشارت الصحف اللبنانية الى تمثيله مسرحيتى «الكابورال سيمون» و «شهداء الغرام» «١٦» واشارت المقطم الى رحلته الى حلب حيث مثل «مارى تيودور» «١٧»

وعاد الجوق الى مصر فى الاسبوع الثانى من سبتمبر ١٩١١ ، واعلن عن افتتاح موسمه الجديد بالتياترو المصرى بشارع عبد العزيز .



عبد الله عكاشة



زكي عكاشة

«١٨» وفي هذا الموسم قدم المسرحيات التالية : «ماري تيودور» و «شبا» و «عواطف البنين» و «غرام وانتقام» (السيد) و «غانية الاندلس» و «تليماك» و «شهداء الغرام» و «ضحية الغواية» و «عبرة الابكار» و «مغاور الجن» و «الكابورال سيمون» و «صدق الاخاء» و «مطامع النساء» و «عائدة» و «حفظ الوداد» (الظلوم) و «صلاح الدين الايوبي» و «عظة الملوك» . وقدم مسرحية جديدة هي «حياة المقامر» . وكان عبد الله عكاشة يقوم باهم الادوار الغنائية ، وعزيز عيد يقوم بالأدوار غير الغنائية ، الى جانب اضطلاعه بالإخراج . وكانت الماظ استاتي الممثلة الأولى . وانضم ابو العدل الى الجوق في اكتوبر ١٩١١ «١٩» وقد حمل بعض مكاتبي الصحف حملة شعواء على هذا الجوق ، واتهموا اصحابه بالجهل والغرور وخداع الجمهور وعدم تقبل النقد البناء الذي يوجه اليهم ومقابلته بالشتائم المقذعة . «٢٠» .

وفي اوائل مارس ١٩١٢ ، انفصل عزيز عيد عن الجوق وانضم الى الجوق العربي الذي كان يؤلفه جورج ابيض . واتفق اولاد عكاشة مع الشيخ سلامة حجازي على العمل متحدين ، وذلك حين بلغتهم اخبار جوق ابيض الفتي الذي حشد له اقوى العناصر التمثيلية من محترفين وهواة ، فخشوا ان ينهزموا امامه واثروا التعاون معا ليستطيعوا الصمود امام هذا الخطر الداهم . «٢١» .

(٣) بعد الانفصال عن الشيخ

استمر التعاون بين الجوقين الغنائيين من ٥ مارس حتى ١٤ ديسمبر ١٩١٢ ، «٢٢» ثم استقل كل جوق بعمله فالف اولاد عكاشة بعد حين جوقهم الجديد من احمد فهيم ومحمد بهجت ومحمود رحمي وعلي يوسف ومحمود حبيب ومريم سماط وفكتوريا موسى وصالحة قاصين ومانيل نجار ونظلة مزراحي . واستهل عمله في شهر فبراير ١٩١٣ «٢٣» بمسرحية «عظة الملوك» ، وقدم موسما متقطعا لم يحمل لنا من اخباره إلا القليل . ثم رأيناه يتحد مع جورج ابيض في جوق جديد دعي «جوق ابيض وعكاشة» .

ويبدو ان ابيض استغل التصدع الذي حدث في صفوف المسرح الغنائي منافسه الأول فحاول ان يقدم مسرحه الجدي المتجهم الذي اخذ الاقبال عليه يخف بعنصر الغناء الذي كان يشكل - مع الفكاهة - دعامتي المسرح المصري الشعبيتين انذاك . وكان ابيض ، من ناحية اخرى ، يستعد لتقديم موسمه الثاني الممتاز على مسرح الاوبرا ، فاثر ان لا يخوض المغامرة وحيدا ، فضم جهوده الى جهود ابناء عكاشة ، واختاروا عددا من المسرحيات اقتسماه بالتساوي وقدموا المسرحيات التالية : «الساحرة» و «نابليون» و «البرج الهائل» و «مصر الجديدة ومصر القديمة» و «الشيخ متلوف» . وهي مسرحيات ابيض ، و «ضحية الغواية» و «عيشة المقامر» و «غانية الاندلس» و «عائدة» و «شهداء الغرام» . وهي من المسرحيات التي تدرب عليها اولاد عكاشة ومثلوها في الاجواق السابقة وخاصة جوق الشيخ سلامة .

وظل هذا التعاون قائما حتى شهر مايو ، ثم استمر ابيض في عمله وانقطعت عنا اخبار ابناء عكاشة وجوقهم حتى رحلة الصيف . «٢٤» .

وقد تحدث محمد تيمور عن نشاط اولاد عكاشة في هذه الفترة التي كانوا فيها يتحادثون مع الشيخ ويتدافعون فقال : ال عكاشة ثلاثة من الرجال عبد الله وعبد الحميد وزكي لم يحترفوا التمثيل في وقت واحد . دخله اولهم وهو اكبرهم وتلاه عبد الحميد ثم انضم اليهم زكي والفوا اخيرا جوقهم الذي تحول الى شركة .

اول عيوب ال عكاشة الجهل المطبق باسرار الفن ، فهم بلا نزاع معذورون في الروايات السقيمة التي يخرجونها للجمهور لانهم لا يعلمون إن كانت هذه الروايات فنية او غير فنية ، بيد ان الجمهور معذور ايضا في نفوره وانقباضه عنهم ، فكل انسان يحصد ما زرعه ويأكل ما حصده . ولعل هذا الجهل المطبق هو الذي حدا بهم للتمسك بروايات الشيخ التلحينية التي تكاد تعفو اثارها من عالم التمثيل . ونحن لا نعلم اي نوع من انواع التمثيـــل تقوم الجماعة باحيائه ، فتارة نراهـــم يخرجون الدرام والكوميدي والكوميدي دراماتيك وطورا نراهم رجعـــوا الى التمثيل الغنائـــي واعادوا عظة الملوك وعائدة . وكل هذا ظنا منهم ان كل ما ينشده المنشد او يصرخ به الممثل على خشبة المسرح يعد تمثيلا يهتز له الجمهور ، وثاني عيوبهم انهم غير اكفاء للتمثيل ، ولا ادري لماذا يقف الثلاثة على المسرح وقد اثبتت لهم الايام عدم صلاحيتهم لذلك ، بل لم نسمع ان احدهم اتقن دورا من الادوار ، اللهم إلا دور الشيخ متلوف ، ودور الوزير في رواية (القضاء والقدر) وقد امتاز بهما عبد الله عن بقية ادواره بيد انه لم يفعل فيهما شيئا غريبا . وثالث عيوبهم اصواتهم ، وفي ذلك ما يلزمهم بهجر الغناء التمثيلي هجرا ابديا . انا لا انكر على عبد الله جمال صوته إذا غنى من طبقة ضعيفة ، على شريطة ان يطرب سامعيه في غرفة صغيرة . ولا انكر على عبد الحميد رقة صوته وذلك الحنان الذي ينبعث منه ، ولكنه يجهد نفسه على المسرح وصوته لا يصلح كصوت اخيه إلا للغرف . اما زكي فنحن لا ننكر عليه صوته السليم من الضعف ، بل تلك الرنة التي تصلح كثيرا للمسرح ولكنه خال من الرقة والحنان والجمال ، وإذا غنى خرج عن قاعدة الغناء ، فكل غنائه (نشاز) .

ونحن ننصح له كثيرا ان يأخذ قواعد الغناء عن رجل كرحمي حتى يصلح النقص الكبير الذي يؤلم به اذان السامعين . ورابع عيوبهم اعوازهم القدرة الفنية ، وفي ذلك ما يحدو بهم للتمسك بخشبة المسرح ، وعدم رضوخهم لنصائح الناصحين وعدولهم عن تأليف لجنة فنية تهديهم السبيل السوي . فاذا جلست مع عبد الله وحادثته في الفن مزج لك التراجيدي بالدرام والدرام بالكوميدي والكوميدي دراماتيك بالفودفيل فاذا اردت ان تشرح له حقيقة هذه الانواع وافقك في الحال واستمر ادراجه في الحديث حتى يعود لحالته الاولى من المزج والخلط ، ثم يحادثك عن امانيه في رقي الفن وعن الادوار التي برز فيها الشيخ بيد انه لا يهتدي في كل حديثه لشيء فني ، مع اعتقاده انه ابو الفن وابنه ومن ذوي قرباه . وإذا جلســـت مع عبد الحميد مشى على اثار احاديث اخيه ، وزاد عليها حديثه عن الممثلين الذين كانوا تحت رئاسته ثم انفصلوا عنه وساعدهم الحظ فاصبحوا من كبار الممثلين ، ثم يتكلم عن المناظر

مسرح أولاد عكاشه قبل عهد الأزبكية

التي اشتراها والملابس التى صرف من اجلها ما فى كيسه . واذا حادثت زكى رايت فى حديثه الدليل القاطع على رئاسته الادارية والفنية ، وعلى الادوار التى مثلها والتى سيمثلها . وعلى كفاءته التى تعادل كفاءة رشدى . وتخرج من احاديث الفرسان الثلاثة وانت لا تعلم ماذا قالوا لك ، ولا عن اى شىء كانوا يتحدثون . اما هذه العيوب الاربعة فهى اشد تاثيرا على الفن من جميع عيوب المديرين الاخرين . ولا نغالى لو قلنا ان جميع عيوب ابيض ورشدى وعبد تصغر وتتضاءل وتتلاشى ايضا امام العيب الاول من عيوب آل عكاشة .

مميزاتهم

معذرة إذا قلت عن آل عكاشة ان ليس لهم اى ميزة فنية ، ولكنهم استعاضوا عنها بميزة السياسة مع الجمهور ، فتراهم يتمسكون بالظرف واللطف فى احاديثهم ، بعد ان ينقبوا عن الجمل العذبة اللذيذة التى يشفعونها امام من يحادثهم بالتحيات المختلفة والابتسامات المحبوبة . وكم ودوا ان يكون لهم من الكلام ما يمازج الروح لطافة ويجرى مع النسيم رقة . ولهم فى ذلك من الغرائب والعجائب ما يقصر البنان عن تسطيره ويكل اللسان عن ذكره . ولولا هذه الاساليب المختلفة والابتسامات المحبوبة التى تنهزم امامها إرادة الناس لما عاش جوقهم الحى المميت ، ولا راينا إعلاناتهم ملصقة على الجدران تحمل اسماءهم . ولكننا نخشى ان لا يطول امد هذه الميزة ، ومع اعترافنا انها من لوازم مديرى الاجواق ، غير ان المغالاة فى كل شىء كفر . وعلى الاخص اذا لم يكن وراء الاكمة ما تثلج له النفوس وتقر العيون .

مجهودهم الفنى

ليس فى وسعنا ان نقسم مجهود آل عكاشة الضئيل الى اقسام عديدة ، كما فعلنا مع من سبقهم من المديرين ، خشية ان يمل القارىء . ويكفينا ان نستخلص من مجهودهم ثلاثة اطوار : الاول طور الظلام القاتم ، والثانى طور النور الضئيل ، والثالث طور الروايات الجديدة .

طور الظلام القاتم

يبتدىء هذا الطور من يوم انفصال الشيخ عن اسكندر فرح وذهابه لدار التمثيل العربى . هنالك سمعت باسم عبد الله عكاشة . ولا ادرى بالضبط تاريخ احترافه التمثيل ، فربما كان من المشتغلين مع فرح قبل انفصال الشيخ او ممن انضموا للشيخ بعد انفصاله عن فرح . مكث عكاشة فى جوق الشيخ الجديد ونحن لا نعرف من امره غير وقوفه على المسرح مع الشيخ حامد المغربى فى جوقة الملحنين . يساعد الشيخ اذا انفرد الشيخ بلحن من الالحان ، ساعة إنشادهم ما كان يسمى فى ذلك العهد بالسلام . وكنا نراه ايضا ينشد فى هذه الجوقة إذا دعتها المواقف التمثيلية لترديد بعض الالحان . ثم رايناه يمثل بعض الادوار الصغيرة فى (صلاح الدين الايوبى) و (تسبا) و (اللص الشريف) ، ورايناه ايضا يمثل بجانب محمد ناجى فى بعض الفصول المضحكة . وظل عبد الله خامل الذكر لا ينتقل من ظلام التمثيل الى نوره حتى دعت رواية اليتيمتين الشيخ لان يبحث بين افراد جوقه عن شاب جميل الصورة يقوم بتمثيل دور الفارس روجيه . ولقد اعيى البحث والتنقيب مجهود الشيخ بعد ان فرق جميع الادوار على كبار رجال فرقته ، واخيرا عثر على عبد الله واهداه دور الفارس روجيه ، وكانه كان يقول له : إذا قمت بتمثيل الدور خير قيام رفعت ناظرك واعليت كعبك . غير ان عبد الله هوى بالدور الى قرار الهاوية الى يوم ان تخلى عنه بعض مرض الشيخ لاخيه زكى . بيد ان عبد الله كاد ان يطير فرحا بالدور فى ذلك العهد ، حتى انه كان يقول لكل من قابله (انا الفارس روجيه نصير الحق والعدل) . هذا هو الطور الاول من اطوار عبد الله عكاشة ، ولم تكن لاخويه نصيب فيه لابتعادهم عن المسرح فى تلك الايام . ويحسن بنا ان نذكر ان اسكندر فرح دعا عبد الله عكاشة فى تلك المدة للانضمام الى جوقه ، فرفض عبد الله خشية ان لا يتمكن [illegible] التمثيل وان [illegible] اذا هو افترق عن الشيخ . والشيخ فى ذلك العهد كان كالسيل الجارف [illegible] الخصم ويحصد [illegible] السنبل . ولعل القارىء الكريم بعد قراءته ما سطرنا فى هذا الطور يوافقنا على تسميته باسم طور الظلام القاتم .

طور النور الضئيل

ثم اصيب الشيخ بالفالج فى ربوع الشام ، فاضطربت الامور وازدحمت الخطوب ، ومكث بعض افراد الشيخ بجانبه ، واتى البعض الى مصر ، وكان من بينهم عبد الله . وما لبثوا ان دفعوا به الى المسرح يمثل ادوار الشيخ ، فصفق الناس لسماع صوته ، وما كان التصفيق إلا صدى تلك الانة التى كانت تتردد فى قلب الجمهور لغيبة من لقبوه فى ذلك العهد بعمدة التمثيل العربى . وما لبثنا قليلا ان راينا عبد الحميد يقف على المسرح فى جوقة الالحان ، خالعا جبته وقفطانه وعمامته ليلبس الدرع والخوذة او الردنجوت وما تتطلبه من رباط رقبة وياقة وحذاء اسود لامع . ومكث الجوق يمثل فى دار التمثيل ، والوحشة تقدح فى صدر الجمهور اقتداح النار فى الزند ، وود الجوق ان يغسل فؤاد الجمهور مما علق به من الوساوس ، فانتقل الى تياترو عبد العزيز واصدر نشرة له ذكر فيها تحوله من جوق الى شركة ، وانفصاله عن الشيخ مرغما لا اختيارا ، وابتدا التمثيل فى تياترو عبد العزيز ، وظل يمثل زهاء عام ، وبلغ عبد الله عكاشة المرتبة التى يحسده عليها القاصى عنها ويمقته من اجلها الطامع فيها . ولم يظهر الجوق على المسرح غير رواية واحدة جديدة (شهداء الوطنية) وهى نوع من (العواطف الشريفة) ، اى من نوع الروايات التى تداس فيها التحاليل النفسية من اجل تلك الكلمات الرنانة التى تطن فى اذان الجمهور فيصفق لها . ثم انتقل الجوق من شارع عبد العزيز الى مهبطه القديم (دار التمثيل العربى) وما لبث ان تحول الى جوق يحمل اسم الشيخ ، واخرج للناس رواية واحدة جديدة (القضية المشهورة) وهى من نوع (شهداء الوطنية) واعاد روايات اسكندر فرح التى كان يناضل بها الشيخ ، وما اعادها إلا من اجل انضمام عزيز عيد اليه . فراينا على مسرح دار التمثيل (مارى تيودور وابنة حارس الصيد ونتيجة الرسائل والكابورال سيمون) . ومثل عبد الله دور الفتى الضابط فى (القضية المشهورة) والعشيق فى (مارى تيودور) ودور الفتى الاول فى (الكابورال سيمون) ، ولم يفعل فيها شيئا ، وتخلى عن رواية (ابنة حارس الصيد) و (نتيجة الرسائل) كما تخلى عن دور هملت ودور البطل فى (عواطف البنين) بل عن كل دور تمثيلى كان يمثله الشيخ ، واكتفى بالادوار التلحينية ، وكيف لا يكتفى بهذه الادوار وهى سفينة نجاته . اما عبد الحميد فلم يخرج عن جوق الالحان قيد شبر اللهم إلا تمثيله ادوار (الكمبارس) ، بيد انهم دعوه لتمثيل دور وليم فى (صلاح الدين الايوبى) فلم يحسن تمثيله ولا إنشاد قصائده .

ثم ظهر على المسرح زكى عكاشه . وكان هذا اول عهده بالتمثيل . وقام بدور رودريك فى (السيد) وظن افراد الجوق انهم وجدوا فى صوته الرنان برد فؤادهم وضالة املهم . ولكنهم ابعدوه عن دارهم بعد تمثيله الدور ، فخرج منها وهو لا يعرف السبب الذى اقتضى نبذه بعد انتقاعه . وكيف يعرف زكى السبب وهو كثير الغرور ، يعتقد فى نفسه الكفاءة ، ويثق بها ثقة عمياء ، ويابى الاقتداء باخيه عبد الحميد فى تمثيل دور (الكمبارس) . ثم عاد الشيخ للوقوف على المسرح لانشاد بعض القصائد بين الفصول . وكانت هذه العودة سببا فى انفصال عبد الحميد وعبد الله وتاليفهم جوقا يضم تحت لوائه اخاهم زكى وعزيز عيد وعلى يوسف ورضا وحسن ثابت ولبث جوقهم يمثل فى القاهرة ثم انتقل منها

سلامة حجازى



عزيز عيد



الى الشام . ثم عاد الى القاهرة ومثل فى تياترو عبد العزيز ، ولم يخرج للناس رواية واحدة جديدة ، بل ولم يجد فى الجمهور وجها خصيبا ولا على المسرح مرعى رطيبا ، فاذا نظر يمنة وجد المحن وإذا عطف يسرة راى الحسرات . وظل يناضل وهو مخذول الامل ، غير عالم ان الداء لا يحسمه غير الدواء . وفى نهاية العام الف جورج افندى ابيض جوقه من خيرة افراد جوق سلامة وجوق عكاشة ، فانضم ال عكاشة للشيخ سلامة ومثلوا فى دار التمثيل العربى سويا . ثم افترق الفرسان الثلاثة عن الشيخ . ثم انضموا لابيض واعادوا معه فى دار الاوبرا روايتى (عائدة) و (الافريقية) . والاخيرة كما نعلم من مجهود جوق اسكندر فرح . ثم انضموا جميعا وابيض معهم للشيخ وسافروا الى الشام . ثم عادوا متفرقين ، ومثل الشيخ فى كازينو دي باريز وعكاشة فى دار التمثيل العربى . وابيض لجا الى منزله ثم عاد والف جوقه . ولم يفعـــل ال عكاشة فى هذين السنتين شيئا يذكر ، بل ولم يخرجوا رواية واحدة جديدة ، وانحصر مجهودهم فى إعادة الروايات القديمة وتمثيل تلك الادوار العتيقة التى رثت حبالها وتقطعت اوصالها . »٢٥«

طور الاستقلال

(١) فى الطريق الى دار التمثيل العربى الجديد (١٩١٣ ـ ١٩١٤)

فى شهر اغسطس ١٩١٣ استاجر ابناء عكاشة تياترو فردى فى القاهرة ، وهو الذى كان استاذهم وولي نعمتهم الشيخ سلامة قد استاجره قبل ذلك بثمانى سنوات ليقدم عليه اقوى مواسمه قبل ان تنزل به كارثة الشلل . ورأوا ان يهدموا المسرح القديم ، وان يقيموا مكانه مسرحا جديدا بعدونه لاستقبال موسمهم الجديد بعد عودتهم من رحلة الصيف المشتركة . »٣٦«

عاد الجوق من رحلته تلك فى اواخر نوفمبر ١٩١٣ . »٣٧« واعيد تاليفه فضم عزيز عيد ، بعد انفصاله عن ابيض ـ وكان يتولى الاخراج فضلا عن التمثيل ـ واحمد فهيم ومحمود رحمى ومحمود حبيب ومحمد بهجت ومريم سماط وفكتوريا موسى ، عدا اولاد عكاشة الثلاثة ، واشترك الشيخ سلامة فى تمثيل بعض المسرحيات . وجهز الجوق بالملابس الجديدة ، من عصرية وتاريخية . »٣٨«

وقد قدم الجوق فى موسمه المتقطع هذا عددا من المسرحيات القديمة . نذكر منها : «شهداء الغرام» و «شبا» و «خداع الدهر» (البريئة المتهمة) و «صلاح الدين الايوبى» و «صدق الاخاء» و «القضية المشهورة» و «الشيخ متلوف» و «البرج الهائل» و «تليماك» . وقد قدمها بمسرح برنتانيا وبالاوبرا فى القاهرة ، وبالمنيـــا وبالمنصورة .

وقدم فى موسم الاوبرا ثلاث مسرحيات جديدة هى «طارق بن زياد» و «القضاء والقدر» و «نعيم ابن حازم» . »٢٩« وقد كتب احد الادباء نقدا عن موسم الاوبرا تناول فيه اولا نصوص المسرحيات بالنقد السريع ، ثم تحدث عن الممثلين والتمثيل فقال :

كما انه ليس من الصدق وحسن العمل ان يكال المدح جزافا للاجواق تغريرا بها وغشا لنا . كذلك ليس من العدل اتخاذ طريقة النقد الشديد فى نقد تمثيلهم ورواياتهم ، فان شيئا من التسامح امر ضرورى فى مبتدا هذا الفن على شرط الا يكون فى هذا التسامح مخالفة للانصاف وغش للجمهور . ولذلك إذا سكت الكتاب والجمهور عن كثير مما راوه مما يسوء ، فانهم يذكرون بالاحسان والاجادة فى مقدمة الممثلين محمود حبيب ممثل دور موسى بن نصير فى رواية طارق بن زياد ، فقد كان فيه ممثلا حقيقيا بمعنى الكلمة ، واحمد فهيم ممثل دور طارق الذى لو اخذ بتفصيله له لكان امام المسرح و[illegible] . ومع ذلك فقد كان فيه [illegible] من الاباء ولقى ذلك بكثير على احمد فهيم . ومحمد بهجت الذى اجاد دور [illegible] حسن اجادة تتطلق على عالمه من الشهرة فى التمثيل او تزيد . وزكى عكاشة المعروف [illegible] على المسرح . وعزيز عيد مدير التمثيل ومعلمه فى الجوق الذى ظهرت اثاره وطريقته فى تعليم التمثيل فى الروايات الثلاث .

ثم قدم عددا من مسرحياته القديمة والجديدة بالقاهرة والمنصورة والاسكندرية . وفى شهر مايو ١٩١٤ سافر الجوق على عادته ، الى بلاد الشام وامتدت رحلته حتى حوالى منتصف شهر اغسطس . »٣٠«

واستانف التمثيل بعد عودته فى تياترو حديقة الازبكية . فقدم طارق بن زيـــــاد و الكابورال سيمون و هملت و عظة الملوك و ماري تيودور و شهداء الغرام و نعيم بن حازم و القضاء والقدر و العواطف الشريفة و «القضية المشهورة» و «اليتيمتين» و «سارقة الاطفال» . وهى جميعا من المسرحيات التى سبق تمثيلها ، وقدم مسرحيتين جديدتين هما «بائعة الخبز» و «منقذ اليتامى» . وكان عبد الله عكاشة ، رئيس الجوق ، يقوم بادوار البطولة فى معظم هذه المسرحيات ، ويتخلى عنها احيانا لاحمد فهيم او لمحمد بهجت او لعزيز عيد .

وقد سجل لنا محمد تيمور رايه فى هذا الموسم فقال :

اعاد ال عكاشة تاليف جوقهم ، وكان بين افراده عزيز عيد وبهجت وفهيم ومحمود حبيب ومريم سماط وفكتوريا موسى ، ومثلوا فى دار الاوبرا ثلاث روايات جدد : (طارق بن زياد) وكتبوا عليها انها لامير من امراء البيان واخفوا اسم المؤلف وهو صديقنا الكاتب الفاضل حنا افندى اندراوس . و (القضاء والقدر) لادوارد كنوبلتر ، ترجمها للافرنسية جول ليمتر وترجمها للعربية عن الافرنسية الشاعر الكبير خليل مطران ، ورواية (نعيم بن حازم) للكاتب الفاضل عبد الحليم دولار ، والروايات الثلاث عربية ، والاولى من نوع الدرام الرومانتيك ، اجاد المؤلف إحكام بنائها ولكنه لم ينجح النجاح المطلوب فى تحليل انفس اشخاصها . والثانية من قصص الف ليلة وليلة محكمة الوضع ولكنها تافهة الموضوع ولم تنجح فى انكلترا الا لغرابة موضوعها وجمال مناظرها العربية . اما فى فرنسا فكانت اقرب للسقوط منها الى النجاح ، بيد انها نجحت فى مصر والفضل فى ذلك راجع لذلك القلم الفياض وتلك البلاغة التى امتاز بها صديقنا الفاضل شاعر القطرين .

اما الرواية الثالثة فلا اعرف عنها شيئا . ولقد كانت هذه الروايات الثلاث فالاحسنا لال عكاشة واستبشر الجمهور من ورائها خيرا كبيرا ووثق بالفرسان الثلاثة وانتظر منهم روايات اخرى جديدة . اما عبد الله فلم ينجح إلا فى دور الوزير فى (القضاء والقدر) وسقط هو واخواه فى الروايتين (نعيم بن حازم) و (طـــارق بن زياد) . »٣١«

(٢) عهد دار التمثيل العربى الجديد (١٩١٤ ـ ١٩١٧)

فى الساعة التاسعة من مساء الاربعاء ٢٨ اكتوبر افتتح عبد الله عكاشة واخوته مسرحهم الخاص ، دار التمثيل العربى الجديد ، بشارع الباب البحرى لحديقة الازبكية ، على انقاض دار التمثيل العربى التى اقامها استاذهم الشيخ سلامة حجازى سنة ١٩٠٥ .

والفوا جوقا جديدا ضم كبار ممثلى وممثلات العصر منهم ـ عدا العكاشيين ـ محمود حبيب وعبد المجيد شكرى ومحمد بهجت ومحمد يوسف ونظلة مزراحى وصالحة قاصين . والقى فى حفلة الافتتاح بعض القصائد والخطب . ومثل الفصل





محمد تيمور — خليل مطران — منيرة المهدية

الرابع من مسرحية «القضاء والقدر» . ٣٢

اقدم الجوق على مغامرته الجديدة وامامه منافس خطر هو جوق جورج ابيض وحجازي ، الذي جمع علمين من اعلام المسرح انذاك ، وضم الغناء الى التراجيديا . ولذا كان عليه ان يضع هذه المنافسة في حسابه دوما وان يستعين عليها بالوسائل المصطنعة الكثيرة التي الجيء اليها الجوق المنافس :

واستمر موسمه هذا زهاء سبعة اشهر ، كان فيها التمثيل منتظما بمعدل ثلاث حفلات في الاسبوع . وقد قدم هذا الموسم المسرحيات القديمة التالية : «تليماك» و «القضية المشهورة» و «غانية الاندلس» و «مغائر الجن» و «صلاح الدين الايوبي» و «عائدة» و «عظة الملوك» و «اللص الشريف» و «البرج الهائل» و «ماري تيودور» و «شهداء الغرام» و «اليتيمتين» و «الشيخ متلوف» و «تسبا» و «هملت» و «سارقة الاطفال» و «ابو الحسن المغفل» و «جناية الملكة او صياد دجلة» (هارون الرشيد مع قوت القلوب وخليفة الصياد) .

اما المسرحيات الجديدة التي قدمها فبعضها جديد اعد لهذا الموسم ، والاخر مما قدمه الجوق في موسمه السابق ، او مما كان يقدمه جوق ابيض وحجازي في موسمه ذاك . وهذه المسرحيات هي : «القضاء والقدر» و «بائعة الخبز» ـ من مسرحيات الموسم السابق ـ و «بريد ليون» و «شهادة الميت» و «ذات نجلاء العين» و «لاجل الشرف او هكذا عدل الناس» و «عقيرة» و «السلطان صلاح الدين ومملكة اورشليم» و «اورلندة الحسناء ملكة بولونيا» و «بنات الشوارع وبنات الخدور» و «ورقة الاس» و «شمس الصباح» و «اليد السوداء» .

ومن هذا التعداد نلاحظ ان نسبة المسرحيات الجديدة ـ اذا صح انها جميعا جديدة ولم يغير اسم بعضها ـ عالية جدا هذا الموسم ، وخاصة ان جوق ابيض وحجازي المنافس لم يقدم في موسمه هذا سوى مسرحية جديدة واحدة هي مسرحية «الحاكم بامر الله» . وجدير بالملاحظة ايضا ان الجوق عني بالمسرحيات المؤلفة ، الى جانب المسرحيات المترجمة ، مستجيبا للدعوة التي كانت تتردد انذاك في الصحف والمجلات حاثة الكتاب على تاليف المسرحية المحلية .

وكان بعض هذه المسرحيات يمثلها الجوق المنافس ، جوق ابيض وحجازي ، في موسمه ومنها «عائدة» و «هملت» و «عظة الملوك» و «تليماك» و «شهداء الغرام» و «اليتيمتين» و «صلاح الدين الايوبي» و «السلطان صلاح الدين ومملكة اورشليم» و «غانية الاندلس» ، وبعضها كان يمثل في الاسبوع نفسه .

ونرى من مراجعة المسرحيات التي قدمت ان الجوق عمد الى التنويع ، فقدم مسرحيات غنائية واخرى تاريخية ودرامية وكوميدية . واصطنع كثيرا من الحيل والمغريات لاجتذاب الجمهور ـ وهو مما كان شائعا في تلك الفترة ـ فاحتفظ بالاوركسترا التي كان يقودها عبد الحليم علي ، مع ان جوق ابيض وحجازي استغنى عنها لسوء الحال وضيق ذات اليد ، واستعان بالغناء الذي كان يقدمه زكي مراد ومنيرة المهدية وتوحيدة بين الفصول او عقب التمثيل ، وقدم فصولا مضحكة اضطلع بها محمد كمال المصري (شرفنطح فيما بعد) ، وعرض الصور المتحركة التي كانت تقدمها شركة ابو الهول ، وقدم جوقا يابانيا للالعاب البهلوانية بين الفصول . وكانت هذه المغريات تقدم في الحفلات النهارية في الاكثر .

● ●

وهنا نصل الى راي النقاد في جوق عكاشة ثم ظهور مسرح حديقة الازبكية في عام ١٩٢٠ وهذا هو موضوع الجزء الثاني من البحث فالى العدد القادم ، حيث نتابع هذه الوقفة الهامة من وقائع المسرح العربي

د . محمد يوسف نجم

هـــوامـــش

١ ـ هم عبد الله وعبد الباقي وعبد الحميد وزكي ، واصلهم من فرسيس الشرقية (انظر المقطم ٢٦ ديسمبر ١٩١٥ ، في نعي عمهم) . وقد ادركنا منهم عبد الحميد الذي افادنا الكثير من المعلومات عن نشاط الاسرة التمثيلي .

٢ ـ «مذكرات ممثلة» لمريم سماط ، في الاهرام ٦ سبتمبر ١٩١٥ .

٣ ـ انظر كتاب حياتنا التمثيلية لمحمد تيمور (مطبعة الاعتماد ، القاهرة ، ١٩٢٢) ٢٠٣ ـ ٢٠٤ ، وكتاب الشيخ سلامة حجازي لمحمد فاضل (مطبعة الامة ، دمنهور «مصر» ، ١٩٣٢) ٤٥ ، وفيه يذكر ان الشيخ ضم الاخوة الثلاثة الى فرقته الاولى بدار التمثيل العربي .

٤ ـ «مذكرات ممثلة» لمريم سماط ، في الاهرام ٢٦ سبتمبر ١٩١٥ . وانظر مقالنا «مسرح الشيخ سلامة حجازي في طور الاستقلال» في مجلة الابحاث ، السنة ٢٦ (١٩٧٣ ـ ١٩٧٧) : ٥٧ ـ ١٣٩ .

٥ ـ المقطم ٢٩ نوفمبر ١٩١٨ .

٦ ـ انظر مقالنا عن مسرح الشيخ سلامة حجازي .

٧ ـ «مذكرات ممثلة» لمريم سماط ، في الاهرام ٢٦ سبتمبر ١٩١٥ .

٨ ـ [illegible] الجوق الى بيروت في ١٨ مايو ١٩١١ (انظر لسان الحال ـ بيروت ـ بهذا التاريخ) .

٩ ـ لسان الحال ٢٨ مايو و ١ و ٧ يونية ١٩١٠ .

١٠ ـ لسان الحال ١٦ و ٢٣ سبتمبر ١٩١٠ .

١١ ـ انظر اخبار هذا الموسم في مقالنا عن مسرح الشيخ سلامة حجازي .

١٢ ـ انظر الافكار (القاهرة) ٩ يونية ١٩١١ ، والمؤيد ١٤ يونية ١٩١١ ، مقال محمد تيمور في المنبر (القاهرة) ٣٠ سبتمبر ١٩١٨ .

١٣ ـ حياتنا التمثيلية لمحمد تيمور : ٢٠٦ ، والمنبر ٣٠ سبتمبر ١٩١٨ .

١٤ ـ الافكار ٩ يونية ١٩١١ ، والمؤيد ١٤ و ١٨ و ٢٨ يونيو و ١ يوليه ١٩١١ ، والمقطم ١٠ و ١٦ و ٢٩ يونية ١٩١١ .

١٥ ـ انظر المؤيد ١٤ يونية و ١ يولية ١٩١١ .

١٦ ـ لسان الحال ١٢ و ١٥ يولية ١٩١١ .

١٧ ـ المقطم ١٧ اغسطس ١٩١١ .

١٨ ـ الاهرام ٢٩ اغسطس ، والمقطم ١٣ سبتمبر ١٩١١ . ويبدو ان المسرح زود بآلات وملابس جديدة انظر الاخبار (القاهرة) ٣١ اغسطس ١٩١١ .

١٩ ـ المؤيد ٢٢ اكتوبر ١٩١١ .

٢٠ ـ انظر ما نشر من هذا النقد في المحروسة (القاهرة) ٥ و ٨ و ١٠ و ١٦ ديسمبر ١٩١١ وخاصة المقال الاخير وهو بقلم علي عنايت .

٢١ ـ انظر مقالنا عن مسرح الشيخ سلامة حجازي بمجلة الابحاث .

٢٢ ـ الافكار ٢٢ ديسمبر ١٩١١ .

٢٣ ـ المقطم ٢٠ فبراير ١٩١٣ .

٢٤ ـ انظر مقالنا عن مسرح الشيخ سلامة حجازي بمجلة الابحاث .

٢٥ ـ حياتنا التمثيلية [illegible]

٢٦ ـ المقطم ٥ اغسطس [illegible]

٢٧ ـ المقطم ٢٢ نوفمبر [illegible]

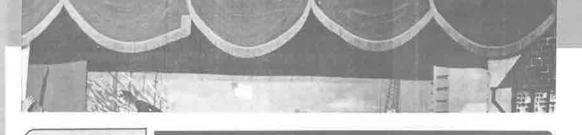
٢٨ ـ المقطم ٥ ديسمبر ١٩١٣ ، وحياتنا التمثيلية لمحمد تيمور ٢١٨ ، والمنبر اكتوبر ١٩١٨ ، والافكار ٨ اكتوبر ١٩١٤ .

٢٩ ـ الاهرام ١٩ اغسطس ١٩١٤ .

٣٠ ـ المحروسة ٢٥ مارس ١٩١٠ .

٣١ ـ حياتنا التمثيلية : ٢٠٧ ـ ٢٠٨ .

٣٢ ـ انظر المقطم ٢٩ اكتوبر ١٩١٤ .



سقط "الشاويش صابر" بعد خمسين عاما من الكفاح الفني



مشوار فني طويل ، عمره قرابة خمسين عاما ، قضاها شفيق نور الدين مكافحا ومجاهدا في صمت .. ساهم بدور كبير في تدعيم الحركة المسرحية العربية ، ويحفل تاريخه الفني الطويل بصفحات مضيئة من الجهد والكفاح والتضحيات ...

كان شفيق نور الدين طفلا كغيره من اطفال قرية (بيجرم) مركز قويسنا بمحافظة المنوفية في مصر العربية .. اجتاز فترة الطفولة في كتاب الشيخ عيسى .. ولما انتهى من حفظ اكثر ايات القران ، الحقه ابوه بالمدرسة الابتدائية ، التي يلبس تلاميذها البدل فقد كانت امنية الاب ان يصبح ابنه موظفا في الحكومة .. يذهب الى «الديوان» صباحا ، ويعود منه بعد منتصف النهار حاملا في يده الجريدة الصباحية ، ليجلس امام الدار ويلتف حوله الفلاحون يستمعون اليه وهو يقرا لهم اخبار الدنيا .. وحصل شفيق نور الدين على الشهادة الابتدائية والتحق بالمدرسة الثانوية ، ليواصل المشوار حتى يصل الى الوظيفة ، ويحقق صور المستقبل الذي تخيله له والده .. !

ولكنه ما كان يقترب من السنة الثالثة الثانوية التي كان الطلاب يحصلون بعدها على شهادة (الكفاءة) حتى تعثر في الدراسة ، فقد زارت قرية بيجرم فرقة الشيخ احمد الشامي التمثيلية ، وقدمت بعض مسرحياتها باللهجة العامية ، واثارت الفرقة اعجاب الفلاحين من اهل القرية ، ومنهم شفيق نور الدين ، الذي اجتمع بعد ذلك باهله واصدقائه من الفلاحين ، ليقرا لهم الصحف والمجلات التي كانت تنقل لهم خطب سعد زغلول ، واخبار كفاحه ضد الاستعمار الانجليزي .. لكنه في هذه المرة لم يقرا الجريدة بل اخذ يتحدث عن الروايات التي عرضتها فرقة الشيخ احمد الشامي وكان يحفظ حوار كل مسرحية ، ويقلد الممثلين وهم يمثلون .. واعجب الفلاحون بتقليد شفيق نور الدين للممثلين ، وشجعه اعجابهم على ان يحول (جرن) القرية ، الى مسرح .. وكان هو الممثل الوحيد الذي يمثل امامهم كل الادوار ، كانوا يضحكون من اعماقهم احيانا ويصفقون اعجابا في احيان اخرى .. !

تقليد نجوم الكوميديا

وملكت عليه هذه الهواية كل اهتمامه . فكان من الطبيعي ان يرسب في امتحان شهادة الكفاءة .. وكان نظام التعليم وقتئذ ، يحرم الطالب الذي يسقط في هذه الشهادة من مواصلة التعليم الثانوي ، فقرر والده ان يلحقه بمدرسة الفنون والصناعات بالاسكندرية .. وفرح شفيق بهذا الانتقال الذي سيجعله يشاهد الفرق المسرحية ، التي كانت تعرض مسرحياتها كل يوم بالاسكندرية .. وكان يذهب الى (حي محرم بك) حيث كان علي الكسار يقيم سرادقا ، يعرض عليه مع فرقته اشهر مسرحياته الكوميدية ، لذلك كان يذهب الى حي الميناء الشرقية ، ليشاهد فرقة فوزي منيب اكبر منافس لعلي الكسار وقتئذ .. وكان يحفظ جميع الروايات التي يشاهدها عن ظهر قلب بمجرد مشاهدتها مرة واحدة .. وكان هدفه من ذلك ان يعود في الاجازة الصيفية الى قرية (بيجرم) بجوار قويسنا بالمنوفية ، ليعيد تمثيل هذه الروايات امام اصدقائه واقاربه من الفلاحين .. وفعلا تحقق هدفه ، فقد عاد الى القرية بعد نهاية العام الدراسي الاول في مدرسة الفنون والصنايع بالاسكندرية ، واستطاع ان

شفيق نور الدين وزوجته التي تزوجها عام ١٩٣٦ وانجب منها ولدين وثلاث بنات

يفرش (الجرن) بالسجاجيد ، ويضع بعض الكراسي ، ويزود هذا الجرن ببعض (الكلوبات) ... ويدرب بعض الفلاحين الذين يعرفون القراءة والكتابة بعض الشيء على ادوار المسرحية ، واقام عدة حفلات .. واقبل اهالى قرية بيجرم على هذه الحفلات ، واصبح شفيق نور الدين حديث القرية كلها ، وسمع ابوه باخبار هذه الحفلات التي كان يتحدث عنها زملاؤه موظفو بنك التسليف الانجليزى وكان هذا البنك يقرض الفلاحين بضمان محصول القطن الذى كان البنك يستولى عليه بعد ذلك بابخس الأسعار .. !!

بائع الخبز

وطلب منه والده ان يتفرغ لدراسته ، ويهجر الهواية الفنية ، ولكنه لم ينفذ رغبة والده ، بل مضى يشاهد المسرحيات فى الشتاء ، ليعيد تمثيلها فى الصيف ،بنفس الطريقة . فقرر والده ان ينقله من مدرسة الصناعات بالاسكندرية الى مدرسة الصناعات بالقاهرة ، لعله يجد فى حياة القاهرة ما يبعده عن الفن ، ولكن كان هذا ما يريده شفيق نور الدين ، فقد اندمج فى الحياة الفنية فى القاهرة ، واهمل دراسته تماما ، والتحق بمعهد التمثيل الذى انشاته وزارة المعارف سنة ١٩٣١ ،ثم اغلقه حلمى عيسى باشا وزير المعارف بحجة حماية الاخلاق والتقاليد .. ولم يسع والده إلا ان يطرده ويقاطعه بسبب اهتمامه بالفن واهماله للتعليم ، فبدا يعانى مرارة الحياة وشظف العيش ، خصوصا وان الأزمة الاقتصادية العالمية فى اوائل الثلاثينات قد زادت مخالبها ، ونشرت الفقر والحاجة فى العالم كله ، .. وكان والده قد استقال من وظيفته فى البنك ، ليستغل خبرته فى صفقات بيع القطن ولكن شاءت الظروف الاقتصادية ان يتعرض الأب لضربات مالية قاصمة ، وكان قد حدث ان اشفق الأب على ظروف ابنه ، فجاء الى القاهرة واقنع ابنه ان يعود معه الى قريتهما ، ليجرب حظه معه فى تجارة القطن ، ولكن انهيار الحالة الاقتصادية ، ادت الى ان يخسر الأب كل ثروته ، ويعود مع ابنه الى القاهرة ، وعمل الأب كاتبا فى مخبز ، بينما اشتغل شفيق بائعا للخبز الذى ينتجه هذا المخبز .. !!

ممنوع التمثيل

وفى هذه الأثناء لم ينقطع شفيق عن التردد على الوسط الفنى واستطاع ان يتقدم لامتحان عقدته الفرقة القومية (المسرح القومى الآن) فى بداية تكوينها ، لحاجتها الى مجموعة من الهواة تدربهم على التمثيل والاعمال الفنية الأخرى ، ونجح شفيق نور الدين فى هذا الامتحان ، هو وخمسة هواة ، كان بينهم يحيى شاهين وحسن اسماعيل (المخرج التلفزيونى الآن) وحسن سالم ومحمود اسماعيل (المخرج والممثل والمؤلف ..) وتقرر لكل منهم مرتب شهرى قدره ثلاثة جنيهات ، ولكنه طرد هو وزملاؤه بعد فترة العمل الأولى ، لان ميزانية الفرقة وقتئذ لم تتحمل مرتبات الهواة ، ولكن فتوح نشاطى سعى لأن يستعين به فى ادوار الكومبارس ، وفى التلقين ايضا ، ولما اظهر كفاءة كملقن ، تقرر إعادة تعيينه فى الفرقة كملقن بمرتب اربعة جنيهات فى الشهر ، وظل سجينا فى «كمبوشة» الملقن اكثر من سبع سنوات بهذا المرتب الضئيل ، وظل يلقن الممثلين حوارهم من ذاكرته ... الذي اصبح يحفظ كل المسرحيات عن ظهر قلب ..

وكلما حاول شفيق نور الدين ان ينتقل من ملقن الى ممثل ، فوجيء بحروب شديدة من كبار الممثلين ، الذين كانوا يحولون بين الهواة وبين الادوار التمثيلية ، خشية ان يهددوا مستقبلهم ، فاقترح شفيق نور الدين على زملائه الهواة ان يكونوا فرقة تمثيلية باسم فرقة (أشبال الطليعة) ...

واستجاب جميع زملائه لهذه الفكرة ، وقدموا



شفيق نور الدين فى مسرحية «سكة السلامة»



شفيق نور الدين فى مسرحية «السلطان الحائر»

ثلاث مسرحيات من فصل واحد ، اخرجها المخرج فتوح نشاطى الذى كان شديد العطف عليهم ، وكان يدافع عن قضيتهم .. ولما كان شفيق اكثر الذين نجحوا فى هذه الحفلة ، فقد بدا يعانى من غطرسة كبار ممثلى الفرقة القومية الذين شعروا انهم امام ممثل يتمتع بمواهب كبيرة ، وينتظره مستقبل كبير ... فعملوا على ان يربطوه بحبال داخل كمبوشة الملقن ، وظل مقيدا الى هذه الكمبوشة ، مدى سبع سنوات ، حتى اتيح له ان يمثل دورا صغيرا فى مسرحية (الشيخ متلوف) .. ثم دورا اكبر فى مسرحية (عزيزة هانم) وقد ظل الناس يصفقون له عدة دقائق ..

الشهرة الفنية

ولكن مولد شهرته الفنية كممثل مسرحى موهوب ، كان فى مسرحية (ملك القطن) تاليف الدكتور يوسف ادريس ، فقد وضع هذا الدور قدمه على اول طريق الشهرة ، ثم بلغ قمة النجاح بعد ذلك فى مسرحية (قهوة الملوك) التى كتبها لطفى الخولى ومسرحية (المحروسة) التى كتبها سعد الدين وهبه ... ومضى بعد ذلك فى طريقه حتى اصبح واحدا من الفنانين الذين يعتز بهم المسرح والسينما والتلفزيون .. وكان دائما عملاقا فى ادواره ، مهما كان الدور صغيرا .

ولكن شاء قدره ان يصاب بمرض الحساسية فى الصدر ، ويجيئه هذا المرض ، وهو فى قمة انطلاقه الفنى ، والاضواء تحيطه من كل جانب ، بعد حرمان طويل واهمال مرير .. كانت بداية المرض عندما اصيب بنزلة شعبية حادة .. وتعرض تدريجيا لنوبات الحساسية ، كلما تغيرت درجة حرارة الجو ، ولم تعد تجدى معه معظم المضادات الحيوية لكثرة استخدامه لها مما ادى الى اصابته بضعف شديد .. وفى سنة ١٩٧٧ اشتدت عليه ازمة المرض ، ودخل احدى المستشفيات للعلاج على نفقة الدولة ، ثم غادر المستشفى بعد ان شفى ، وبدا يستانف نشاطه الفنى ، واقتضى عمله فى بعض مسلسلات التلفزيون التى تصور خارج القاهرة ، ان يسافر الى بعض دول الخليج ، ثم اشترك كذلك فى بعض المسرحيات ، وكانت اخرها مسرحية (سهرة مع الحكومة) .. ويبدو ان صحته لم تحتمل هذا الجهد خصوصا وانه قد تجاوز السبعين من عمره ، فهو من مواليد شهر سبتمبر سنة ١٩١٠ .. وهكذا سقط الفنان الكبير مريضا ، ولزم الفراش فى الاسابيع الأخيرة حتى وافته المنية .. !!

ثروة فنية

وقد كان شفيق نور الدين معروفا بين زملائه فى الوسط الفنى ، انه يعيش حياة معتدلة ، وتقف وراءه زوجة تربطه بها صلة القربى ، وقد عنيت بتنظيم حياته ، وتامين مستقبله هو والاولاد الذين رزقا بهم .. ولكن هذا الاستقرار العائلى لا يمنع من انه قد انفق على علاج نفسه كثيرا ، وان هذا العلاج استهلك جانبا كبيرا من ثروته الصغيرة التى جمعها من شهرته الفنية التى جاءته متاخرة بعد ان قضى من عمره الفنى فترة طويلة بعيدا عن الأضواء والشهرة التى تحقق الرخاء والثروة . !!

ولكنه ترك ثروة كبيرة من الأدوار التى ستظل الجماهير تذكرها له ، مثل (قمحاوى ابو شادوف) فى مسرحية (ملك القطن) و (الأستاذ منجد) فى (المحروسة) و (الشاويش صابر) فى مسرحية (السبنسه) و (الطواف) فى مسرحية (عيلة الدغرى) و (عامل التليفون) فى مسرحية (سهرة مع الحكومة) وغير ذلك من الأدوار التى لا يمكن ان ينساها الجمهور سواء على الشاشة الكبيرة او الشاشة الصغيرة او خشبة المسرح .

حسين عثمان

شهادات واقعية من المسرح الخليجي



الجمهور القطرى ـ وجمهور منطقة الخليج عموما ـ على موعد فى شهر رمضان القادم مع مسلسل تليفزيونى جديد تم تصويره فى استديوهات تليفزيون قطر . المسلسل بعنوان «احلى الايام» ويحكى قصة عائلة قطرية يقوم فيها «الجد» بحل مشكلات الأسرة . وهى مشكلات كل فرد فيها وطريقته فى التفكير واسلوب الحياة الذى يتخذه لنفسه . فالام سيدة عصبية المزاج شديدة الغيرة ، والزوج مهمل لبيته منصرف لحياته الخاصة . والابن الأكبر مذعن للعادات والتقاليد . والابن الأصغر راغب فى اللهو وإهمال واجباته ، وأما الابنة فهى فى محاولات شاقة ويائسة بين ان توفق بين رغبات امها ، ورغبتها هى فى تحقيق طموحها العلمى .

شخصيات جميعها متصادمة .. كل له عالمه .. وسلوكه .. وطموحاته الشخصية . ومن خلال ذلك كله تولد المشكلات التى تضع «الجد» فى موقف حلال المشاكل ؟ أما الأحداث نفسها التى صاغها الكاتب التليفزيونى «عاصم توفيق» واخرجها للشاشة القطرية «حسن بشير» .. فقد اختار لها الكاتب إطارا كوميديا عصريا يصل إلى وجدان المشاهد بالهدف عن طريق الاضحاك والسخرية من المشكلات التى تمس كيان اسرة ، إذ المفروض أن يقوم بناء الأسرة على اساس من التفاهم والالتقاء فى المنتصف تماما .

قام ببطولة هذا المسلسل مجموعة من الفنانين المعروفين فى دول الخليج : من الكويت .. والبحرين .. وقطر. هناك على سبيل المثال ابراهيم الصلال وحياة الفهد ، وهيفاء عادل . وعائشة ابراهيم ، واحلام محمد ، وغازى حسين ، وغانم السليطى ، وعلى حسن ، ومحمد البلم .

و «الدوحة» رأت فى لقائها بهؤلاء الفنانين الذين تعرفهم شاشات التليفزيون فى منطقة الخليج جيداً .. رأت أن تنصت إلى كل منهم على حدة ، ليتعرف القارىء على وجهة نظرهم ـ كشهادات واقعية ـ فى الحركة الفنية فى منطقة الخليج :

نادية رزق

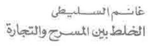
إبراهيم الصلال
ضرورة إحياء التراث

المسرح الخليجى مازال فى بداياته بالرغم من استفادة المسرح الكويتى من تجارب الدول العربية كالعراق ومصر .

وإذا أردنا انعاش المسرح الخليجى فلابد من تقديم نصوص جيدة ومدروسة وتشجيع الكتاب على التأليف للمسرح ، وتشجيع الفنانين على الدراسة الاكاديمية لأنها تعطى خلفية ثقافية للممثل .

والافتقار الى النقد الفنى يعد سببا من أسباب ركود الحركة المسرحية فى الخليج ، لأن أغلب نقاد المسرح محررون فنيون وليسوا دارسين متخصصين . والخليج لم يتعود بعد على وجود هذا النوع من النقد .

والمسرح يعكس البيئة ويؤثر فيها ويتأثر بها ، ولذا فمطلوب من المسرح إحياء التراث وتقديمه بصورة جديدة تجذب الجمهور وإلا حكم على نفسه بالفشل ، وظل فى الصفوف الخلفية من مسيرة الفن الخليجى العربى والانسانى .





الحركة المسرحية تفتقر لبعض العناصر التى تستطيع انعاشها ودفعها للأمام ، فالمسرح يعانى من قلة المثقفين مسرحيا ، وعدم تحمس العنصر النسائى للعمل الفنى ، وعدم وجود مؤسسات ثقافية وجمعيات للفنانين أو مجلة مسرحية متخصصة ، كذلك المجتمع الخليجى مازال فى دور التعود على عادة الذهاب للمسرح ، وكما نعرف فان المسرح لا يزدهر إلا بتشجيع من المجتمع وبظهور حركة نقدية من بين صفوف متفرجيه ..

والخوف الآن من الخلط بين المسرح والتجارة حيث توجد فى دول الخليج العديد من الشركات الفنية التى تقدم عروضا ساذجة تؤثر على المستوى الفكرى للمتفرجين ، وتلقى اقبالا منقطع النظير ..

ولهذا ففى رايى أن نهضة المسرح الخليجى لن تتحقق إلا بايجاد طابع خاص يحمل رائحته ، وتقديم عروض تتناول مشكلات المجتمع بحيث تكون أشمل من القضايا الاجتماعية التقليدية كالزواج والطلاق وباقى الأمور الاجتماعية ، أى بتقديم ما هو أوسع وأعم تمشيا مع التقدم الحضارى والثقافى الذى يشهده الوطن والعالم كله .. أما إذا استمر المسرح الخليجى على هذا النمط من الأعمال فلن يجد من يشاهده فى المستقبل ، خصوصا مع انتشار الاجيال المثقفة التى تتطلع الى آفاق أوسع .

وقد عملت بالمسرح القطرى منذ عام ١٩٧١ ، وتخرجت من قسم النقد والأدب المسرحى لمعهد الفنون المسرحية بالقاهرة ، وأدركت من قراءتى ورؤيتى للأعمال المسرحية المتعددة ، اننى اتجهت الى أرقى الفنون وأعظمها قدرا ..

حياة الفهد
أهم مشاكل المسرح



قضيت على خشبة المسرح أكثر من ١٩ عاما حيث كنت من أوائل مؤسسى الفرق المسرحية بالكويت .. وفى رايى أن المسرح الخليجى بدأ يفرض وجوده بالرغم من عدم إعتراف الكثيرين به . والتقصير يأتى من الفرق المسرحية التى تنغلق على نفسها ولا تحاول الخروج للاستفادة من خبرات الدول الأخرى بينما تبادل الزيارات يعطى ابعادا كثيرة للعمل .

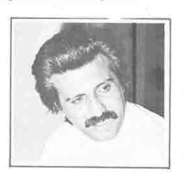
ومازالت الحركة المسرحية فى بعض بلدان الخليج كالبحرين والامارات بحاجة الى هزة قوية برغم تواجد الشباب المجتهد المتحمس للعمل المسرحى ولكن الظروف مازالت غير مواتية من حوله ..

واهم أسباب ركود المسرح الخليجى حتى الآن تتلخص فى عدم وجود المؤلف المسرحى القادر على استخراج النص المقبول من جميع المستويات ، والحل هو اختيار النصوص الهادفة التى تخدم الأفكار الانسانية والتى تقف أمام انتشار المسرح التجارى الذى بدأ يؤثر على المسرح الجاد ويشكل ظاهرة خطيرة لمستقبل المسرح فى الخليج .

وبالطبع فمن ضمن مشاكل المسرح الخليجى انه يفتقر الى العنصر النسائى ، الأمر الذى يدفع بعض المسارح الى الاستعانة بالخبرات النسائية من الدول العربية المختلفة !



علي حسن
الطريق إلى الإبداع المسرحي



● لو إهتمت الفرق المسرحية بالبلدان الخليجية بتبادل الزيارات وتقديم العروض لاستفادت كثيرا من تجارب بعضها البعض، كما ان إتقان الصنعة الفنية هو العامل الحاسم فى إنجاح العمل المسرحى، لأن الفن ليس موهبة فقط ولكنه يعتمد على الدراسة، ويخضع لعدة قواعد وتقاليد فنية ..

ونحن نعرف ان اية موهبة لا يمكن ان تصل الى طموحاتها إلا بالثقافة والدراسة، فالمعرفة تدفع الفنان باستمرار الى الابداع وتعطيه رؤيا اشمل واعرض ..

وقد عملت فى المسرح القطرى منذ عام ١٩٦٩ فى مسرحية «صقر قريش»، ورغم ما نعانيه من مشاكل موجودة فى كافة المسارح العربية فان الحركة المسرحية فى الخليج منتعشة وتتطور باستمرار وتقدم مسرحيات مختلفة النوعية، وكلها تبشر بالخير اذا ما أعطيناها كل الجهد والاهتمام والمثابرة على خلق حركة فنية مؤثرة.

أحلام محمد
طموحات المسرح الخليجي

● المسرح فى بعض الدول الخليجية مازال يمشى بخطوات متعثرة، ولكنه رغم ذلك يعد مسرحا جيدا على قلة ما يقدم من نصوص.

ومن اهم مشاكل المسرح الخليجى عدم التشجيع المطلوب رغم المعونة المالية السنوية التى لا تتناسب مع طموحات المسرح، كذلك قلة صالات العرض ..

ولو تعاونت وسائل الاعلام لأعطت النهضة المسرحية دفعة قوية، ولكن اغلب اجهزة الاعلام لا تعطى للمسرح حقه الواجب، ونادرا ما تتناول الاقلام العروض المسرحية بالنقد الهادف، ونادرا ما يعرضها التلفزيون او تقدمها الاذاعة ..

لأننى تخرجت من المعهد العالى للفنون المسرحية وادركت اثناء دراستى أن الدراسة تعطى المفاتيح الأساسية للثقافة، فاننى اقول دائما لاخوانى هنا فى البحرين أن الدراسة وحدها لا تكفى فلابد من وجود الموهبة ولابد من الاطلاع الدائم على الثقافات التى تنمى فى عقولنا الادراك وتصقل التجربة.



ابراهيم الصلال وغازى حسين فى لقطة من مسلسل «احلى الايام»



حسن بشير مخرج مسلسل «احلى الايام»

في دروب المحنة

الحكماء الذين كتبوا قبلنا هم رحالة سبقونا فى دروب المحنة . إنهم يبسطون ايديهم داعين إيانا أن نكون فى رفقتهم عندما يتخلى عنا كل من فى الوجود .

«برناردين دوسان بيير»

الصغير .. والعظيم

على قدر اهل العزم تاتى العزائـــم
وتاتى على قدر الكـــرام المكـــارم
وتعظم فى عين الصغيـــر صغارها
وتصغر فى عين العظيـــم العظائم

«المتنبى»

الموت .. والحياة

نحن نساق بالطبيعة الى الموت ... ونساق بالعقل الى الحياة .

«ابو حيان التوحيدى»

لا مستقر

طلبـــت المســـتقر بكـل ارض
فلـم ار لـــى بارض مســـتقرا

«ابو العتاهية»

انحطاط أوروبا

إننى اتحدث فى مرارة والم عن القوى المتجمعة فى الغرب لقيادة سفينة الحضارة . إن الذى يحركها هو العواطف لا المثل العليا . إن الوقت قد حان لتدرك أوروبا أن التطفل القهرى الذى تزاوله فى القارتين الكبيرتين اسيا وافريقيا اكبر قارتين فى العالم ، لابد انه سيؤدى بها الى انحطاط وتدهور اخلاقى .

«رابندرانات طاغور»
من كتابه «الوحدة الخلاقة»



أكبر من الفرح

واحسرتاه ! إن فى كل مكان من هذه الأرض شقاء لا يقاس اليه ما قد يوجد من فرح .

«انتيجون»
من مسرحية «اوديب ملكا»

أحزان في المستقبل

اتعلم على اى شىء حزنك ؟ إنه ليس على شىء مفقود فقدته من زمن معين تستطيع ان تقول متى كان عندك ومتى ذهب . وإنما هو على شىء لايزال حيا قائما فيك . هو عهد اسمى من عهدك الحاضر تطلبه .. هو عالم اجمل من عالمك هذا .

«هولدرلاين»

الشعر أن تحلم

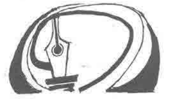
ليس الشعر فى ان تقول كل شىء ... بل هو فى ان تحلم النفس بكل شىء

«سانت بيوف»

المدهش هو الموضوع

أما السبب الذى يقارن الفيلسوف نفسه بالشاعر فهو لأن «المدهش» هو موضوع كليهما .

«توماس الاكوينى»



الدهشة هي الإنسان

لقد وجدت لكى اندهش . ان الدهشة هى أسمى ما يستطيع ان يصل اليه الانسان .

«جوته»

قالوا في الكتاب

يوجد مكان واحد فى العالم يمكن للشخص ان يكون فيه سعيدا : إنه المكتبة .

«اوجستين بريل»

أعلا .. وأسفل

● انتم تنظرون الى اعلا حين تطلبون الارتفاع .. اما انا فانظر الى اسفل لاننى مرتفع .

الخير هو الشجاعة

● تسالون : ما هو الخير ؟ الخير أن تكون شجاعا .

التعجل .. رذيلة

● لقد بات الناس يخجلون من الراحة والهدوء . ويكاد التامل الطويل ان يصيبهم بلذع الضمير . إنهم يفكرون وهم ينظرون الى الساعة فى ايديهم ، تماما كما ياكلون طعام الغذاء واعينهم على اخبار البورصة . إن التعجل هو الرزيلة الحقيقية للعالم الحديث .

الكذب والعمى!

● إذا ذهب صدقى فقد عميت . فاذا اردت المعرفة فقد اردت الصدق ، أعنى الشدة والتضييق على نفسى والقساوة التى لا تلين .

«نيتشه»


أسافر في القلب

شعر: محمد إبراهيم أبوسنة

من وحي زيارة في خريف ١٩٨٠ إلى الولايات المتحدة الأمريكية

هذا هو البدر يأتى من الشرق ..
.. اخضر مثل اليمام الذى فى الأساطير
أزرق مثل المياه التى فى البحار ...
.. واحمر كالحب . اصفر كالموت فى كل بلد ..
..لا يريدك ابيض مثل النهار ..

● ● ●

يجيء من الشرق ...
..يفتح نافذة من جريد النخيل
على القلب ..
.. ها هو وجهك تفرح فيه الدموع
وتشرق فيه نجوم السماء الحزينة
يرفرف طيرك بين الضلوع
ويسألنى عن زمان الرجوع
وريح من الغرب تأكلنى اذ تجوع

● ● ●

هو البرق يمضغنى
ثم يلقى بجثة حلمى الى مستنقعات المغيب
تظل عيونى تجوب الشوارع
عبر فراغ المسافات

عبر فراغ القلوب
وكل النجوم هنا من زجاج ..
القلوب هنا من حديد
«مساء سعيد»
«صباح سعيد»
«وداعا»
صحارى وبيد
صحارى وبيد
ولا يخفق القلب إلا لهذى الغصون التى ..
.. تورق الآن بالحزن يسقط فيها
الخريف . تموت السنجاجب بين حشائشها
ثم تهوى العصافير ميتة فى المياه
ولا يخفق القلب إلا لصوت السكون ..
.. الذى يبعث الآن بين ضباب
الأشعة وجه الأحبة
فوق مرايا النسيم المراوغ
يمضى إلى موعد فى حنايا الشجر

● ● ●

مرة هذه البرتقالة فى الحلق
مثل الفراق المفاجىء
مثل الدموع التى تتراجع فى العين
حين يجيش الأسى فى الفؤاد
فيغدو بحجم مدينة
مرة هذه المسافة يقطعها
الضوء والظل يكثر فيها الأنين
ويغدو العذاب طريق المسافر ..
.. تغدو القطيعة دار الاقامة
.. والحزن مرقده
والحياة الجنون
ايها القادم من ناحية الشرق تحمل
عطر الأحبة . هل من جديد سوى الذكريات ؟
وهل من قديم سوى وخزات الألم ؟
ها هو الدمع يدفئنى فى شتاء المراره
وذاكرتى الآن تفتح ابوابها
فتطل عظام الحياة القديمة ..
من شاطىء النهر .
حتى صخور المدينة
وها هو وجهك يقبل نحوى ..
يعاتبنى ...
.. ثم يملأ روحى بشوق اللقاء
وحلو الغناء .. ولا تعذلينى
فانى اسافر الى القلب ليلا
الى حيث انت
وحين يجيء النهار ...
اسافر اقطع هذى الفيافى
الى حيث يسطع نورك
تحت سماء المقطم والنيل والهرم الاكبر
والأصغر . حيث يصير الزمان
حديقة افراحنا
والرحيل الجحيم
اسافر فى القلب .
هذا هو البدر يطلع مثل اليمام
الذى فى الاساطير . ازرق مثل
المياه التى فى البحار ..
واحمر كالحب ..
اصفر كالموت فى بلد لا يريدك ..
ابيض مثل النهار



حلم ليلة صيف

أم أكشم



استسلمت أمى واخوتى للنوم .. والصيف يمطر حرارة وحبات عرق .. الهواء ساكن .. والقمر بدر .. أنا مازلت يقظة أرشف فنجان قهوة .. تخيفنى دقات قلبى المتلاحقة كساعة الحائط التى تتوسط بهو دارنا .. انتصف الليل .. تركت دفاتر تلميذاتى الصغيرات بيد مثلوجة .. تسللت عبر الدرج المؤدى لسطح دارنا كفار مذعور .. ضممت رداء نومى الأزرق .. وأنا أرقب الظلام وصمته .. تعثرت قدمى العارية على درجات السلم المتآكلة .. جزعت .. تلفت مذعورة .. خائفة .. وجلة .. كهارب من العدالة .. بدا الظلام كغول خرافى يترصدنى .. كتمت صرخة انطلقت كحربة من حلقى .. امتلأت أجفانى برطوبة الليل .. أسرعت الخطى .. خفقات قلبى تتفجر فى صدرى .. عدوت .. الدقيقة الأولى بعد منتصف الليل .. كان هناك .. تدفقت ضفائر شعرى المجدولة .. ارتجف ثوب نومى الأزرق .. انسكبت حرارة الشموس من انفاسه .. اكتم صرختى .. أقاوم الصراخ .. وأنفاسى تتهدج .. وعيناه بحيرتا نجوم تغرقنى .. أحترق .. أقاوم الصراخ

.. أقاوم الصراخ .. وأطلق صرخة .. كصرخة الولادة .

استيقظت من نومى مذعورة أتصبب عرقاً .. أنفاسى متلاحقة .. أصابع مغروسة فى كتفى .. كانت أمى .. تهزنى بعنف «ماذا حدث .. استيقظى .. لماذا تصرخين وأنت نائمة ؟» تمالكت أنفاسى وأنا أمسح حبات العرق من على جبينى «آه يا أمى .. كابوس .. كابوس مرعب .. منذ ليـال عديدة وهو يداهمنى كلما أغمضت عينى .. وبدا القلق محفوراً فى وجه أمى الحنون» لابد أنه كابوس مرعب .. لقد تكرر صراخك كل ليلة .. وأفزعت أخوتك الصغار .. عليك بقراءة القرآن قبل نومك . ومسحت بيدها الطيبة شعرى المجدول وهى تتلو آيات من كتاب الله . أروى لى تفاصيل حلمك .. ما هو هذا الكابوس الذى يفزعك كل «ليلة» ارتجفت أنفاسى .. آه .. ماذا أقول لك يا أمى .. لا أذكر التفاصيل .. لكنه كابوس مرعب .. قلت هذا وأنا أتحسس ثوبى الأزرق .. وشعرى المجدول .. آه .. كان حلماً رهيباً .

تخرجت منذ أعوام من دار المعلمات .. وعملت فى مدرسة ابتدائية .. أقف على أعتاب الثلاثين .. تلميذاتى الصغيرات كبرن .. وأنا مازلت كالأرض البور .. وأمى مازالت تنتظر فارس الأحلام الذى لم تمطر به سمائى .. وأنا أزداد امتلاء .. وجفافاً .. مازالت تعاملنى كطفلة فى العاشرة .. زجرتنى يومـاً وأنا فى الخامسة والعشرين من عمرى لأنى تجرأت على وضع أحمر شفاه على شفتى .. وشذبت حاجبى .. ومن يومها كففت عن تشذيب ملامحى .. ظلت خصلات شعرى مجدولة .. مخنوقة على ظهرى كطفلة فى العاشرة .. أيامى تتسرب كالماء بين صياح تلميذاتى .. وأحاديث رواد منزلنا من العجائز وصوت ارتشاف القهوة .. وأنا أدفن فى حجرى روايات الحب الملتهبة .. التهمها .. وأحلم .. حتى تلتهب جدائل شعرى المعتقة .. أحلم .. واستيقظ على صراخ أمى وهى تأمرنى بإغلاق زرار ثوب تمرد على أوامرها .. وزجاج نافذة دفعته الريح فأغضبها .

كنت قافلة بعد نهاية اليوم الدراسى لمنزلى .. عندما لمحتك بقامتك الفارعة .. ووجهك الأسمر .. كأبطال رواياتى داخلا منزلك المجاور لمنزلنا .. اهتز قلبى وأنا أفترس ملامحك من خلال الشال الأسود الذى يلف وجهى .. ومن يومها كففت عن أحلام الصحو .. وصرت كابوساً يفترس جدائلى .. ومن يومها كففت عن قراءة الروايات لأن صورتك توسدت كل الحروف .. وكل أغلفة الكتب .. ومن يومها وجدائل شعرى كلوح من الصلج المحمى تحرق ظهرى .. وأنا لا أكف عن مطاردتك من خلف ستائر غرفتى .. وارتجف .. كأوراق الخريف .. خشية أن ترانى ..

كان القمر بدراً عندما استيقظت من نومى مذعورة .. وأمى تحتضننى .. تبسمل وتحوقل .. وأنا أرتعد .. أزداد التصاقاً بأمى .. جسدى مغسول بحبات العرق .. الحمى تأكلنى .. أنفاسى تتلاطـم كالأمواج .. يزداد ذعر أمى .. وأنا أنتحب .. جفاف ثلاثين عاماً تأكل شفتى .. أحاول التحديق فى وجه أمى المتعب .. أفشل .. أجفانى ثقيلة .. ثقيلة .. كقطع من الحديد تسقط داخل عينـى .. أغمضها .. الخريف .. الخريف يا أمى .. يجتاح سهولى كأسراب الجراد .. وأنا أذوى كحقول الذرة .. أنا يقتلنى الجفاف صلى .. صلى .. يا أمى صلاة المطر .. استسقى السماء .. أهذى .. أهذى .. يمطر وجه أمى .. أنا فى جوف حوت أبحث عن أصداف .. وأنا فى جوف حوت .. شاطئى يأكله جزر أبدى .. أنا أذوى كحقول الذرة .. الخريف يجتاح سهولى .. تهمد أنفاسى تحت دثار الصوف الثقيل



.. وأنا أعرق .. أرتجف .. القشعريرة .. الحمى .. ضعيفة أنا .. يمطر وجه أمى .. وأسقط أنا فى بركان الكوابيس .

مع تساقط ندى الصباح .. كانت أمى تطرق دار شيخ حينا الجليل .. دعته لزيارتنا .. بكت بين يديه .. أخبرته أن الأرواح سكنت دارنا .. واستفردت بى .. جاء يتلو القرآن .. وأنا هامدة تحت الدثار .. وعيناى جمرتان اتقدتا .. ترقبان حبات السبحة المتساقطة على رأسى .. مازال الكابوس يطرق غفوتى .. الوهن يتسرب كشعاع الشمس فى جسدى .. عافت نفسى الزاد .. الحمى تسلبنى أنفاسى .. أزداد ذبولا .

داهمنى الأرق .. اختفى الكابوس الليلى .. شعرت بوحشة .. كففت عن الصراخ كل ليلة .. شعرت بوحشة .. خرجت من غرفتى .. الدقيقة الأولى بعد منتصف الليل .. وأنا أحتضن ثوب نومى الأزرق .. كان القمر بدراً .. بحلقت .. هذا هو الباب المؤدى لسطح دارنا .. آه .. لا أدرى مدى صحة التفاصيل الصغيرة للكابوس .. صعدت السلم العتيق .. فاحت منه رائحة عتق مهجورة .. صعدت السلالم المتآكلة .. ارتجف قلبى .. هذا هو الحائط الفاصل بين دارنا وداره .. آه .. لألقى نظرة .. أثار الكابوس فضولى .. بحثت فى الظلام عن حطام شىء أستند عليه لألقى نظرة على سطح جارى .. رفعت جسدى .. خفق قلبى .. كان نائماً هناك بقامته الفارعة .. حاولت العودة .. لم أقدر .. كنت كنبتة غرست هناك .. شلت قدمى .. تصبب العرق غزيراً على وجهى .. ندت منى صرخة .. استيقظ النائم .. أضاء المصباح .. تقدم بهدوء كسحابة ممطرة .. منحنى راحة يده .. ارتجفت .. حاولت صده بيدى .. انغرست يدى فى كتفه .. كنبتة غرست هناك .. انسكبت ضفائرى المعتقة .. ارتجف ثوب نومى الأزرق .. أنى أحترق .. أحاول الصراخ .. أحاول الصراخ .. عجزت .. لم أصرخ .. أغمض المصباح جفنه .. لفنا الصمت .. تنفست بعمق .. تدفق نبيذى المعتـق على صدره .. تملكتنى السكينة .. غفوت .. كان القمر بدراً .. والصيف يمطر حرارة وحبات عرق .

أنــــور الجــنــــدى

المعركة بين القبّعة والطربوش



• كانت معركة الزى من اهم المعارك الاجتماعية التى دارت خلال فترة مابين الحربين (١٩٢٠ ـ ١٩٣٩) وقد نتجت عن اختلاف وجه التعليم وازدواجيته بين التعليم الدينى والتعليم المدنى من ناحية ، وبين الولاء للثقافات الفرنسية والانجليزية مما اثار ما يسمى بمعركة (لاتينيون وسكسونيون) وقد اتجهت طوائف المتعلمين الى استبدال العمامة بالطربوش اولا ، ثم نشأت فكرة استبدال الطربوش بالقبعة من بعد وكانت معارك قد جرت فى دار العلوم عام ١٩٢٥ حول استبدال الزى الازهرى بالزى العصرى ، وقال الشيخ حافظ عبد ربه : ان الزى الازهرى بوضعه الحالى عائق كبير يحجب عن صاحبه كثيراً من حقائق الحياة ويدفع به خطوات الى الوراء او على الاقل يمنعه من مشاركة المجتمع فى شتى مرافقه ونواحيه . وانه فى الوقت نفسه يؤكد الطبقية بين صفوف الشعب ويبقى على الفوارق البغيضة المدفوعة •

• وقد جرى البحث حول العلاقة بين تغيير الزى وتغيير العقلية وهل يمكن أن يؤدى هذا التطور المادى الى تطور فكرى ؟

واتصلت الابحاث بمناسبة الثورة التركية التى وصلت اصداؤها الى البلاد المصرية وخاصة فيما يتعلق بفرض القبعة على الاتراك العثمانيين والغاء الطربوش والعمامة . وتعددت الابحاث حول العمامة والطربوش والقبعة وقيل إن «العمامة» زى دينى بحت لا صلة له بالدين ولا بالاسلام وان الزى الأزهرى خلقته الظروف ودعا اليه الوسط .

وقد طالب علماء الأزهر بجعله مقصورا على رجال الدين . ورد الجانب الآخر ان العمامة زى اقره الشرع إذ كانت فى صدر الاسلام زيا يتميز به المسلمون عن غيرهم وان الزى الازهرى فضفاض يلائم الصحة ولا يحول دون الاندماج فى المجتمع .

وقد وجهت حملة ضخمة الى «العمامة» للتخلص منها وهاجم الشيخ ابو الوفا التفتازانى خصوم العمامة (٢٠ مارس ١٩٢٦ ـ الاهرام) وقال : انه اذا اختفت العمامة قبر الطربوش . لانها لا تجد ما تستند اليه وقال : ان العمامة زى قومى وان العمائم تيجان العرب . اما الطربوش فيكفى ان ينفرد بالظهور بعد العمامة ليختفى بعد اسبوع من تاريخ زوالها لأن الحملة عليه سهلة موفقة . اما القبعة التى يريدونها زيا لنشء هذا البلد الكريم فهى مظهر الفناء المطلق الذى تبتلع فجوته الشخصية المصرية وتضيع فى قيافيه مميزات اهل هذا البلد الظاهرية فلا تعرفهم بسيماهم وتراهم عبدة ازياء تغيرت ملامحهم !

الطربوش : تاريخ قديم

اما الطربوش فتاريخه انه جاء مع الاتراك العثمانيين الذين لبسوه بعد فتح القسطنطينية واخذه الاتراك من اليونان واخذته مصر من الاتراك ، وتخلى عنه مصطفى كمال . ومصر تلبس الطربوش قبل ان تصنع طربوشا واحدا وتستورده من النمسا ، وقد لبس احمد زكى باشا سكرتير مجلس الوزراء



الطربوش الابيض بعد ان قاطعت مصر النمسا واضربت عن شراء بضائعها .

وقال المقطم فى حملته على الطربوش (١٤ يونيه ١٩١٧) إن الغربيين والشرقيين يظنون ان الطربوش شعار دينى اسلامى وهو ظن بعيد عن الحقيقة فانه ليس فى الاسلام زى خاص . كما ان الطربوش ليس شعارا اسلاميا . كذلك القبعة ليست شعارا مسيحيا .

اما الطربوش فقد اقتبسه السلطان محمود الثانى العثمانى من الروم نصارى الارخبيل ولم ينقض اكثر من مائة سنة من اتخاذه غطاء للراس بدلا من تيجان الانكشارية ودعا المقطم الى إبطال الطربوش واستبداله بلباس اخر .

وقد ذكر الباحثون ان التمسك بالطربوش يرجع الى عوامل اهمها مسالة القومية والمصرية والشعار المصرى وتميز المصرى على غيره .

العقلية لا القبعة

وقد جرت الدعوة الى القبعة كلباس صالح وصحى بدلا من الطربوش وقال دعاة القبعة : ان الطربوش يحبس الدم وتنجم عنه اضرار الصلع ، وانه ليس هناك ما ينص فى الدين على تحريم القبعة او اشتراط اى لباس اخر .

وقد تصدت جماعة الرابطة الشرقية والجمعية الطبية المصرية لبحث الأمر من الوجهة الطبية والدينية وذكر ان الجمهورية التركية لم تتخذ القبعة لسبب صحى بل لسبب اجتماعى ، هو اختيار اللباس الاوربى . وافتت الرابطة والجمعية الطبية بان افضل لباس للراس يوافق مصر فى زمن الصيف هو «القلنسوة البيضاء» المصنوعة من الفلين .

وقال الدكتور محجوب ثابت فى حديث له مع السيد محب الدين الخطيب (١٤ أغسطس ١٩٢٦) ان الطربوش صحيا خير من القبعة . وذكر انه لا يدافع عن الطربوش لذاته وقال : اما ان القبعة لباس المتمدينين فالتمدن ليس بالبرنيطة ولكن بالمعارف العلمية التى جعلت لابس القبعة يصل الى هذه المكانة فى الدنيا ، هذه المكانة التى وصل اليها بعلوم القوة والثروة والعمران . وقال ان البرنيطة شعار امم تحاول استلاب استقلالنا والاستيلاء على ديارنا واحتقارنا فى أوطاننا وتاريخنا



وذكر أن الكماليين سجنوا من أجل القبعة من سجنوا وشردوا من شردوا ، وقال «متطربش» معلقاً : تبرنطوا اذا شئتم ، وتعمموا اذا أردتم ، وتطربشوا اذا حلا لكم ، ولكن لا تنسوا أن الدين والوطنية والأخلاق والقومية ليست فى الثياب بل فى الألباب ولا فى الدثار بل الأفكار ، ولا شكل الملبوس بل فى العقول التى فى الرؤوس.

وأجمع كثير من الباحثين على أن مسالة الخروج من العمامة الى الطربوش ومن الطربوش الى القبعة إنما هو تقليد للغرب ، لا تقصد به منفعة واضحة أو غاية معلومة ، وجرى ذكر ما قال «سعد زغلول» فى معارضته لنبذ الطربوش «مثل الذين يبدلون شعارهم بشعار غيرهم كمثل الذين تبرأوا من انسابهم»وقال العقاد : «إن من سقوط الهمة أن يتوارى الانسان وراء القبعة خجلا من جنسه».

وقالت جريدة المانشيستر جارديان : انه بينما العرب والترك يستعبدون للازياء الغربية بابشع أشكالها وابعدها عن جمال الخيال والتصور يتحول الغربيون الى التنويع والتزويق» .

وقد حققت هذه الحملة تحول كثير من طلبة دار العلوم والقضاء الشرعى من العمامة الى الطربوش ، أما الأزهر فقد منع التغيير .

وصدرت فى مصر فتوى رسمية (١٩٢٦/٣/٢٥) بأن المذاهب الأربعة المعمول بها مجمعة على تحريم لبس القبعة عند عدم الميل الى دين أصحابها ، وعدم قصد الاستخفاف بدين الاسلام ، وان فى تغيير الزى القومى فناء للشخصية وذلك شان الضعيف .

وردت الفتوى على ما قيل من ان الزى الغربى يدفع احتقار الغربيين وقالت : «إن الزى لا يدفع احتقاراً ولا يرد عاراً مع فساد الخلق وتاخر العلم وعدم النهوض بالصنائع والأعمال الاقتصادية والأخلاقية» .

ولم تلبث أن وقعت حادثة الطربوش فى تركيا بين وزير مصر المفوض ومصطفى كمال أتاتورك حيث أشار رئيس الجمهورية التركية الى الوزير المصرى برفع طربوشه فى حفل رسمى .

امتداد المعركة الى البلاد العربية

وامتدت معركة الطربوش الى سوريا فكتبت جريدة النهار (١٩٣٣/٩/١٢) بأن الطربوش نمساوى وليس عربياً ، وانه يذهب بثروة البلاد وأن دمشق تستورد مائتى ألف طربوش كل عام وتدفع ربع مليون ليرة عثمانية على أقل تقدير . وقالت : واذا فرضنا أن الطربوش كان منتشراً منذ مائتى سنة فاننا نجد أن دمشق دفعت للنمسا ثمن طرابيش خمسين مليون ليرة عثمانية .

وذكرت انه يجرى البحث عن غطاء آخر للرأس ، هل هو القبعة الافرنجية أم الكوفية البدوية ، أم العمامة ، أم السدارة العراقية ؟

وقالت ان فكرة اعدام الطربوش ليست فكرة حديثة ، فقد أحرق فى العام الفائت واستعيض عنه بالسدارة العراقية .

وفى العراق لبس الملك فيصل السدارة إعلاناً لتحرر بلاده والابتعاد عن زى الترك ، وانتشرت السدارة الوطنيةفى العراق كما جرى عام ١٩٣٦ فرض السترة والبنطلون على سائقى السيارات .

وأثيرت مسالة الطربوش والقبعة فى مصر بعد توقيع معاهدة ١٩٣٦ وجرى التفكير فى توحيد الزى ووضع لباس جديد للرأس وأجمع الكثيرون على أن توحيد الزى لازمة من اللوازم الاستقلالية .



مشروع القرش

وفى هذه الفترة تقدم الأستاذ أحمد حسين رئيس جماعة مصر الفتاة بدعوته الى مشروع القرش لانشاء مصنع للطرابيش فى مصر بديلا من استيراد الطربوش النمساوى ونجحت الفكرة وجمع مبلغ كبير وانشىء مصنع القرش الذى غطى حاجة المصريين الى الطربوش . وأشير الى أن كلمة (قبعة) كلمة كلدانية ، وانها تسمى فى قاموس الفيروزبادى (البرنس) . وروت الأهرام أن سليم سركيس هو أول من فكر فى لبس القبعة بدلا من الطربوش عام ١٩١٧ ، وفى نفس العام كتب (شيخ) يطلب الى اخوانه المشايخ لبس الطرابيش بدلا من العمائم ، وكان معنى ذلك ان فكرة استبدال القبعة بالطربوش هى فكرة مصرية لا تركية .

وأحدثت القبعة معارك كلامية مرتين: الأولى عندما أعلن الدكتور محمود عزمى انه سيخلع الطربوش فى يوم معين ويلبس القبعة ، ثم تردد فى ذلك وتأجل مشروعه عاماً كاملا متعللا بما أسماه «الأخطاء الوراثية» التى حالت دون ذلك .

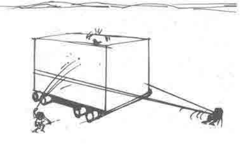
ولم تلبث مصر أن حلت هذه المشكلة حلا نهائيا حين ألغى الطربوش تماما بعد سقوط الملكية وحل محله «البيريه» الذى لبسه أمثال توفيق الحكيم والعقاد ، أما باقى الشعب فقد فضل أن يكون حاسر الرأس ، أما العمامة فقد ثبتت فى البيئات الأزهرية بعد أن انحسرت قليلا وتطور الزى الأزهرى الى ما يقارب الزى الافرنجى (قميص وبنطال) وفوقهما «كاكولة» وبذلك انتهت مشكلة الزى تماماً ولم يعد لبس القبعة أو ما يماثلها مما يثير أية أزمة .

وقد رد عليه السيد مصطفى صادق الرافعى مفنداً هذه الوجهة وكان هذا عام ١٩٢٦ وبعد عشر سنوات تجددت المعركة حينما كتب توفيق الحكيم مقاله المشهور (أن الأوان أن نلبس القبعة) وقد رد عليه كثيرون وهاتان المعركتان ستكونان موضع تفصيل فى مقال تال إن شاء الله .

أنور الجندى



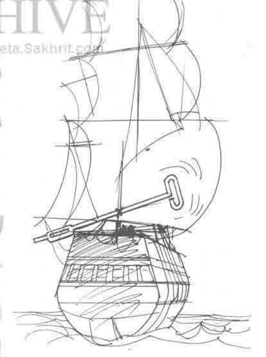




ـ ... هش !



ـ .. فين أيام السعر الجاهلى
.. كان البيت من بابه .. بفلس !



ـ ... حافتح سردينيا ... !

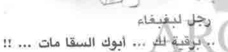


ـ .. بدون كلام .. !!

ضحكات الشهر

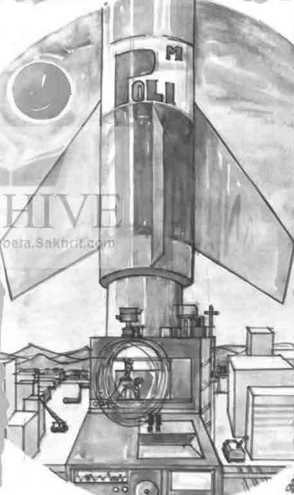
بريشة: صلاح الليثي





رجل لبغبغاء

.. برقية لك ... أبوك السقا مات ... !!



(برنامج الفضاء يتكلف ١٥ بليون دولار يومياً للسيطرة على العالم عسكرياً)

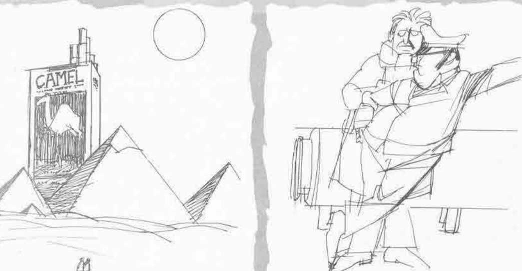
عامل لعامل معاك ٢٠ دولار سلف لأول القمر .. !!



ـ .. احنا مفكرين ـ الأسلحة الفاسدة سبب هزيمتنا عام ١٩٤٨ والأغنية الفاسدة ستتسبب فى فنائنا عام ١٩٨١ !!

واحد لتانى ـ .. ما الدنيا إلا مسرح كبير
.. واحنا كومبارس . "

واحد من عالم اخر ـ سهران باعد الهموم !!



ـ .. أنت مواليد برج ايه ..؟
ـ .. بيزا المايل .. !

ـ .. الاعلان الصحيح فى
المكان الصحيح .. !!

عبـــاس خضـــر

عشـــــق الأدب

أظن اننا متفقون على أن الحركة الأدبية فى عالمنا العربى الآن ضعيفة كما وكيفا وإقبالا . وإذا تركنا «الكم» جانبا ونظرنا فى الباقى نرى أن ضعف «الكيف» له دخل كبير فى ضعف «الاقبال» لسبب معروف فى «السوق» وهو أن البضاعة الرديئة لا تجد إقبالا من المشترين ..

والسؤال بعد هو : لماذا ؟

لماذا نرى الآن الانتاج الأدبى ـ فى مجموعه لا فى جميعه ـ رديئا أو لا يبلغ المستوى الذى كان عليه ادب الرواد ؟

ذلك الأدب : ادب الرواد الذى التف حوله قراء زمانه ومن بعدهم ، على حين نرى الآن قراءنا ـ على اتساع رقعتهم وكثرة عددهم ـ ينصرفون الى قراءة «الكلمات المتقاطعـــة» وما اليها .. والجادون اكثرهم يذهبون الى قراءات أخرى .

ثم لماذا لا نرى الأدب الآن يعبر عن زمانه كما ينبغى وكما عبـــر اولئك السابقون عن زمانهم ؟

قد يصح القول بأن ادباءنا الجدد يعبرون عن زمانهم ، لا بانتاج حى يصور المجتمع الحاضر ويرى القراء فيه انفسهم بوضوح لا تغيم فيه الحقيقة ولا يغمض القصد ، وإنما يعبرون عن الزمان بوجودهم انفسهم من حيث السلوك والنهج فى الحياة .. زمان الجرى وراء المادة واستخلاصها من اى سبيل ..

هذا ، أو ذاك ، اديب موهوب لا شك فى موهبته ، انبتته الأرض التى انبتت من قبله من الأعلام العظام ، ولكنه لا يعكف على الأدب كما كانوا يفعلون ، ولا يعانى ما كانوا فى سبيله يعانون ، بل هو يجرى ويلهث وراء ما يسمونه وسائل الاعلام المختلفة كالاذاعة والتليفزيون . يعد لها برامج يجمع لها من هنا وهناك . والصحافة كذلك تأكل من كده وطاقته ، إذ يبذل فيها ما كان اولى بموهبته الأدبية صقلا وتنمية .

كان الأوائل يعشقون الأدب ويعانون فى حياتهم لكى يظلوا عليه عاكفين ، لا يشركون به شيئا ، فان اشركوا به شيئا كان على الهامش . اذكر يوم احتفاء المجمع اللغوى بالعضو الجديد : توفيق الحكيم ، وكانت كلمة الاحتفال من طه حسين . واذكر انه كان من المدح الذى اضفاه طه حسين على الحكيم انه لم يول اهتمامه للأعمال التى وليها ، لأن همه كله كان منصرفا الى الأدب .

الأدب لا يحب «الضرة» .. يحب أن ينفرد باهتمام عاشقه ، فان انصرف عنه العاشق الى غيره لم يمنحه الاجادة والتبرير .

غض الطرف عن قلة نشأت فى الغنى مثل احمد شوقى ومحمود تيمور وشكيب ارسلان ، وانظر فى تاريخ حياة الكثرة تجدهم مروا فى حياتهم بأزمات عصيبة ولم تصرفهم صارفة عن الأدب : دراسته والانتاج فيه . باع المازنى كتبه لياكل بثمنها .. ثم حدث مرة أن اشترى زيتونا من بقال ، وعندما فحص القرطاس الذى وضع فيه الزيتون وجده ورقة من ديوانه .. فأكل الزيتون وحمد الله ، ولم يتخل عن الأدب ، ولم يطلب غيره من أعراض الدنيا .

على ان تلك القلة التى اشرنا اليها عانت من اجل الأدب هى ايضا ، إذ انصرفت عما فى بيئتها ومن فيها من الترف والمترفين ، واتجه افرادها الى حرفة الأدب والمعاناة فيها وخدمة المعشوق المحبوب ..

ولست اجرد الأديب من بشريته ، ولا انكر عليه ان يطلب ما يقوم به حياته ، ولكنى اتصور موقفه من الأدب مثل الموقف من الشجرة الظليلة الجميلة ، إن اثمرت اثمرت ، وإلا ظلت قائمة جميلة ظليلة .

قد يقال إن مؤلفى الأدب فى الغرب ينالون كثيرا من المال عائدا لكتبهم التى توزع بالملايين ، ويضفى عليهم ذلك متعة ونعمة ... وهذا شىء عظيم ورزق حلال ، ولكنه يجىء بدون قصد ، بمعنى أن الأديب ينتج ما ينتج كغدة تفرز ما خلقت لتفرزه ، ليس حافزه ولا فى باله ما سيدره العمل الأدبى من مال ، ويجىء بعد ذلك ما يجىء من الدخل كمكافأة له غير محسوب حسابها من الأصل .

اعتقد أن مؤلفة قصة «ذهب مع الريح» ـ مثلا ـ لم تكن عندما كتبتها تظن انها ستجنى منها ما جنت ، ولم يكن ذلك حافزا لها على الكتابة ، ثم همى الغيث ... على أن المثير للانتباه أن الغيث الذى همى لم يحفز الكاتبة على انتاج بعد القصة الفريدة ... وهذا يقطع بأن المال لم يكن باعثها .

نعود بعد ذلك الى أصحابنا فى هذا الجيل الذين يبددون طاقاتهم ومواهبهم هنا وهناك فى أعمال كان الانتاج الأدبى والتسلح له اولى بها . ليسوا كلهم سواء ، ولكن الظاهرة الغالبة هى ما نرى ، وهى التى تجر الركود الى حياتنا الأدبية . وقد نلتمس لهم العذر بأن يكونوا عائلين وتلك الأعمال الخارجة عن نطاق الأدب تجذبهم وتغريهم وتلبى حاجاتهم الى المال . ولكن النتيجة هى ما نرى : كساد فى الأدب وضعف فى الانتاج ، ثم شكوى صارخة من ضعف الحياة الأدبية .

تلك هى المشكلة ، فما الحل ؟

لا شك أن ما تفعله بعض الحكومات العربية من تشجيع وبذل فى هذا السبيل لا شك أن هذا مجد ، ولكنه ليس كل شىء ، ولن يستطيع احد أن يرغم المتأدبين على عشق الأدب والعكوف عليه واستعذاب المعاناة فى سبيله . وعاشق ليلى لم يلفت احد نظره اليها ، ولم يطالب بعشقها .

إنما هى الطبيعة او هو الله خالق الطبيعة ، هو الذى يخلق ما يشاء ومن يشاء ويوجه الى ما يشاء . وليس لنا عند امتناع المطر إلا صلاة الاستسقاء ...

عباس خضر